



محورية حديث الثقلين في العقيدة والأحكام

تأليف
الدكتور صلاح الدين الحسيني



فهرس المطالب

- مقدمة
- محورية حديث الثقلين في العقيدة والإحكام
- المتواتر والآحاد
- إهتمام الرسول بتكرار حديث الثقلين
- إني فرطكم على الحوض
- حقيقة الحوض
- يوشك أن أدعى فأجيب
- وصية رسول الله
- محاولة الرسول تنوين الوصية
- إني ترك فيكم
- طاعة أولى الأمر
- مقومات أولى الأمر الذين أوصى بهم رسول الله
- حقيقة الإستغفار
- كلمات الله
- الوسيلة إلى الله تعالى
- حقيقة الإيمان
- السر في تآبط النصوص مع حديث الثقلين
- ما إن تمسكتم بهما
- لن تضلوا
- حقيقة الحوض في الدنيا والآخرة
- الرحمة المهداة
- حبهم حسنة
- رزية الخميس
- كتاب الله وعوتي أهل بيتي

- من هم أهل البيت
- الكتاب والعزة حقيقة واحدة
- نبأني اللطيف الخبير
- لن يفترقا ولن يتفرقا
- لن يتفرقا
- ضرورة وجود الإمام في كل عصر
- لن يفترقا
- محاولات التمهيد لفصل الكتاب عن العزة الطاهرة
- أول عملية تفريق بين الكتاب والعزة الطاهرة
- مؤامرة السقيفة
- مهاجمة بيت أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام
- وآت ذا القوي حقه
- قضية الشورى
- خلافة أمير المؤمنين عليه السلام
- حرب المسلمين ضد خلافة أمير المؤمنين
- معركة الناكثين أو الجمل
- معركة صفين
- معركة النهروان
- مبايعة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام
- بعض ما فعل معاوية ضد أهل البيت عليهم السلام
- سب ولعن أمير المؤمنين بأمر معاوية
- كتاب معاوية الذي غير الدين
- مخالفات معاوية لأحكام الدين بغضا لعلي
- إتباع العلماء سنة تغيير الأحكام بغضا لعلي
- بيعة يزيد
- ماذا فعل يزيد لفصم عرى الدين؟
- نهضة الإمام الحسين عليه السلام

- ماذا فعل المسلمون بعد يزيد
- الأئمة من أهل البيت وشيعتهم
- حتى يرثا علي الحوض
- علي ساقى الكوثر
- علي قسيم الجنة والنار
- وعلى الأعواف رجال
- أئمتنا من أهل البيت وفدنا إلى الله
- أحوال المخالفين على الحوض
- واني سائلكم كيف تخلفوني فيهما
- سؤال القبر
- فلا تقدموهما فتهلکوا
- عصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام
- مفهوم الإمامة
- وجود إمام معصوم في كل زمان
- مفهوم الإسلام ومفهوم الإيمان
- مفهوم الهدى والضلال
- مفهوم النجاة ومفهوم الهلاك
- وجوب التعلم من أهل البيت عليهم السلام
- تطابق أحوال الأنبياء مع أحوال الأئمة من أهل البيت
- خاتمة



مقدمة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخين وحبيب رب العالمين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين، وعلى صحبه المنتجبين.

وبعد:

فإن حديث الثقلين من الأحاديث التي يجهلها أغلب المسلمين، والتي غابت أو غيبت عنهم، بفعل سياسات التجهيل، التي قام ويقوم بها أعداء أهل البيت عليهم السلام، وبسبب المحولات النوبية والمستورة لطمس وتغييب حقيقة أهل البيت عليهم السلام وأحقيتهم، امتدادا لما أسس له الأوائل من حقد وبغض وضغائن ضد أمير المؤمنين عليه السلام وضد أهل بيته والأئمة من ولده عليهم السلام. وبالرغم من تواتر الحديث عند كل طوائف المسلمين، وكثرة رواياته من الصحابة والتابعين، واشتهره في أغلب صحاح ومسانيد المسلمين وكتبهم الحديثية، إلا أن أغلب علماء أهل السنة والجماعة لا يعرفونه بل ويجهلونه، وحتى لو عرفه فإنهم يحاولون التقليل من شأنه ولا يطبقون سماعه، أو يؤولونه بتأويلات لا تمت بصلة إلى المعاني والمضامين التي يؤكد الحديث عليها في موضوعه ومضمونه.

ولقد بحث العديد من علمائنا الأجلاء هذا الحديث، ولكن التركيز كان أكثر ما يكون على سنده ورواته، ولم يكن هناك تركيز على الحديث من حيث المتن، إلا من قلة قليلة من الباحثين. مع أن الحديث يعتبر محورا أساسيا ومركزيا من محاور الدين الإسلامي، والذي تنور حوله بل وتربط به عشرات الأحكام العقائدية والشريعة. ولأجل استنفار العقول نحو محورية الحديث، آليت على نفسي الخوض في مضمار متن الحديث، لعلي أضع خطوطا عريضة أقدمها بين يدي القارئ العزيز، لنصل معا إلى حقيقة واحدة، وهي أن دين الله تعالى المأخوذ من الكتاب والعروة الطاهرة، مؤابط مع بعضه، ومنسجم في عقائده وأحكامه مع ضرورات الحياة في كل نواحيها، ولا يتطرق إليه التناقض أو الإختلاف، لأنه من مصدر واحد من الله تعالى الذي خلق هذا الكون فأبدعه.

الصفحة 3

قال تعالى في سورة النساء الآية 82 **{ولو كان من عند غير الله لوجوا فيه اختلافا كثيرا}**.

فكما لا يدخل الخلل أو التناقض في أنظمة الكون الفسيح، لأنها من بديع صنع الله، وتتجلى فيها قدرة الله تعالى، فكذلك

ينطبق الأمر على النظام الديني والمنهجي الإسلامي والإيماني، الذي أقره الله تعالى إلينا من خلال رسولنا الأكرم وأهل بيته المعصومين.

وهذا قد بينه حديث الثقلين، من خلال متونه المختلفة، وهو ما سنقوم بشرحه في هذا البحث المتواضع، والذي بينت فيه أنه لا يوجد على وجه الأرض أحد يطبق مضامين ومواضيع حديث الثقلين، غير الشيعة الإمامية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأما غيرهم فلا وجود لحديث الثقلين عندهم.

سائلا المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وعنوان محبة ووفاء وولاء، لرسولنا محمد وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين، وهدية متواضعة منا لأmir المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام، عسانا ننال محبتهم وحبهم، كما ونتذوق إليه تعالى أن يكرمنا بزيارتهم في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة، إنه نعم المولى ونعم المجيب، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور صلاح الدين الحسيني

الصفحة 4

محورية

حديث الثقلين

في العقيدة والأحكام

روى الترمذي وغيره عن زيد بن رُقم قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إني ترك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتوقا حتى يودا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما .)

وأخرج الطواني عن زيد بن رُقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إني لكم فوط وإنكم ولدون علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، قيل وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الأكبر كتاب الله عز وجل. سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به لن تالوا ولا تضلوا، والأصغر عترتي وإنهما لن يتوقا حتى يودا علي الحوض، وسألت لهما ذلك ربي فلا تقدموهما لتهلكوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم).

وروى في كنز العمال عن حذيفة بن أسيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (يا أيها الناس! إني فوطكم وإنكم ولدون علي الحوض، حوضي عوضه ما بين صنعاء وبصوى، فيه عدد النجوم قدحان من ذهب وفضة، وإني سألتكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، النقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به

ولا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. (حديث الثقلين من الأحاديث المجمع على تواتره والمشهور جدا عند كل طوائف المسلمين، وهو متواتر لفظا ومعنى، ويتطابق ويتلزم مع العشرات من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة، ويرتبط ارتباطا وثيقا وتلزميا بها من حيث الدلالة ووضوح المعنى. ولا أريد طرح الحديث في هذا البحث من حيث السند، فلقد استوفى البحث في سنده العشرات من علماء المسلمين شيعة وسنة، وألّفوا الكتب التي تُظهر بشكل واضح جلي تواتره وإجماع المسلمين على ذلك. ولكنني سوف أتطرق إلى المتن في هذا البحث من حيث الدلالة والتطبيق، ومن حيث ارتباط الحديث بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، التي تشترك معه في

الصفحة 5

المعاني من باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، أو من باب تلّزمها وتطابقها في المعنى والمضمون. بعبارة أخرى ربط الحديث بكل ما يتعلق بموضوعه ومضمونه مع القرآن والحديث، وهو الأمر المهم جدا والذي غاب أو غُيبَ عن كثير من المسلمين بفعل التأويلات الخاطئة، أو من خلال تحويل المعنى إلى مسلمات تخالف واقع متن الحديث ودلالاته وتطبيقاته، من أجل إبعاد المسلمين عن أهل البيت عليهم السلام وعن خطهم وهدبهم وصراطهم المستقيم. ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المبغضون لأهل البيت عليهم السلام، فلقد ظهر الحديث بأجلى صورته في صحاح ومسانيد وسنن المسلمين، وثبت تواتره بشكل قطعي لا يقبل الشك. ولكن المسلمين غاب أو غُيبَ عنهم أن العمل بالحديث المتواتر واجب، وتطبيقه ضرورة شوعية لا بد من العمل بها، وهو كالعامل بالآيات القرآنية القطعية الثبوت القطعية الدلالة، من خالف في تطبيقها فقد ارتكب إثما عظيما، ومن أنكروها فقد خرج عن ملة الإسلام.

وعلى ذلك كان لا بد من النظر في متن الحديث نظرا مستنوا، من أجل الوصول إلى معانيه ومضامينه الحقيقية، وحتى تظهر الحقائق التي غيبتها علماء السوء من أجل طمس حقيقة وأحقية أهل البيت عليهم السلام، مع ضرورة لفت النظر إلى أنني لا أدعي الإحاطة في معاني ومتعلقات الحديث، وإنما هي نظرات من مستبصر في حقيقة أهل البيت وأحقيتهم عليهم السلام.

المتواتر والآحاد:

ومن الغريب والعجيب جدا أن يترك علماء المسلمين النظر في هذا الحديث مع اشتهاه وتواتره، ويستبدلون به رواية مقطوعة السند وهي الموجودة في موطأ مالك، ووضعوا في متنها بدل جملة (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وضعوا بدلا منها (كتاب الله وسنتي)، كل ذلك حقا وبغضا على أهل البيت عليهم السلام.

الصفحة 6

ومع وضوح وضع رواية كتاب الله وسنتي، إلا أن أغلب علماء المسلمين يعتمدونها في خطبهم ومحاضراتهم، وأذكر مرة أن أحد إخواننا المؤمنين قد بين وضع هذه الرواية لأحد العلماء من خطباء المساجد في بلادنا، وأثبت له أن الواجب هو العمل

بالرواية المتواترة، والمفاجأة كانت أن ذلك الخطيب لا يعلم عن حديث الثقلين شيئا، واعترف أنها المرة الأولى التي يسمع عن مثل هذا الحديث، فطلب منه الأخ المؤمن أن يوضح ذلك في خطبه فكما يقال إذا عرفت فالزم.

لكن وللأسف لم يستجب ذلك العالم الذي يخطب على منبر رسول الله إلى أمر الله ورسوله، بل استجاب إلى ما فيه تحقيق لرغبات النفس والأهواء، وكانت النتيجة أن قاطع ذلك الخطيب الأخ المؤمن من الزبيلة خراء له على إظهاره الحقيقة التي فيها رضى الله ورسوله، حيث اعتوها جريمة نكراء.

وفي مرة سألت أحدهم مفتي المدينة عندنا عن حديث الثقلين، فأجابته بأن هذه الأحاديث أحاديث شيعة، ثم راجعني ذلك السائل فقلت له بل هي أحاديث أهل السنة وموجودة في الصحاح والسنن والمسانيد وبينت له مواقعها، فعاد ليسأل فضيلة المفتي عنها وأنه وجدها في كتب الأحاديث عند أهل السنة، فأجاب المفتي بأنها نعم موجودة ولكننا لا نعمل بها، وهكذا كانت الفتوى من فضيلة المفتي.

وأكثر ما يقال في رواية كتاب الله وسنتي، أنها حديث آحاد هذا إن صحت، وحديث الآحاد لا يعرض المتواتر بل ويجب تقديم الحديث المتواتر على حديث الآحاد، لأن الحديث المتواتر مقطوع بصدوره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من حيث الثبوت مثله مثل القرآن الكريم، وهذا هو الموجود في كتب الأصول.

ثم إننا لو أخذنا تلك الرواية بعين الاعتبار، فإنها أيضا تنطبق على حديث الثقلين، لأن السنة لا بد لها ممن يعيها ويحفظها ويونها ويبلغها للناس بشكلها وصورتها التي أرادها رسول الله صلى الله عليه وآله، وبمراجعة مرحلة الصحابة وما بعدها نجد أن أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هم الذين توارثوا بحفظ ورعاية ووعاية وتبليغ

الصفحة 7

سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، بينما ترك المسلمون سنة رسول الله ومن بينهم عدد كبير من كبار الصحابة بل وإنهم منعوا من تنوينها ونشوها وظل ذلك المنع سريا إلى أن جاء عصر التنوين عند أهل السنة بعد القرن الثاني للهجرة النبوية. وأيضا فإن النصوص الشرعية التي وردت عند كل فئات المسلمين وطوائفهم تشير إلى أخذ سنة رسول الله وتعلمها من أهل البيت عليهم السلام، وعليه فإن تلك الرواية إن صحت تشير بشكل واضح إلى أهل البيت عليهم السلام. وحديث الثقلين ومن خلال تواتره ومتونه المختلفة، يتضمن محطات هامة جدا يجب التوقف عندها، استنبطتها من المتن المتعددة لحديث الثقلين في صحاح ومسانيد وسنن المسلمين، تلك المحطات الهامة التي تغافل عنها وعن البحث في مضامينها ومواضيعها علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة.

ولأن حديث الثقلين ومن خلال كل عباراته يعتبر من الأحاديث المحورية التي تدور حولها وتربط بها عشرات الآيات والأحاديث، ويرتبط الحديث أيضا ارتباطا وثيقا بموضوع الإمامة وولاية أهل البيت وكذلك عصمتهم وبضرورة اتباعهم والإقتداء بهديهم وأيضا يرتبط بموقعيتهم عليهم السلام وأهميتهم في تحديد المؤمن والمنافق.

وهناك في حديث الثقلين عشرات القضايا الإسلامية المحورية والمصيرية ترتبط ارتباطا وثيقا بأهل البيت عليهم السلام من ناحية العقائد والأحكام وهو ما سألفت النظر إليه من خلال نظراتنا وشرحنا البسيط لجمل وعبارات الحديث. فكان لا بد من الوقوف على كل تلك المحطات المحورية الهامة بشيء من التفصيل، حتى تتبين أهمية حديث الثقلين في دين الإسلام، وضرورة تطبيقه بتمامه من قبل كل المسلمين، وحتى يُنظر لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله على أنها وحى من الله تعالى يجب أن تحمل على محمل العناية والإهتمام الشديد، لأنه صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى وأن طاعته هي طاعة الله تعالى ومعصيته هي عين معصية الله تعالى.

قال تعالى في سورة الحشر الآية 7 **﴿لَوْ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخْنُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**.

الصفحة 8

إهتمام الرسول بتكوار حديث الثقلين:

فمن المحطات الرئيسية في الحديث أن النبي الأكرم قد ذكر الحديث على هوى ومسمع كل المسلمين في أكثر من مناسبة، مما يدل على أهميته للمسلمين، فلقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد عودته من الطائف، وفي حجة الوداع على جبل عرفات وفي منى أيضا، وذكره في خطبته الشهوة المتواترة بعد عودته من حجة الوداع وقبل الوصول إلى المدينة في غدير خم يوم الثامن عشر من ذي الحجة، كما ذكره في المدينة المنورة من على منوه الشريف أكثر من مرة، وكذلك قبل وفاته في الحجة النبوية الشريفة، وكانت الحجة غاصة بالمسلمين وهو يوم رزية الخميس كما وصفها ابن عباس رضي الله عنه.

وهذا التكرار المستمر من رسول الله صلى الله عليه وآله، خصوصا في الأماكن العامة والمناسبات الكبيرة التي عادة ما يجتمع فيها خلق كثير، كموسم الحج والأعياد وعند العودة من الحج وفي أيام الجمعة، وهو ما كان يفعله رسول الله وفي كل مناسبة دائما يلقي على الناس حديث الثقلين بكل ما يحمله من مضامين، وهذا ينبى عن أهمية عظيمة، ومحورية أساسية وضرورية للحديث، ولأجل مركزيته في العقائد والأحكام، كان رسول الله صلى الله عليه وآله دائما وبشكل مستمر يلفت النظر إلى أهمية حديث الثقلين.

ثم إن عدد الرواة للحديث من الصحابة والتابعين يفوق الحصر، مما يدل على أن غالبية المسلمين قد سمعوا الحديث ووعوه، ونقلوه لمن بعدهم، وهذا كان من الأسباب الرئيسية التي جعلت الشيعة الإمامية يلتزمون بمضامين الحديث منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى يومنا هذا، بينما بقية المسلمين لا يعملون به بل لا يعرفه الكثير من علمائهم، ومنهم من لا تستطيع آذانهم سماعه. ولأجل إقامة الحجة على العباد كان عدد رواة الحديث من الصحابة

الصفحة 9

وغوهم كبوا جدا، حتى تكون الحجة أبلغ وأوضح أمام جميع الناس، فله الحجة البالغة التي تقطع عذر المحوج، وتزيل الشك عن نظر فيها.

وإليك أخي الكريم عبارات حديث الثقلين عبارة عبارة، أوضحها وأشرحها محللاً وربطها مع النصوص، ومظهوراً تلامها مع العديد من الأحكام والعقائد.

إني فوطكم على الحوض

وردت جملة إني لكم فوطواي فوطكم على الحوض في العديد من متون حديث الثقلين، ومعناها أن رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول إني متقدمكم وسابقكم على الحوض في القيامة الكوى، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، أنتظركم هناك أيها المسلمون، حتى رى ما فعلتم بأمر الله ووصيتي لكم، وسوف تسألون عن ذلك.

حقيقة الحوض:

ما هو الحوض؟ ولماذا اختار الرسول صلى الله عليه وآله السبق والإنتظار على الحوض؟. وما هي أهمية الحوض بالنسبة إلى المسلمين؟.

روى في صحيح مسلم عن أنس قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: قلت علي أنفا سورة، فقرأ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وأنحر. إن شانئك هو الأبتر**. ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟. قلنا الله ورسول أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول إنه من أمتي، فيقال إنك لا توري ما أحدث بعدك.

وأهمية الحوض يوم القيامة كبيرة جداً، فالعطش يومئذ شديد، والناس في كرب عظيم، وشربة ماء في ذلك الموقف غالية الثمن، لا يستحقها أحد إلا ضمن شروط مخصوصة، حددها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل انتقاله إلى الرفيق

الصفحة 10

الأعلى، وبين لنا صفات من يشرب من الحوض ومن يمنع من الشرب. يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، في ذلك الموقف حيث تتجلي الحقيقة وتظهر.

روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد قال، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إني فوطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، لودنَّ علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم. قال أبو حزم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخوي، لسمعته وهو يزيد فيها: (فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا توري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيراً بعدي).

فمن أوفى بتلك الشروط، شرب من الحوض شربة لا يظماً بعدها أبداً، ولا يسود وجهه أبداً، وأما من خالف وغير وبدل فإنه يحال بينه وبين الحوض فلا يشرب مع أن عدد الآنية على الحوض عدد نجوم السماء، وهو من حيث السعة فإنه يسع

الجميع.

وعليه فإن من لم يحدد له موقعا على الحوض في هذه الدنيا ولا يعمل لذلك، فلن يسعفه الحال في ذلك الموقف العظيم، يوم القيامة يوم العطش الأكبر.

قال تعالى في سورة آل عمران الآية 106-107. **{يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفروتم**

بعد إيمانكم فنوقوا العذاب بما كنتم تكفرون}.

روى الطوي في جامع البيان قال، حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **{يوم تبيض وجوه وتسود وجوه}** ... الآية، لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون، ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: "والذي نفس محمد بيده، ليردن علي الحوض ممن صحبني أقوام، حتى إذا رفوا إلي ورأيتهم اختلجوا دوني، فلاقولن رب أصحابي أصحابي، فليقالن إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك. وقوله: **{وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله}** هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله، قال الله عز وجل: **{ففي رحمة الله هم فيها خالدون}**.

الصفحة 11

وعليه فإن هذه المحطة من حديث الثقلين تبين أن هناك الحوض وهو الكوثر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله ينتظر المسلمين عليه، وأن هناك شروط وعهود ومواثيق، من استوفاه في الدنيا فإنه يكون مع الشربين في يوم العطش العظيم، وأما من أحدث في دينه ونافق وخالف، فإنه سوف يذاد عن الحوض كما يذاد البعير.

وأما شروط الورود على الحوض، فهي موجودة في متن الحديث حيث يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ترك لنا الكتاب أي القوان الكريم وأهل البيت عليهم السلام من بعده، من اتبعهما فإنه لن يضل أبدا، ومن خالفهما فإنه لا محالة ضال، وسوف يجد من يمنعه من الورود على الحوض يوم الورد المورود.

ولذلك كانت أهم الشروط التي تجيز الورود على الحوض والشرب منه هي التمسك بالكتاب والعزة الطاهرة معا، والوفاء بالعهد مع أهل البيت عليهم السلام، من خلال موالاتهم ومحبتهم والإقتداء بهديهم، وسوف نفصل في هذا الموضوع أكثر عندما نحتاج إلى التفصيل.

إن الناظر المدقق في متن حديث الثقلين وفي متونه المختلفة أيضا، يجد أن في بدايته إشارة إلى الحوض، ثم يجد موضوع الحوض مكررا مرة أخرى في آخه عبارة (حتى يردا علي الحوض) وهما الكتاب والعزة الطاهرة، فعندما يؤكد رسول الله صلى الله عليه وآله في بداية الحديث أنه سابق ومنتظر على الحوض، فإنه يؤكد على ضرورة الالتفات إلى ماهية الحوض وأهميته للناس في ذلك الموقف العظيم، فكان لابد من معرفة الحوض ومعانيه وأوصافه وتشويق الناس إلى نعمة الورد عليه، فكان هذا الكم الهائل من الأحاديث التي توضح للناس كل معاني الحوض.

ومن المهم جدا هنا أن أذكر القارئ الكريم، أن جميع علماء المسلمين اتفقوا على أن أحاديث الحوض وأوصافه وشروط

الورود عليه مقوامة، حتى أن من تشدد منهم في شروط الحديث المواتر، اعتبر حديث الحوض من الأحاديث

الصفحة 12

المؤاظة، وهذا كما قلت تأكيد واضح على ضرورة أن لا يغيب موضوع الحوض عن أحد من المسلمين.
وقد روى البخاري في صحيحه، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للأَنْصار (إنكم سترون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على الحوض). قال أنس: فلم نصبر.
وروى النسائي وغيره عن كعب بن عجرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن تسعة، فقال: إنه ستكون بعدي أمراء من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس يورد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو يورد علي الحوض.

لاحظوا كيف جعل رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله الحوض محطة التقاء موكبية في يوم القيامة، وذلك من خلال أحاديثه الثوية التي ركزت على معنى الحوض وحقيقته، وكل ذلك من أجل أن يركز المسلم وينتبه إلى كيفية الوصول إلى الحوض، وحتى يتجنب كل الموانع ويجتاز كل العوائق التي تحول بينه وبين لقاء رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام على الحوض.

روى الترمذي، والبيهقي عن أنس قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل. قلت: يارسول الله أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبي عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبي عند الحوض، فإنني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن.

أما لماذا ينتظر رسول الله صلى الله عليه وآله على الحوض؟ وماذا ينتظر هناك؟ وما هي الأمور التي سوف نسأل عنها حتى يؤذن لنا في الشرب؟ وماهي شروط الورد على الحوض التي يجب أن نحققها في الدنيا؟ ومن سيكون مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسقي قسما من الناس وينود قسما آخر؟. فإن جواب كل تلك الأسئلة سوف يأتي في محله. لكنه من المهم أن نعرف أن في الحديث أمر يدل على بداية غاية وهي الحوض، وفي آخه

الصفحة 13

نهاية غاية وهي عبلة حتى يودا علي الحوض، وما بين البداية والنهاية أمور كثرة يفصلها حديث الثقلين تأتي في محلها إن شاء الله تعالى.

روى الحاكم في المستدرک وصححه عن مصعب بن عبد الرحمن عن أبيه قال: افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة، ثم انصوف إلى الطائف فحاصوهم ثمانية أو سبعة، ثم رتل غوة وروحة، ثم قول ثم هجر، ثم قال (أيها الناس إني لكم فرط، وإني أوصيكم بعوتي خوا موعدكم الحوض، والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن عليكم رجلا مني أو كنفي فليضوبن أعناق مقاتلهم وليسبين نرليهم، فأى الناس أنه يعني أبا بكر أو عمر، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: (هذا).

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن موديه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم تسمع قول الله: **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}** أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض

يوشك أن أدعى فأجيب

هذه العبارة من حديث الثقلين، ترتبط أيضا بحديث الولاية، وتتطابق معه حتى في نفس الموضوع والمضمون، حتى أنك تجد أن بعض الروايات تدمج بين حديث الثقلين وحديث الولاية، مما يؤكد وحدة الموضوع والمضمون، والتي تبرز في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام.

فقد روى في مجمع الزوائد عن حذيفة بن أسيد الغفري قال: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع نهى أصحابه عن سموات متفوقات بالبطحاء أن يتولوا تحتهن، ثم بعث إليهن، فقم ما تحتهن من

الصفحة 14

الشوك، وعمد إليهن فصلى عندهن، ثم قام فقال: يا أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله، وإني لأظن يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟. قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت، فذاك الله خراً. قال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق ونوره حق، وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟. قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد. ثم قال: يا أيها الناس إن الله هلاكي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت هلاكي فهذا هلاكه. (يعني علياً عليه السلام) اللهم وال من والاه وواد من عاداه. ثم قال: يا أيها الناس إني فوط وأنتم ورثون على الحوض، حوض أعرض ما بين بصوى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سألتكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله عز وجل وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به، ولا تفلتوا ولا تبدلوا. وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفوقا حتى يردا علي الحوض.

هذا التطابق والتشابه في الموضوع بين الآيات والأحاديث، أمر يجب الالتفات إليه دائماً، لأن ذلك يبين المحور الأساسي الذي تقوم عليه تلك الآيات والأحاديث التي سوف نعرضها، وكذلك تبين المحور الأساسي الذي يقوم عليه بحثنا هذا، وهو ولاية أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وسوف يجد الباحث المنصف من خلال التطابق الذي سأحاول أن أوضحه في كل جمل وعبارات حديث الثقلين مع العديد من الآيات والأحاديث ليجد أن ولاية أهل البيت عليهم السلام هي محور أساسي في جزئيات الإسلام وكياناته، وبشكل واضح ومتلائم يوضح الإفادة الإلهية في أمر الوصاية والولاية لأهل البيت عليهم السلام.

ولنعد إلى جملة (يوشك أن أدعى فأجيب) والتي وردت أيضا بألفاظ مختلفة في متون أخرى، والمهم هو أن نحاول معا أن نستنبط مواد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من تلك الجملة.



وصية رسول الله:

إن الرسول محمد صلى الله عليه وآله يخبر المسلمين كافة أن موعد لقائه بربه قد اقترب، وهذا ظاهر في لفظة يوشك وهي من أفعال المقربة) وأن الانتقال إلى الوفيق الأعلى قد آن وأنه، وأن واجب النوبة والرسالة يوجب عليه أن يوصي المسلمين بوصية، فكما علمنا أن نوصي، وأن لا ينام أحدنا إلا ووصيته تحت وسادته، فهذا هو عليه وآله الصلاة والسلام يوصي كل تلك الحشود من المسلمين وفي أكثر من موقف حتى يعلمهم وصيته، وأنه يريد أن يطبق ما علمهم من أمر الوصية استجابة لأمر الله تعالى.

قال تعالى في سورة البقرة الآية: 180 **{كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين}**.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما حق امرئ مسلم، له شيء يوصي فيه، يبیت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده).

ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، ليست كأية وصية، بل يجب أن تحمل على محمل الجد، وأن يطبقها المسلمون من بعده، ولكنهم أنكروا أن يكون رسول الله قد أوصى، ويتهمونه بأنه أمر بالوصية ولم يوص. روى البخاري في الصحيح قال حدثنا طلحة ابن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية، أو أمروا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله. إن في منطوق ومفهوم حديث الثقلين دلالة واضحة على موضوع الوصية، لا ينكها إلا الجهلاء أو المنافقين المبغضين لأهل البيت عليهم السلام، وهذه الوصية قد نادى بها رسول الله منذ بداية دعوته وحتى يوم وفاته، فحديث

الدار كان من الأحاديث التي تحمل معنى الوصية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليه السلام. فقد روى في كنز العمال عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بني عبد المطلب! إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأبكم يؤزرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا وقلت: يا نبي الله! أكون وزيرا لك عليه؟ فأخذ برقبتي ثم قال: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. ورواه الطوسي وأحمد وغوهما كثير.

ولقد كرر رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الوصية طيلة حياته وفي مواقف ومناسبات متعددة، ثم أحب الله تعالى أن يؤكد على المسلمين كافة، لأن الوصية هنا ليست شأنًا شخصيًا من رسول الله بل هي أمر وجعل إلهي، فأود الله أن يؤكد بعد عودة رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، فأقول الله تعالى على رسوله أمرا بإبلاغ الوصية للمسلمين، وأقول قوله تعالى من سورة المائدة. الآية: 67 **{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك**

من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين}.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن أبي حاتم وابن مودويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخوري قال: تولت هذه الآية **{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}** على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدِير خم، في علي بن أبي طالب.

وأخرج ابن مودويه عن ابن مسعود قال: كنا نقو على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}** إن عليا مولى المؤمنين **{وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس}**.

وبعد أن بلغ رسول الله المسلمين ما أمره الله تعالى فيما يتعلق بالوصية بالإمامة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تولت أيضا آية

الصفحة 17

أخرى، وهي آية إكمال الدين وتمام النعمة، فكان إكمال الدين بالأمر ولاية علي عليه السلام، وتمام النعمة على المسلمين بمولاته وإمامته عليه السلام، ولذلك نستطيع ومن خلال تطابق المعاني أن نطلق على حديث الثقلين حديث كمال الدين وتمام النعمة. وكذلك حديث الولاية (من كنت هولاه فهذا علي هولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصوه، واخذل من خذله) نستطيع أيضا أن نطلق عليه حديث إكمال الدين وتمام النعمة.

وبعد أن أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله وصيته أمام الناس كافة، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب، استفتوت قريش، واستنفر المعتضون على أمر الله ورسوله، المعترضون لإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ونتيجة لإستنفار المعتضين على رادة الله تعالى ووصية رسوله صلى الله عليه وآله، فقد حصلت حادثة هامة جدا، تبين حقيقة أخرى مرتبطة بحديث الثقلين، وهي أن كل من رفض الأمر الإلهي فيما يتعلق بالإمامة والولاية واعتوض على ذلك، فإن مصوره العذاب الواقع الذي ليس له من الله دافع.

فلقد ذكرت مصادر المسلمين كافة، أن الحرث بن النعمان الفهوي أتى النبي صلى الله عليه وآله على ناقه وكان بالأبطح (أبطح المدينة المنورة) فقتل وعقل ناقته، وقال للنبي صلى الله عليه وآله وهو في ملاء من أصحابه، يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلنا منك ... ثم ذكر سائر أركان الإسلام ... ثم لم ترض بهذا حتى مددت بضبعي ابن عمك وفضلته علينا وقلت: من كنت هولاه فعلي هولاه! فهذا منك أم من الله؟. فقال صلى الله عليه وآله: والله الذي لا إله إلا هو، هو أمر الله.

فولى الحرث يريد راحلته وهو يقول: **{اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم}** فما وصل إلى راحلته، حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دونه، وأقول الله تعالى **{سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعرج}**.

الصفحة 18

محاولة الرسول تدوين الوصية:

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد كل تلك التأكيدات الشفوية على مسمع كل المسلمين، أراد أن يجعل الوصية مكتوبة مدونة قبل وفاته بثلاثة أيام، فأمر الصحابة ومن حضر عنده من الجوع، أن يأقوه بواوة وكتف ليكتب لهم كتاباً ووصية حتى لا يضلوا بعده أبداً. وسنتطرق إلى موضع تلك الحادثة وتطابقها مع حديث الثقلين في محلها إن شاء الله تعالى.

ثم وفي آخر لحظات حياته صلى الله عليه وآله وسلم أكد معنى الوصية وموضوعها ومضمونها للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وقد سمع وشاهد ذلك كل من حضر في الحجرة النبوية الشريفة.

روى الهيثمي في مجمع الزوائد، والطواني في الكبير عن علي بن علي الهلالي عن أبيه قال (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه. قال: فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفه إليها، فقال: "حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟". فقالت: أخشى الضيعة بعدك، فقال: "يا حبيبتي أما علمت أن الله عز وجل أطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم أطلع اطلاعة فاختار منها بعلك، وأوحى إلي أن أنكحك إياه، يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تعط لأحد قبلنا ولا تعطى أحداً بعدنا. أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل، وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء، وأحبهم إلى الله، وهو عمك حفصة بن عبد المطلب وعم بعلك، ومنا من له جناحان أخضوان يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدي شباب أهل الجنة، وأوهما والذي بعثني بالحق خير منهما. يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هجاً وموجاً وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عز وجل عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة، وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين آخر الزمان كما

الصفحة 19

قمت به في أول الزمان، ويملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً. يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي فإن الله عز وجل رحم بك ورأف عليك مني، وذلك لمكانك من قلبي، وزوجك الله زوجاً وهو أشرف أهل بيتك حسباً وأكرمهم منصباً ورحمهم بالوعة وأعدلهم بالسوية وأبصوهم بالقضية، وقد سألت ربي عز وجل أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي).

إني ترك فيكم

وعليه فإن الرسول قد أوصى، وأكد على الوصية، من خلال ما ذكرت من بعض الدلائل، ولكننا عند العودة إلى متن حديث الثقلين نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله يطابق كل الأدلة على الوصية لأمر المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام مع متن حديث الثقلين وذلك في عبارة (إني ترك فيكم) أو بلفظ آخر (توكت فيكم) أو (مخلف فيكم) أو (خلفت فيكم).

وهذه الألفاظ تؤكد وبشكل آخر، أنه صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله سوف يتوكل هذه الدنيا وينتقل إلى الوفيق الأعلى، ولكنه سوف يتوكل ما في وجوده يمثل وجود رسول الله، ويكون دوره من نور موقعية رسول الله في هداية المسلمين

وتبيين ما يختلفون فيه. فيتحدث رسول الله من وجهة نظر المطمئن على أمته أنني تركت فيكم ما يؤكد على وجودي بينكم، فإنه لن ينقطع النور الرسالي بانتقالي إلى الوفيق الأعلى، بل إن الرسالة سوف تستمر فيما تركته عندكم، وسوف أكون معكم وبينكم من خلال ما خلفته فيكم. تركت فيكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده، ليبينوا لكم ما تختلفون فيه من بعدي، وليهدوكم إلى الصراط المستقيم، وليعلموكم أمور دينكم، فهم ولاة الأمر الذين أوجب الله عليكم طاعتهم وموالاتهم، فيجب عليكم معرفة أئمتكم وولاية أمركم حتى تطيعوهم. ويجب عليكم قبولهم والإقتداء بهديهم وسلوك طريقهم.

الصفحة 20

طاعة أولي الأمر:

قال تعالى في سورة النساء الآية 59 **{يأيتها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}**.

روى في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى **{يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}**. إيانا عنى خاصة أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الأوصياء، طاعتهم مفروضة؟. قال نعم هم الذين قال الله تعالى فيهم

{أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}.

وروى في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام في هذه الآية قال تولت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، فقيل إن الناس يقولون فماله لم يسم عليا وأهل بيته في كتابه، قال، فقولوا لهم تولت الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا ولا ربعا حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسر ذلك لهم، وتولت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين توها توهم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسر ذلك لهم، وتول الحجاج فلم يقل طوفوا أسوعا حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتولت **{أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}**، وتولت في علي والحسن والحسين عليهم السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال أوصيكم بكتاب الله وأهل بيته، فإني سألت الله أن لا يفوق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك، وقال لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وقال إنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة، فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبين من أهل بيته، لادعاها آل فلان وآل فلان، ولكن الله أتول في كتابه تصديقا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، **{إنما يريد الله**

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} فكان علي والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين،

فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال

الصفحة 21

صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم إن لكل نبي أهلا وثقلا وهؤلاء أهل بيتي وثقلي. فقالت أم سلمة ألسنت من أهلك؟. فقال إنك على خير، ولكن هؤلاء أهل بيتي وثقلي.

وفي هذا المعنى وردت عشرات الآيات وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة، فكل الآيات التي تأمر بطاعة رسول الله واضحة

الدلالة بوجوب إتباع كل ما يأمر به صلى الله عليه وآله، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولا يمكن أن يوصي رسول الله بشيء إلا وهو على بصيرة من ربه أن ذلك الموصى به هو مراد الله تعالى، وأن متابعة الموصى به تحمي الأمة من الضلال والزيغ، وتحمي إستراتيجية الدعوة المحمدية، كما لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله موجود بيننا. قال تعالى في سورة الحشر الآية 7 **لوما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** .

أي أن ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصى به، هو أمر الله تعالى وهو مراده سبحانه.

مقومات أولي الأمر الذين أوصى بهم رسول الله:

ولذلك ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبين حقائق كثرة، تكشف لكل منصف حقيقة وأحقية ما تركه لنا من بعده، وجاءت الآيات تؤكد ذلك المعنى وتبعتها الأحاديث الشريفة أيضا، بأن ما تركه لنا رسول الله من بعده هو الهدى والصراط المستقيم والسبيل القويم المنجي من الضلال ومن العذاب الأليم.

روى السيوطي في الدر المنثور قال: أخوج ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي وابن عساكر وابن النجار قال: لما قلت **{إنما أنت منذر ولكل قوم هاد}** وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صوره فقال "أنا المنذر، وأوما بيده إلى منكب علي عليه السلام فقال (أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي).

الصفحة 22

وأخوج ابن مردويه عن أبي بزة الأسلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول " **{إنما أنت منذر}** ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على صدر علي ويقول: **{لكل قوم هاد}**.
وأخوج ابن مردويه والضياء في المختلة، عن ابن عباس في الآية. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (المنذر أنا والهادي علي بن أبي طالب عليه السلام).

وأخوج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن أبي حاتم والطواني في الأوسط، والحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر، عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله **{إنما أنت منذر ولكل قوم هاد}** قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا المنذر، وعلي الهادي.

وروى الحاكم في المستترك عن أنس بن مالك أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي). ورواه الديلمي وفي كنز العمال.

وحتى يبين رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ترك بعده قائدا عظيما وإماما قوة للناس قال: (يا علي أنا أقاتلهم على تقريل القآن وأنت تقاتلهم على تأويله). رواه الخوارزمي والقنوزي الحنفي وابن حجر في الإصابة، ورواه في كنز العمال، وغوها كثير.

وأخوج ابن مردويه من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن جابر بن عبد الله: "عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: **{فإما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون}** قلت في علي بن أبي طالب، أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين

بعدي. رواه السيوطي في الدر المنثور.

وروى في مجمع الزوائد عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً على منبركم هذا يقول: عهد إلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أقاتل الناكثين والقاسطين والملقين.

الصفحة 23

ومن المحطات المهمة التي تبين حقيقة ما خلفه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله آية الولاية، وهي قوله تعالى في سورة

المائدة الآية 55 **{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} ..**

روى القوطي في الجامع لأحكام القرآن قال: تولت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وقاله مجاهد والسدي، وحملهم على ذلك قوله تعالى: **{الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}**. وذلك أن سائلاً سأل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعطه أحد شيئاً، وكان علي في الصلاة في الركوع وفي يمينه خاتم، فأشار إلى السائل بيده حتى أخذه.

وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله **{إنما وليكم الله ورسوله**

{...} الآية. قال: تولت في علي بن أبي طالب.

وروى الطواني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال: وقف بعلي عليه السلام سائل وهوراع في صلاة

تطوع، فزع خاتمه فاعطاه السائل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلمه ذلك، فتولت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية

{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} فقأ رسول

الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، ثم قال: من كنت هولاه فعلي هولاه، اللهم وال من والاه واعد من عاداه.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: تولت هذه

الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته **{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...}** إلى آخر الآية. فخرج رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل المسجد، جاء والناس يصلون بين راع وساجد وقائم يصلي، فإذا سائل فقال: يا سائل، هل

أعطاك أحد شيئاً؟ قال: لا، إلا ذلك الراكع (علي بن أبي طالب) أعطاني خاتمه.

وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن سلمة بن كهيل قال: تصدق علي بخاتمه وهوراع، فتولت **{إنما وليكم**

الله} الآية.

الصفحة 24

وروى ابن جرير وغوه عن مجاهد في قوله **{إنما وليكم الله ورسوله...}** الآية تولت في علي بن أبي طالب، تصدق وهو

راكع.

وروى ابن جرير عن السدي وعتبة بن حكيم مثله.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أتى عبد الله

بن سلام ورهط معه من أهل الكتاب نبي الله صلى الله عليه وسلم عند الظهر، فقالوا يا رسول الله، ان بيوتنا قاصية لا نجد من

يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد، وإن قومنا لمارأونا قد صدقنا الله ورسوله وتركنا دينهم أظهروا العدوة وأقسموا ان لا يخالطونا ولا يؤاكلونا، فشق ذلك علينا، فبيناهم يشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ تزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم **{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}** ونودي بالصلاة صلاة الظهر، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا سائل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم. قال: من؟ قال: ذاك الرجل القائم. قال: على أي حال أعطاكه؟ قال: وهو راكع. قال: وذلك علي بن أبي طالب، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وهو يقول **لومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}** المائدة الآية 56.

وبالإضافة إلى كل ما ذكرنا من روايات تؤكد أنها تزلت في علي أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أن تدعيم المعنى وبشكل أكبر وأقوى فإنني أضيف آيات أخرى تدل على مقومات الأئمة الذين خلفهم لئلا رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده لعلها تعطي صورة أوضح لمن يحاول أن يشكك في إختيار الله تعالى للمسلمين. حيث أنها لم تكن العوة الوحيدة التي لا يستجيب لنداء الله ورسوله سوى أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، فكل المسلمين يعرفون سبب نزول سورة الدهر عندما قال الله تعالى في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بعدما تصدقوا بطعامهم أياما متتالية وكانوا محتاجين لذلك الطعام حيث أنهم

الصفحة 25

كانوا يوفون بنذر نذره الله تعالى من خلال الصوم فمدحهم الله تعالى وأقر سورة الدهر.

قال تعالى في سورة الإنسان الآيات 7 - 9 **{يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطورا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا}**.

ثم إليك آية النجوى التي لم يطبقها إلا أمير المؤمنين عليه السلام ولن يطبقها أحد غيره، عندما أمر الله تعالى المسلمين إذا رأوا أن يناجوا رسول الله صلى الله عليه وآله فعليهم أن يقدموا بين يدي نجاها صدقة، فلم يستجب أحد لذلك الأمر الإلهي سوى علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال تعالى في سورة المجادلة الآية 12 **{يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجاكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم}**.

روى الحاكم في المستدرک وغوه كثير عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد، ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى. **{يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجاكم صدقة}**.

قال عليه السلام: كان عندي دينار، فبعته بعشوة رواهم، فناجيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكنت كلما ناجيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدمت بين يدي نجواي وهما، ثم نسخت، فلم يعمل بها أحد، فقلت: **{أأشفقتم أن تقدموا بين يدي**

نجاكم صدقات} [المجادلة: 13] الآية.

وروى القوطي في الجامع عن ابن عمر أنه قال: ابن عمر: لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاثة لو كانت لي واحدة منهم كانت أحب إلي من حمر النعم: ترويجه فاطمة، وإعطوه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مودويه عن ابن عباس في قوله: **{إذا ناجيتم**

{الرسول} الآية قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه، فَرَادَ اللهُ

الصفحة 26

أن يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم، فلما قال ذلك: امتنع كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأقول الله بعد هذا

{أشفقتم} الآية فوسع الله عليهم ولم يضيق.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج عبد الزقاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مودويه عن علي

قال: ما عمل بها أحد غوي.

وروى السيوطي أيضا قال أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي صلى

الله عليه وسلم حتى يقدموا صدقة فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب، فإنه قد قدم دينارا فتصدق به، ثم ناجى النبي صلى الله عليه

وسلم فسأله عن عشر خصال. ومن أحب أن يعرف عن تلك العشر خصال فليراجع كتاب الكافي وغوه من كتب الحديث.

ومن الدلائل والمقومات على حقيقة ما خلفه وتركه لنا رسول الله من بعده فهم أولي الأمر الذين اجتباهم واختلهم الله لنا

وهم علي والأئمة من ولده عليهم السلام الروايات التالية.

وروى السيوطي في الجامع الصغير عن ابن عباس وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أنا مدينة العلم،

وعلي بابها، فمن راد العلم فليأت الباب).

وروى السيوطي والطواني والحاكم عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (علي مع القآن والقآن مع

علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

ثم إن هناك عشرات الحوادث والمسائل التي عجز عن معرفتها والإجابة عليها كل الصحابة بعد رسول الله، فلم يكن يحل

كل تلك المسائل والإشكالات أو يجيب عن المسائل المستعصية إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكتب

الصاحح والسنن شاهدة على ذلك، ولا يتسع المقام لذكرها كلها في هذا البحث، لكنها كلها تبين أعلمية ومعرفة وشجاعة

وأفضلية أمير المؤمنين الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وآله ليبين لأئمة ما يختلفون فيه من بعده، ولقد شهد بذلك كل

الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر.

الصفحة 27

فلقد روى في فتح الباري شرح صحيح البخاري عن رواية سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها

أبو الحسن.

وروى مالك قال: لم يكن أحد من الصحب يقول: أسألوني إلا علي بن أبي طالب.

وروى السيوطي وغير أن عمر كان يقول: **لولا عليّ هلك عمر واتفق له مع أبي بكر.**

وروى في مجمع الزوائد عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعلي: يا علي من فرقني فرق الله ومن فرقك فرقني. ورواه الزوار.

حقيقة الإستغفار:

ومما يلفت النظر في تبيان أهمية ما خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله لأمته، وتركه بعد وفاته، وأوصى بالتمسك به حتى يكون سببا للنجاة من العذاب، ونجاة من الزبغ والضلال، وهو الإستغفار والمغفرة والغوان، ويتمثل المعنى الحقيقي في هذه الكلمات من خلال قوله تعالى في سورة الأنفال الآية: 33 **لوما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم**

يستغفرون}.

والإستغفار الحقيقي معناه ولاية الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام والدخول في طاعتهم وموالاتهم والإقتداء بهديهم، وهذا المعنى تستطيع أن تستنبطه مما سأذكره من آيات وأحاديث من خلال تباطها مع بعضها وتلازمها في المعنى والمضمون والموضوع.

فالإستغفار في الآية معناه الأمان من العذاب والأمان والنجاة في الدنيا والآخرة، ومعناه التسليم لأمر الله، ومعناه الإستسلام. أليس الدخول في ولاية أهل البيت عليهم السلام أمان ونجاة وبعد عن الضلال والهلاك؟.

وذكر القطبي في الجامع لأحكام القرآن عن عكرمة ومجاهد أن معنى يستغفرون في الآية هو يسلمون ويستسلمون.

الصفحة 28

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: الاستغفار على نحوين:

أحدهما في القول، والآخر في العمل. فأما استغفار القول فإن الله يقول **لولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول}** وأما استغفار العمل فإن الله يقول **لوما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}** (الأنفال الآية 33) فعنى بذلك أن يعملوا عمل الغوان.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان في هذه الأمة أمانان: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والاستغفار، فذهب أمان، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبقي أمان، يعني الاستغفار.

وروى الترمذي والسيوطي في الجامع الصغير عن أبي موسى قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أقول الله علي أمانين لأمتي **لوما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}**، **لوما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}** فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة). ورواه الحاكم عن أبي هريرة.

ولو طابقنا معاني الإستغفار التي هي الأمان والنجاة من العذاب والإستسلام لأمر الله ورسوله، مع بعض الأحاديث التي سوف أذكرها لك، لوجدنا وبشكل واضح لا يستشكل على أحد أن الإستغفار معناه الدخول في ولاية أهل البيت عليهم السلام،

وهو التمسك بالكتاب والعروة الطاهرة.

فقد روى السيوطي في الجامع الصغير عن سلمة بن الأكوع قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي). ورواه أبو يعلى في مسنده.

وروى الحاكم في المستدرک عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (أهل بيتي أمان لأمتي).

وروى الحاكم عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا، فصاروا حزب إبليس).



وعليه فإن أهل البيت عليهم السلام أمان لنا من الإختلاف ومن العذاب ومن الضلال، وقد بينت الأحاديث السابقة أن الله ترك لنا بعد رسول الله أمان وهم أهل البيت عليهم السلام.

ثم انظر إلى الحديث الآتي، الذي يحدد معنى الإستغفار والغفوان والمغفرة بأنه الدخول في ولاية أهل البيت عليهم السلام والتمسك بهم وبهديهم وطاعتهم والإعتراف بإمامتهم بعد رسول الله وبشكل واضح.

فقد روى في مجمع الزوائد عن أبي سعيد الخوري قال، سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له.) (ورواه الطواني في الكبير والأوسط. ورواه في كنز العمال عن أبي زر).

ومعنى الحديث أن من دخل في ولايتهم عليهم السلام غفر له، مما يؤكد معنى الإستغفار بأنه الأمان بأهل البيت والنجاة من العذاب بمتابعة أهل البيت، والهداية بالإقتداء بأهل البيت، والمغفرة بالدخول تحت طاعتهم.

وإليك الآية التالية التي تبين ترابط معنى المغفرة والتوبة والعمل الصالح والهداية والإهداء ولاية أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم.

قال تعالى في سورة طه الآية 82 **{وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى}**.

روى الطوي في الجامع قال حدثنا إسماعيل بن موسى الؤري، قال: أخبرنا عمر بن شاکر، قال: سمعت ثابتا البناني يقول في قوله: **{وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى}** قال: إلى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كلمات الله:

وقال تعالى في سورة البقرة الآية 37 **{فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم}**.

فهم عليهم السلام كلمات الله، فليست كلمات الله تعالى في الآية تختص بالكلام المحكي والمدون، وإنما تعني أشخاصا معينين، وهم النبي محمد والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وهذا ورد في القرآن الكريم في غير الآية المذكورة، بحيث يكون المقصود بكلمات الله أشخاصا معينين، كقوله تعالى في خصوص نبي الله عيسى عليه السلام.

قال تعالى في سورة النساء الآية 171 **{يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى**

ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن النجار عن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن

الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال: (سأل بحق محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، ألا تبت علي فتاب

عليه).

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس أن آدم عليه السلام قال: (اللهم إنني أسألك بحق محمد وآل محمد، سبحانه لا إله إلا أنت

عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانه لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم. فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم).

وروى في بحار الأنوار عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما تولت الخطيئة بآدم و أخرج من الجنة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم أذع ربك، قال يا حبيبي جبرئيل ما أذعو؟ قال قل رب أسألك بحق الخمسة الذين تخرجهم من صليبي آخر الزمان إلا تبت علي ورحمتي، فقال له آدم يا جبرئيل سمهم لي، قال قل اللهم بحق محمد نبيك وبحق علي وصي نبيك وبحق فاطمة بنت نبيك وبحق الحسن والحسين سبطي نبيك إلا تبت علي فلحمني، فدعا بهن آدم فتاب الله عليه، وذلك قول الله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، وما من عبد مكروب يخلص النية ويدعو بهن إلا استجاب الله له.

الصفحة 31

وبذلك يتوضح أيضا معنى كلمات الله، فقد ثبت أن النبي محمد والأئمة المعصومين هم كلمات الله التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.

وهم عليهم السلام أيضا الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، فمن اتبعهم اهتدى ومن اهتدى كان على الحق ومع الحق، ومن تركهم وتروك ولايتهم وهداهم ضل، ومن ضل كان على الباطل ومع الباطل، ولا يعرف الحق إلا بهم، فهم الحق وأهل الحق.

قال تعالى في سورة الأنفال الآية 8 **لو يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليق الحق ويبطل الباطل ولو**

كره المجرمون}.

وقال تعالى في سورة يونس. الآية: 82 **لو يحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون}.**

وقال تعالى في سورة الشورى الآية 24 **لو يمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور}.**

الوسيلة إلى الله تعالى:

ولتوضيح معنى الإستغفار والغوان والمغفرة وكلمات الله المرتبطة لرتباطا وثيقا ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولاية أهل البيت وإمامتهم، يجب أن نبين معنى الوسيلة إلى ذلك.

قال تعالى في سورة المائدة الآية 35 **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة}.**

وقال تعالى في سورة الإسراء الآية 57 **{أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته**

ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا}.

والوسيلة هي التوبة، والتوب إلى الله تعالى بمحابه وبما يرضيه، وهي الإيمان كما ورد في عدد من الروايات.

فلقد روى العديد من علماء أهل السنة وكذلك الشيعة أن الوسيلة هم الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام.

الصفحة 32

ولقد طبق التوسل بالنبي وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وعلمه للناس، كما طبق ذلك

الصحابه وتوسلوا برسول الله وأهل بيته.

فقد روى الحاكم في المستدرک عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه - :

أن رجلاً ضلوا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني. قال: إن شئت أخرت ذلك وإن شئت دعوت. قال: فادعه.

قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء:

اللهم أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمن، يا محمد إنني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه، فتقضيها لي، اللهم شفعه في وشفعني فيه. ورواه الترمذي، وفي كنز العمال ومجمع الزوائد. والتوسل بالنبي وأهل البيت عليهم السلام مشروع في حياة النبي وبعد وفاته.

فقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه. فقال له عثمان بن حنيف: إئت الميضاة فتوضأ، ثم إئت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، روح إلي حين أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان فجاء الوباب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فانتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: خراك الله خوراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه رجل ضير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أو تصبر؟ فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إئت الميضاة

الصفحة 33

فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. فقال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقتنا وطال بنا الحديث حتى دخل عليه الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط.

ولقد توسل الأعرابي برسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته وعلى موأى ومسمع الصحابة ولم يعترض عليه أحد، ومع أنه أعرابي أي أنه ليس متبحراً في علوم الدين، لكنه فهم مشروعية التوسل من الآية القوانية مباشرة.

قال تعالى في سورة النساء الآية 64 **لَوْلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَّاهُ اللَّهُ تَوَابًا رَحِيمًا**.

روى القوطي في الجامع لأحكام التوآن عن علي عليه السلام قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيام، فومى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحثاً على رأسه من توابه؛ فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أتول الله عليك **لَوْلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ... الآية**، وقد

ظلمت نفسي وجنتك تستغفر لي. فنودي من القبر أنه قد غفر لك.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج البيهقي عن أبي حرب الهلالي قال: حج أعرابي إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أناخ راحلته، فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر، ووقف بحذاء وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، جنتك مثقلا بالذنوب والخطايا، مستشفعا بك على ربك لأنه قال في محكم تتريله **لو لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجنوا الله توابا رحيمًا** . وقد جنتك بأبي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا، أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع في، ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول:

يا خير من دفنت في التراب أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي عن أبي فديك قال: سمعت بعض من أركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فتلا هذه الآية **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا**

الصفحة 34

تسليما . صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة، فأجابه ملك: صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة. ثم إن الصحابة قد توسلوا بأشخاص معينين كما يروي ذلك البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب. فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون.

ولقد بينت في كتابي الإبتلاء سنة إلهية على بساط العبودية أن النبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، هم الوصلة بين العبودية والربوبية وهم الوسيلة إلى الله تعالى، وهم من أعظم أبواب القبول عند الله تعالى فاجعه في محله.

حقيقة الإيمان:

ثم قضية أخرى هامة جدا ترتبط بحديث الثقلين، وكذلك مرتبطة في كل النصوص التي تتعلق ولاية وإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي قضية الإيمان، فهو والأئمة من ولده الإيمان كله، هذا ما أكدته الآيات والأحاديث وأقدم بعضها من أجل الاستدلال على أن الإيمان هو ولاية علي والأئمة المعصومين من ولده.

فلقد رتب رسول الله صلى الله عليه وآله حب وولاية علي عليه السلام بالإيمان، وبغضه وترك موالاته بالنفاق.

روى مسلم في صحيحه وأحمد في المسند والترمذي في السنن عن زر بن حبيش قال قال علي رضي الله عنه (والذي فلق الحبة ورأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم إلي، أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق). وفي النسائي وغيره (أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق). (وروى في كنز العمال عن أبي ذر رضي الله عنه أن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبغضه نفاق والنظر إليه رافة).

الصفحة 35

وروى السيوطي في الجامع الصغير عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب). ورواه في كنز العمال.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي يوم برز لعمرو بن عبد ود العامري: برز الإيمان كله إلى الشوك كله.

وقال فيه بعد ما قتله: ضوبة علي لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين.

روى في تفسير القمي، قال: حدثني جعفر بن محمد معنعنا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن لعلي بن أبي طالب عليه

السلام في كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس. قلنا: وما هي؟ قال: سماه الإيمان فقال: **لؤمن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو**

في الآخرة من الخاسرين الآية.

وبإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى **لؤمن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة**

الخاسرين . قال: فالإيمان في بطن القآن علي بن أبي طالب عليه السلام. فمن يكفر ولايته فقد حبط عمله وهو في الآخرة

من الخاسرين.

وبناءً على ذلك كان أمير المؤمنين الإيمان كله، فكأن الآيات والأحاديث تشير إشلة صويحة على أهمية إمامة وولاية أمير

المؤمنين عليه السلام، حيث ربطت موضوع ولايته وإمامته بالإيمان.

ومن أجل أن يتوضح المعنى أكثر فإنني أضيف بعض الروايات التي تبين ارتباط العشرات من الآيات القوانية بقضية

الإيمان وولاية وإمامة أمير المؤمنين علي وأهل بيته عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

فقد روى في كنز العمال عن ابن عباس قال) ما أتول الله سورة في القآن إلا كان علي أموها وشريفها، ولقد عاتب الله

أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما قال لعلي إلا خوا. (وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: ما تولت (با أيها

الذين آمنوا) إلا كان علي بن أبي طالب رأسها وأموها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله فما

ذكر علي إلا بخير. ورواه الطواني وأبو نعيم.

الصفحة 36

وروى ابن عساكر وغوه كثير عن ابن عباس قال (ما تول في أحد في كتاب الله ما تول في علي بن أبي طالب).

السر في تباط النصوص مع حديث الثقلين:

إن كل ما ذكوت من آيات وأحاديث توضح ما ذهبنا إليه من أن حديث الثقلين وما يتعلق في إمامة وولاية أهل البيت عليهم

السلام تتداخل وتتباط في معاني ومضامين آيات عديدة جداً وتتلازم معها، وذلك أبلغ تصريح وأوضح بيان لحقيقة ما خلفه

رسول الله صلى الله عليه وآله فينا من بعده، وكذلك بالنسبة لموضوع الإمامة والولاية أيضاً.

وعليه فإن وصية رسول الله المتضمنة في حديث الثقلين، صلت واضحة المعالم من خلال تطابق وتلازم وتصاقب الآيات والأحاديث مع بعضها، مع ملاحظة أنها غير متناقضة ولا يدخلها الخلل أو الاختلاف، بل هي مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً، يدل دلالة واضحة على القوة الإلهية المتينة، في كلام الوحي الصادر من رب الغوة سبحانه وتعالى. وأنها كلها من نبع واحد ومصدر واحد وهو الشراع المقدس، وهذه من المعجزات الواضحة التي يعجز عنها كل البشر، فكل ما روي في علي بن أبي طالب والأئمة من أهل البيت عليهم السلام سواء كان ذلك في الآيات القوانية أو في الأحاديث النبوية، ومن أي اتجاه أخذتها أو بحثتها أو دقت النظر فيها، فإنها قطعاً ستوصلك إلى موضوع محوري أساسي وهو حديث الثقلين بكل ما يحمله من معاني ومضامين. وكما قلت فإن في ذلك دلالة واضحة على أنها من مصدر واحد وهو الله تعالى.

بينما لو نظرت إلى ما ذكرته كتب الصحاح والسنن من فضائل مصطنعة ووضعية في حق كثير ممن لم يجعل الله لهم فضائل أو مناقب، من الأمراء السفهاء أو الحكام الظلمة أو من خلال وضع أحاديث تحوي على أحكام تلبى رغبات نوي السلطة والنفوذ، وتبرر لتكابهم للعديد من المخالفات، أو ربما

الصفحة 37

يصل الحد إلى اتهام رسول الله صلى الله عليه وآله بما لا يليق بمقام النبوة ومقولة الرسالة. ولأجل كل ذلك فإنك لن تجد في معاني كل تلك الأحاديث ومضامينها ما يدل على ارتباطها ودقة أحكامها وتوثيقها، لأنها من وضع الوضاعين المتملقين لمن كان يبغض أهل البيت عليهم السلام، أقول ذلك لأصحاب العقول السليمة والبصائر المتفتحة. وأني أدعو كل مسلم منصف أن يطبق الميزان الذي وضحته الآن، حتى يتبين له صحة ما ذهب إليه، وحتى تظهر له التناقضات الواضحة التي تخالف معاني النبوة ومنزل الرسالة الإلهية، التي كانت سبباً رئيسياً في ظهور الخلافات والتخلف بين المسلمين. والميزان هو أن كل ما جاءنا عن الله تعالى لا يمكن له أن يتناقض أو يدخله النقص أو الخلل، ولا يمكن أن يؤدي إلى الخلاف والنزاع والحوّة، لأنه من الله الخالق المدبر.

وأما إذا وجد الخلل والتناقض في الأحكام، أو تناقض الأحاديث مع الآيات فإن ذلك يعني أن المتناقض ليس من الله تعالى بل من وضع البشر. ولذلك كان رسول الله دائماً يحثنا من هذا التناقض قائلاً إذا وجدتم حديثي يخالف كتاب الله فاعلموا أنني لم أقل ذلك.

فقد روى في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنى فقال: (أيها الناس ما جاءكم عني بوافق كتاب الله، فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله، فلم أقله).

وروى البيهقي عن الأصعب بن محمد بن أبي منصور أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الحديث على ثلاث فأما حديث بلغكم عني تعرفونه بكتاب الله فاقبلوه، وأما حديث بلغكم عني لا تجدون في القرآن موضعه، ولا تعرفون موضعه فلا تقبلوه، وأما حديث بلغكم عني نقشعر منه جلودكم، وتشمئز منه قلوبكم وتجدون في القرآن خلافه فربوه.

الصفحة 38

وروى البيهقي عن علي بن أبي طالب قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث، فاعرضوا حديثهم على القرآن، فما وافق القرآن فحدثوا به، وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به. وروى البيهقي أيضا عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنه سيأتي ناس يحدثون عني حديثا فمن حدثكم حديثا يضلوع القرآن فأنا قلته، ومن حدثكم حديثا لا يضلوع القرآن فلم أقله.

فليس من المعقول أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بؤاءة البسمة في الصلاة ثم تأتي أحاديث أخرى صحيحة تنفيها، وليس من المعقول أن يأمر القرآن الكريم بمسح القدمين في الوضوء ويفعل ذلك رسول الله وعشرات الصحابة ثم يأتي حديث آخر يوجب الغسل. وليس من المعقول أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالوصية وتأتي أحاديث تنفي عنه أنه أوصى. وليس من المعقول أن يحرم الله ورسوله على المسلم الإنتحار ثم تجد حديثا في صحيح البخاري يتهم رسول الله بأنه هم بالإنتحار عدة مرات. وليس من المعقول أن يحرم الإسلام على المسلم أن يمس أو يختلي باموأة أجنبية لا تحل له ثم يأتي حديث يقول أن رسول الله أباح رضاعة الكبير. وليس من المعقول أن يستبدل حديث الثقلين ولا يعمل به من أجل حديث منقطع السند من وضع أولئك الوضاعين، أو من أجل الحقد والبغض لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهناك المئات من المسائل والفضائل والأحكام المتناقضة التي إن دلت على شيء فإنها تدل على عدم صدورها من قبل الشلوع المقدس. ولا مجال هنا للتفصيل أكثر في التناقض والأمور الخلاقية حتى لا نخرج عن صلب الموضوع. لكنك براجعة بسيطة لصحيح البخاري أو صحيح مسلم تستطيع اكتشاف كل تلك التناقضات بكل سهولة ويسر. بينما وكما لاحظنا شدة التباطؤ والدقة في إراز الموضوع من جوانب عديدة بين الحديث الصادر عن رسول الله قطعا وبين كل الآيات القرآنية والأحاديث

الصفحة 39

الصحيحة، لأن مصورها هو الشلوع المقدس جل شأنه، وليس الأهواء والشهوات ومصالح الحكام ونوي النفوذ والنفوس المريضة. وكذلك إذا نظرت إلى علم الأئمة سلام الله تعالى عليهم فإنك تجدها كلها صارة من مشكاة واحدة ولا تتناقض ولا يتطرق إليها الخلل، فكل إمام منهم كان يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي وحديث جدي وحديث جدي عن رسول الله عن جوثيل عن الله تعالى، ولم يختلف إمام عن إمام في شيء، بينما لو نظرت إلى من لم يأخذ علمه عن الله تعالى ولا من رسول الله وأهل البيت، تجد أن كل واحد منهم يختلف ويتناقض مع الذي قبله وهكذا نواليك. إن من نظر وتفكر وتدبر في القوانين الإلهية، وفي النظام الكوني الرباني أو في نظام الحياة بشكل عام، فإنه يستبعد التناقض والإختلاف فيها، لأنها صارة من الله الخالق المدبر الذي خلقها ودبر شؤونها على وجه إعجالي يدل على قوته تعالى وإحكام صنعه.

قال تعالى في سورة الملك الآية 3 {الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فرجع البصر هل

توى من فطور}.

وكذلك كلام الله تعالى وقآنه المجيد لا يمكن أن يتناقض أو يدخله النقص أو الخلل لأنه من الله تعالى خالق الكون والإنسان والحياة.

وكذلك ينبغي أن تكون أحكام الشريعة الصاوة من رب الغوة الخالق المدبر، فإن العقل السليم يقتضي أن تكون محكمة واضحة، بعيدة عن التناقضات كل البعد، لتكون شريعة كاملة واضحة بينة، تدل ومن خلال أحكامها على أنها من الله تعالى وتدل على قوة الله تعالى، وتدل على علم الله ومعرفته بما يحتاج إليه الناس.

قال تعالى في سورة النساء الآية 82 {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجبوا فيه اختلافا كثيرا}.

ولذلك حث القرآن الكريم في مئات الآيات الإنسان على النظر والتفكر والتدبر في بديع صنع الله تعالى، حتى يصل إلى حقائق الإيمان.



وهكذا بالنسبة إلى موضوع الولاية والإمامة، فإنه ينسجم انسجاما تاما مع نصوص الدين الإسلامي ولا يتناقض أو يتعارض معها أبداً، لأنها صاورة من رب العزة جل شأنه، مثلها مثل بقية أنظمة الكون، وكذلك بالنسبة للأئمة من أهل البيت عليهم السلام، لو نظرت إليهم ودققت في أمرهم، فإنك تجد التجلي الإلهي ساطع نوره فيهم، فهم كلمات الله تعالى التي لا يمكن أن توصل إلا إلى الهداية والفلاح والوضوان.

ما إن تمسكتم بهما

ثم يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن الوظيفة والتكليف الشرعي تجاه ما خلفه وتركه فينا، هو التمسك، وحتى لا نضيع في بحر الحوة أتبع كلامه الشريف بلفظة (بهما)، أي أن ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسك به شيئين اثنين ليس غير، وهذه معرفة بمضمون الإادة الإلهية التي أقرها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم، أن ما أوصى بالتمسك به هما شيئين وهما الكتاب والعزة كما يبين ذلك حديث الثقلين.

وأما كلمة التمسك فهي تحمل جملة كبيرة من المعاني، فمن معانيها الإعتصام والإتباع والطاعة والإقتداء والولاية والإستغفار والإيمان والإنابة والحب والعشق والتوجه والإخلاص والمتابعة والعراقة والسلوك وغيرها من المعاني التي تشترك معها في المعنى وترتبط في الموضوع والمضمون.

وهذه الكلمة تتطابق وترتبط مع العديد من الآيات والأحاديث في الموضوع والمضمون والمعنى، فكما أن الحديث يأمر بالإعتصام والتمسك بالكتاب وأهل البيت عليهم السلام، فإن هناك آيات ومن خلال تطابق المعنى والمضمون تأمر بالتمسك بالكتاب والعزة. ومن تطابق مضمون حديث الثقلين من ناحية التمسك والإعتصام، تحديداً بالكتاب والعزة الطاهرة واعتبلهما شيئاً واحداً، والتأكيد على أنهما لا يفترقان ولن يفتوقا ولن يفتوقا، ولقد ورد في بعض

متون الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (ما إن تمسكتم به) مما يدل على أنهما شيء واحد، فهذا يعني أن كل أمر موجود في القرآن الكريم يأمر بالتمسك والإلتزام بالكتاب يدخل فيه ضمناً العزة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، وكذلك كل أمر يأمر بالإعتصام أو الموالاتة أو الطاعة وكذلك كل الألفاظ التي تتوع عن معنى التمسك التي ذكرت بعضها منها، فهي أيضاً تعطي معنى التلازم بين الكتاب والعزة.

وإليك بعض الشواهد على ذلك، معززة بأدلة من الحديث النبوي الشريف، حتى تتوضح قاعدة التطابق والتلازم والتصاقب بين حديث الثقلين وبين الآيات والأحاديث.

قال تعالى في سورة آل عمران. الآية: 103 **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** .{

فقد روى القنذوري الحنفي، قال: أخرج الثعلبي بسنده عن أبان عن جعفر الصادق عليه السلام قال: نحن حبل الله الذي قال

الله عز وجل **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**.

وروى القنوزي الحنفي أيضاً قال: أخرج صاحب كتاب المناقب، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله، إذا جاء أعوابي فقال: يا رسول الله سمعتك تقول **﴿واعتصموا بحبل الله﴾**، فما جعل الله الذي نعتصم به؟ فضوب النبي صلى الله عليه وآله بيده في يد علي، وقال: تمسكوا بهذا هو حبل الله المتين.

وقال تعالى في سورة النساء الآية: 175 **﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم**

إليه صراطاً مستقيماً﴾.

تبين الآية الشريفة أن من آمن بالله، وتمسك واعتصم بالكتاب والعترة الطاهرة بحسب أمر الله بالتمسك بهما كما في حديث الثقلين، فسيدخله في رحمته ويبعده عن سخطه وعذابه، ويتفضل عليه بمعرفة إمامه، الذي يبين له معالم دينه، ويهديه ولن يضلّه كما في الحديث عندما يقول لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، فإنه يهديه إلى الصراط المستقيم صراط أهل البيت عليهم السلام، الذي

الصفحة 42

إن تمسك واعتصم به في الدنيا أرشده في الآخرة ليكون مع النبي وأهل بيته عليهم السلام على الحوض، ليشرب شربة هنيئة لا يظمأ بعدها أبداً.

وقال تعالى في سورة الأعراف الآية: 170 **﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾**.

ويمسكون هنا معناها يعتصمون، وهذا يعني التمسك الحقيقي بالقوان من خلال فهم معانيه وتطبيق تعاليمه من دون مخالفة في التطبيق، وهذا الفهم لا يتأتى إلا من خلال أخذه ممن يفهم معانيه وهم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، لأنهم عدل القوان وهم الذين يبينون كل تفاصيله وتعاليمه بالمعنى الذي رآه الله تعالى.

ولقد روى في بحار الأنوار عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: إن الله يقول (لا يمسه إلا المطهرون) يعني لا يناله كله إلا المطهرون، إيانا نحن عنى الذين أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهروا وقال (وَأُورِثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) 32 / فاطر. فنحن الذين اصطفانا الله من عباده، ونحن صفة الله، ولنا ضرب الأمثال، وعلينا قول الوحي.

وأعتقد أن الحديث الذي روته كتب أهل السنة فيه الإجابة الواضحة والصريحة، أن فهم دقائق القوان، هو عند عدل القوان الكريم علي وأهل البيت عليهم السلام، وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول فيه (علي مع القوان والقوان مع علي، لن يتوقا حتى يردا على الحوض).

وقال تعالى في سورة البقرة الآية: 256 **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد**

استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾.

روي في معاني الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله: من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، فليستمسك ولاية أخي ووصيي علي بن أبي طالب، فإنه لا يهلك من أحبه وقواه، ولا ينجو من أبغضه وعاداه.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: أن العروة الوثقى هي مودتنا أهل البيت.

الصفحة 43

وأظن أن معنى التمسك بالعروة الوثقى، واضح لكل منصف أنه الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، لأنه لا انفصام لهما بدلالة الحديث عندما يقول عن الكتاب والعروة أنهما لن يفترقا أو لن يتفرقا.

وقال تعالى في سورة الأعراف الآية 3 **{اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون}**.

والإتباع معناه الأخذ والتمسك، والتمسك بالكتاب والعروة الطاهرة هو المعنى الظاهر في الآية، وأن ما أتول توضحه الآية

{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} . وكذلك تبينه الآية من سورة الحشر **{وما آتاكم الرسول فخذوه}**.

وقوله تعالى في سورة النساء الآية 80 **{من يطع الرسول فقد أطاع الله}** . مع ملاحظة ارتباط كل تلك الآيات بحديث

الثقلين والأمر بالتمسك بالعروة الطاهرة.

وعليه فإن التمسك بهما معا هو المطلوب الواجب تطبيقه على كل المسلمين، ولا يجوز للمسلمين أن يفصلوا بين الأمرين

بأن يقولوا حسبنا كتاب الله، ويفصموا ما أوثقه الله تعالى.

لأن المسلمين عندما تركوا أهل البيت تركوا القرآن أيضا، وهذا ما سنبينه عند شرحنا لموضوع عبادة كتاب الله وعترتي

أهل بيتي إن شاء الله تعالى.

لن تضلوا

يؤكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته العظمى من خلال عبارات حديث الثقلين، أنه سابق ومنتظر على

الحوض، وأنه ترك وخلف فينا كتاب الله والعروة النبوية الطاهرة، حتى يقوم مقامه في تسيخ معاني النوبة وامتداد الرسالة،

وأوصى بهما، وبالتمسك بهما، وإتباعهما والإقتداء بهديهما.

ولقد رأيت أيها القارئ العزيز تطابق الآيات والأحاديث مع متون حديث الثقلين المختلفة، في الدعوة إلى التمسك والإعتصام

والإستغفار بعدل القرآن الكريم والعروة الوثقى والصراط المستقيم، أهل بيت النوبة والرحمة.

الصفحة 44

وبالتالي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكد أن من أراد أن يكون سابقا معه على الحوض عليه أن يتبع وصيته،

ويتمسك بالثقلين من بعده، كتاب الله وعترته الطاهرة من أهل البيت سلام الله تعالى عليهم.

فمن أوفى بتلك الشروط في الدنيا، من خلال إتباعهما والإقتداء بهديهما والتمسك بكل المعاني التي تنطبق على معنى

التمسك والإعتصام بهما، فإنه ولا لن يضل طريقه في الدنيا، ثم يرد على رسول الله صلى الله عليه وآله على الحوض في

الآخرة ثانيا. لأن سلوك ذلك الطريق الذي أمر به الشروع المقدس من خلال التمسك بالثقلين، هو قطعاً طريق يوصل إلى ما

وعد به الله ورسوله من الهداية والرضى والرحمة والورود على حوض رسول الله وأهل بيته الطاهرين المعصومين.

حقيقة الحوض في الدنيا والآخرة:

وإذا طابقتنا دلالة ومعنى الحوض الذي سنورد عليه بإذن الله تعالى، بدلالة ومعنى الحوض في الدنيا، وذلك للإرتباط الوثيق بينهما، ولأن حصول النتائج المرجوة في الآخرة هو تبع للحال الذي يكون عليه الإنسان المسلم في الدنيا. فهي مطية المؤمن لنوال الآخرة، وهي دار العمل والبناء والإعداد لمرحلة ما بعد الدنيا، وهي دار تحقيق العهود والشروط التي قطعناها، والتي أؤمنا الأمر الإلهي بالوفاء بها، فالإنسان المؤمن يبني في هذه الدنيا إيمانه وعقيدته وولاءه وإخلاصه وعبوديته، حتى يحقق ويصل إلى كل ما يتطلع إليه في الآخرة، من الثواب العظيم والرضوان الأكبر، الذي أعده الله تعالى للمؤمنين في الآخرة.

قال تعالى في سورة الإسراء الآية 72 **{ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً}.**

فمن عمى عن رؤية آيات الله البيّنات وحججه الواضحات في الدنيا ولم يبصرها، فإنه سوف يكون في الآخرة أعمى، فحاله هناك تبعاً لحاله في الدنيا. والعمى المقصود في الآية هو عمى البصيرة، وهو العمى عن رؤية الحق

الصفحة 45

والهدى والصراط المستقيم، وهو العمى عن رؤية آيات الله وكلماته، وهو العمى عن رؤية ميناء سفينة الناجين الذي يوصل إلى شاطئ الأمان في الآخرة ويوصل إلى الثوب من الحوض وإلى النعيم المقيم مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وقال تعالى في سورة طه الآية 127 **{فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشوه يوم القيامة أعمى، قال رب لم حسرتني أعمى وقد كنت بصوا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى}.**

وأما من تمسك بالحق واتبعه في الدنيا وكان على بصيرة من ربه، سالكا الصراط المستقيم راكبا سفينة الناجين، مطيعاً لله ورسوله في الإهداء بنور الكتاب والعزة الطاهرة، فإن الله تعالى سوف ينير له طريق الآخرة ويتميز بنوره مع المؤمنين، ويستحق بذلك الأجر الكريم والفوز العظيم.

قال تعالى في سورة الحديد الآية 11 - 12 **{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم، يوم توى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشواكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم}.**

وقال تعالى في سورة الحديد الآية 19 **{والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجورهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم}.**

فإذا طابقتنا كل تلك الدلالات والمعاني، فإننا نتوصل إلى نتيجة هامة جداً، وهي أن من أراد الورد على الحوض في الآخرة، ويشوب من يدرسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، شوبة لا يظماً بعدها أبداً، فعليه أن يرد الحوض في الدنيا ويعمل لذلك، وعليه أن يشوب من حوض الدنيا شوبة علم وحب وولاء واقتداء ومتابعة لأهل البيت عليهم السلام لا يظماً بعدها

وعليه كان لا بد من فهم دلالة ومعنى الحوض في الدنيا، وارتباطه بحوض الآخرة، فلا يمكن الوصول إلى الحوض في الآخرة إذا لم يصل إليه الإنسان في الدنيا.

ولقد توصلنا من خلال ما بينت من الأدلة التي مرت معنا، أن الحوض هو الكوثر، ولكن المقام هنا يقتضي تبيان معاني الكوثر، وارتباط تلك المعاني ببعضها، ومطابقتها بموضوع ومضمون حديث الثقلين.

روى مسلم في صحيحه عن أنس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاء. ثم رفع رأسه متبسما. فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله! قال أتقلت علي آفا سورة. فقرأ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إنا أعطيناك الكوثر. فصل لوبك وانحر. إن شائتك هو الأبر.** ثم قال أترون ما الكوثر؟. فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل. عليه خير كثير. وحوض تود عليه أمتي يوم القيامة. أنيته عدد النجوم. فيختلج العبد منهم. فأقول: رب! إنه من أمتي. فيقول: ما تروي ما أحدث بعدك.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن مردويه عن أنس قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: قد أعطيت الكوثر، قلت يا رسول الله: ما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة، عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيتشعث أبدا، لا يشرب منه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي. لاحظ الحديث كيف يربط عدم الورود على الحوض بقتل أهل البيت، وليس المقصود من القتل هو القتل المعروف فقط، بل ينطبق على كل أنواع القتل المعنوي والإجتماعي والمادي، أو من خلال طمس الحقائق وتغييبها، أو إنواع الحقوق من أصحابها.

وهو ما حصل فعلا مع السيدة فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي والحسن والحسين والأئمة من نزية الحسين عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم،

فقد قتلوا جميعهم بأنواع القتل كلها المادي والمعنوي. وهو ما حصل ويحصل لنزية رسول الله صلى الله عليه وآله وشيعة أمير المؤمنين حتى يومنا هذا.

وبالعودة إلى سورة الكوثر، فلقد أخرج أصحاب العديد من التفاسير نزول هذه السورة بشأن فاطمة الزهراء والأئمة من ولدها سلام الله تعالى عليها. نذكر عددا مختصا منهم روما للإختصار.

فمنهم البيضوي في تفسيره، عند تفسير كلمة الكوثر قال (وقيل ولأده صلى الله عليه وآله وسلم).

ومنهم الفخر الرازي، في تفسيره الكبير، قال (الكوثر ولأده صلى الله عليه وآله وسلم).

ومنهم شيخزاده في حاشيته على تفسير البيضوي، عند تفسير سورة الكوثر قال: إن المفسرين ذكروا في تفسير الكوثر

أقولاً كثرة منها: أن العواد بالكوثر ولأده عليه وآله الصلاة والسلام، ويدل عليه أن هذه السورة تزلت رداً على من قال في حقّه عليه وآله الصلاة والسلام أنه أبتّر ليس له من يقوم مقامه.

ولقد ورد في تفسير سورة الكوثر، أن الكوثر هي السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، والكوثر معناه الخير الكثير. ويعني ذلك أن لكثرة نزية رسول الله من جهة ابنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها خاطب القآن الرسول الأكرم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بأنه له الكوثر كرامة من الله تعالى له. قال العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسير المزان: إنّ كثرة نزيته هي العرادة وحدها بالكوثر الذي أعطيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أو العواد بها الخير الكثير، وكثرة النزية مرادة في ضمن الخير الكثير، ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله إنّ شأنك هو الأبتّر خالياً عن الفائدة.

وقد استفاضت الروايات أنّ السورة إنّما تزلت فيمن عابه صلى الله عليه وآله وسلم بالأبتّر بعد ما مات ابنه القاسم وعبدالله، وبذلك يندفع ما قيل إنّ مراد الشانئ بقوله أبتّر المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخير، فودّ الله عليه بأنه هو المنقطع من كل خير.

الصفحة 48

وبالجملة لا تخلو من دلالة على أنّ ولد فاطمة عليها السلام نزيته صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا في نفسه من ملامح القآن الكريم، فقد كثّر الله تعالى نسله بعد كثرة لا يعادلهم فيها أي نسل آخر، مع ما قول عليهم من النوائب، وأفنى جموعهم من المقاتل النريعة.

وقال الفخر الرلي في تفسير قوله تعالى: (إنّا أعطيناك الكوثر)، والقول الثالث: الكوثر ولأده. قالوا: لأنّ هذه السورة إنّما تزلت رداً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نزية يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممثليّ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الركية وأمثالهم.

وقال أيضاً: إنّنا إذا حملنا الكوثر على كثرة الأبتّاع أو على كثرة الأولاد وعدم انقطاع النسل كان هذا إخباراً عن الغيب، وقد وقع مطابقاً له، فكان معجراً.

وقال الأوسي في تفسيره: إنّ شأنك هو الأبتّر، الأبتّر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر، وأما أنت فتبقى نزيته ... عليه دلالة على أن ولاد البنات من النوية.

وقال العلامة القروييّ: ووجه المناسبة أن الكافر شمت بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين مات أحد ولأده، وقال: إنّ محمداً أبتّر، فإن مات مات ذكوه. فأقول الله هذه السورة على نبيه عليه السلام تسلية له، كأنه تعالى يقول إن كان ابنك قد مات فإنّا أعطيناك فاطمة، وهي وإن كانت واحدة وقليلة ولكن الله سيجعل هذا الواحد كثراً.

هذه جملة من أقوال بعض علماء المسلمين، الذين يؤكّدون على أن الكوثر هي على وزن فوعل وهي من صيغ المبالغة،

وهي تدل على الكثرة، وهذه الكثرة هي نريته صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى ذلك فإن الكوثر هم عترة الرسول الأكرم ونريته، بدلالة سبب نزول السورة عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

الصفحة 49

وكما ذكرنا أيضا فإن نرية رسول الله صلى الله عليه وآله قد جاءت من فاطمة الزهراء عليها سلام الله، والأئمة عليهم السلام كلهم من ولدها، فكانت هي سلام الله تعالى عليها الكوثر.

ومن كل ما ذكرنا يتضح أن الكوثر له دلالات ومعانٍ في الدنيا وهي فاطمة الزهراء والأئمة الأطهار والنرية الأوار، وله دلالات ومعانٍ في الآخرة وهي حوض رسول الله وأهل بيته في الآخرة، ولقد ذكرنا جملة من أوصافه في بداية البحث. فمن أراد أن يرد الحوض في الآخرة، عليه أن يرد في الدنيا من خلال وروده على الأئمة من أهل البيت سلام الله تعالى عليهم، الذين حددهم الله ورسوله وجعلهم أئمة لنا، يقتدي بهم ويتبع هداهم ويتمسك بهم ويأتم بإمامتهم كما أمر الله تعالى وكما أوصى بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يرووا عطش جهلنا وقلة فهمنا، ونوالهم كما أمر الله ورسوله، ونصوهم وننصر أولياءهم، ونعادي أعداءهم ونتوأ منهم، ونشرب من حوض علمهم وهدبهم وبيانهم شربة لا نظماً بعدها إلى علم أحد غورهم.

وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لنا من خلال حديث الثقلين، أن من أراد الوصول إلى الحوض في الآخرة ويشرب من يدي شربة لا يظمأ بعدها أبداً، ولا يُدو ولا يذاد عنه، فإن الطويق الموصل لذلك هو ورود الحوض في الدنيا من خلال التمسك والإقتداء بأهل البيت عليهم السلام، ومن خلال ولايتهم ومولاتهم وركوب سفينتهم وسلوك صراطهم المستقيم، فمن فعل ذلك فإنه لن يضل أبداً وسيرد علي الحوض في الآخرة.

وهذا ما أوصى به رب العالمين ورسوله الكريم، وهو الذي تركه فينا أماناً من الضلال وأماناً من العذاب بعد رسول الله، وهو ما أمر بالتمسك والإعتصام به عندما قال في حديث الثقلين وغوره من الأحاديث (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا)، أي لن تويغوا ولن تضلوا إذا تمسكتم واعتصمتم وواليتهم واقتديتم بأهل البيت عليهم السلام.

الصفحة 50

ومن المعروف في اللغة العربية أن (لن) أداة نفي تدل على التأيد، أي أنه لا مجال للضلال أبداً وللابد إذا تمسك العبد بأهل البيت عليهم السلام، وهذا يدل على ضمان الهداية والتوفيق في الدنيا لعملية البناء فيها من أجل الوصول إلى ما وعد الله تعالى من جزيل الثواب في الآخرة، هذا من خلال مفهوم الشوط في العبلة.

وأما من خلال مفهوم المخالفة في علم اللغة، فإن من لم يتمسك بالكتاب والعترة الطاهرة أو فرق بينهما فإنه ضال عن الصواب المستقيم لا محالة في ذلك، لأن عبلة (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً) تدل دلالة قاطعة أن من لم يتمسك بهما معا يعتبر خرج عن خط الهداية والنجاة والأمان، موغل في خطوط الضلال والزيع والإنحراف، فالهداية حق والضلال باطل، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

فهم عليهم السلام الحق الذي من تمسك به اهتدى ومن تركه ضل. وهم سواء السبيل، وهم الهدى الذي بينه الله تعالى، وهم الشفاعة، وهم ما أتول الله عندما أمر رسول الله أن يبلغ ما أتول إليه، وهم التقوى لأن من اتبعهم يقيه الله تعالى من النار، وهم سبيل الله، وهم الوسيلة، وهم الإيمان وغير ذلك من الأوصاف الكريمة الموجودة في العشرات من الآيات القوانية، والتي يستطيع كل منصف مدقق أن يطابقها مع حديث الثقلين ليجد التراب والتطابق واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار.

قال تعالى في سورة البقرة الآية 108 **{ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل}**.

أي أنه من يتوك إلتباع أهل الإيمان والهدى وهم الأئمة الأطهار، ويستبدل بهم الجود والنكران، فقد ضل الصراط المستقيم وتوك خط الهداية فهو إذن من الضالين، لأن من تمسك بالإيمان بأهل البيت فلن يضل أبدا، ومن توكهم ضل الطريق.

وقال تعالى في سورة يونس الآية 35 **{أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف**

تحكمون}. وهنا دلالة واضحة منطقية

الصفحة 51

وهي أن من عينه الله تعالى لهداية الناس وأمر باتباعه والإقتداء به، هو الأحق بالإلتباع لأن الحق معه وهو من أهله، وأما من يهدي الناس ولكنه بحاجة لمن يهديه فعلى الأمة أن تتبع من يهديه، هذا هو حكم العقل والمنطق.

وقال تعالى في سورة الفتح الآية 26 **{فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق**

بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما}.

وقال تعالى في سورة المائدة الآية 35 **{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة}**.

وأما من خالفهم وترك نهجهم وسبيلهم فهو ضال ظالم فاسق صاد عن سبيل الله، فمن نظر في آيات القرآن الكريم التي

تتحدث عن معاني الضلال والظلم والخروج عن جادة الصواب والصد عن سبيل الله ومشاققة الله ورسوله، فإنه يجد حديث

الثقلين وولاية أهل البيت عليهم السلام هي المحور الرئيسي في مضمونها ومعانيها.

قال تعالى في سورة النساء الآية 60 **{ألم تر إلى الذين زعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن**

يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا}.

فهؤلاء زعمون أنهم آمنوا، أي أنهم كانوا من المعروفين بين المسلمين أنهم مؤمنين، وقد سمعوا ووعوا حديث الغدير

وحديث الولاية وآية البلاغ التي بلغ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله ما أتول إليه من ربه في ولاية وإمامة أمير المؤمنين من

بعد رسول الله، فعرفوا ذلك وسمعوه ووعوه، وعاهنوا وبايعوا على التمسك بأهل البيت واتباع هديهم والإقتداء بهم، لكنهم بعد

أن تركوا التمسك بهم واتباعهم، وقرروا أن يحتكموا إلى آهوائهم وطواغيتهم فقد ضلوا ضلالا بعيدا.

وقال تعالى في سورة النساء الآية 115 **{ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله**

ما تولى ونصله جهنم وساءت مصورا}.

الصفحة 52

أي من يعصي ويعادي رسول الله ويخالف طريقه ويتوكأ وأمره من بعد ماتبين له من هو وليه وإمامه، ثم يتولى غوه ويتوكأ صراط أمير المؤمنين وأئمة الهدى فإن مصوه إلى النار.

وقال تعالى في سورة النساء. الآية: 167 **{إن الذين كفروا وصنوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا}**.

أي صنوا ومنعوا أنفسهم وغورهم عن سبيل الله وصراطه المستقيم، عن أهل البيت عليهم السلام وتفوقوا عنهم، ومن ترك أهل البيت ولم يتمسك بهم كما أمر الله تعالى وأوصى رسوله الكريم فقد ضل ضلالا بعيدا، لأن حديث الثقلين يقول لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما.

وقال تعالى في سورة الأحزاب الآية: 36 **{وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة**

من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا}.

فلا يمكن للمؤمن بعدما سمع ووعى رادة الله تعالى ووصية رسوله بالتمسك بالثقلين أن يجعل لنفسه الإختيار، لأنه يعرف أنه إن ترك طاعة الله ورسوله ولم يتمسك بالثقلين معا فإنه والعياذ بالله من العاصين، لأن من يعصى قضاء الله والرسول بعد كل ذلك البيان فقد ضل ضلالا واضحا مبينا.

وقال تعالى في سورة النساء الآية: 61 **{وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك**

صنودا}.

أي إذا قيل لهم تعالوا إلى ولاية أهل البيت وإلى إمامتهم، رأيت المنافقين والحاقدين والحاسدين، يمنعون الناس من متابعة أهل البيت ولايتهم، ويصدون الناس عن معرفة حقوق وأحقية أهل البيت بتكفير أتباعهم وتفسيقهم، وهذه تنطبق على حادثة رزية الخميس، عندما صد المسلمون وعلى رأسهم عمر رسول الله عن كتابة كتاب الولاية والإمامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أيضا ما يحصل اليوم من صد عن سبيل أهل البيت وشيعتهم من خلال التكفير والتفجير والملاحقة والأذى والظلم.

الصفحة 53

وقال تعالى في سورة هود الآيتان: 18 - 19 **{ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم، ويقول**

الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة

هم كافرون}.

وهذه الآيات كأنها تحكي مشهد الأعواف، والذي سوف يأتي في محله من هذا البحث، حيث يقول الأشهاد وهم النبي والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. ويكشفون حقيقة كل إنسان من مبغضيه ومن الذين كذبوهم وظلموا آل محمد وصنوا الناس عن سبيل الولاية والإمامة، ولم يسلكوا الصراط المستقيم.

وقال تعالى في سورة الكهف. الآية: 57 **{ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا**

على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقوا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتوا إذا أبدا}.

فلطالما ذكرهم الله ورسوله بآيات الله وكلماته، بعد أن عرفهم حقيقتها الكاملة، ومع ذلك فقد ظلموا وأنوا آيات الله وكلماته وهم العزة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، وأعرضوا عنهم بعد ذلك ونسوه، حتى إن أحدهم يموت وهو لا يوري من هو إمامه ولا يعرفه.

وقال تعالى في سورة العنكبوت الآية 68 **لومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم**

مشوى للكافرين}.

هذه أمثلة من الآيات القوانية الشريفة، تبين في كثير من مضامينها ومعانيها الإرتباط الوثيق بينها وبين حديث الثقلين، وتدل أيضا على أن ولاية أهل البيت عليهم السلام والتمسك بالكتاب والعزة الطاهرة طريق يوصل العبد المؤمن إلى الحوض في القيامة الكرى.

فمن وصل خطه في الدنيا بخطهم عليهم السلام ووالاهم واقتدى بهديهم وأحبهم وودهم واتبعهم شرب يوم القيامة من حوضهم وكان من الناجين الأمنين يوم الدين.



الرحمة المهداة:

وبالعودة إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، فإنك تجد أنها تدل على معاني الرحمة للناس كافة، وحرصه الشديد صلى الله عليه وآله على ثبات الناس على الحق ومتابعته والتمسك به بعد انتقاله للرفيق الأعلى من خلال أمره بالتمسك والإعتصام بأهل البيت عليهم السلام، لأنه لا يريد لأمته أن تضل من بعده وتختلف، ويتأكد ذلك في قوله تعالى في سورة الأنبياء الآية 107 **لوما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**.

وقال تعالى في سورة التوبة الآية 128 **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**.

ولحرصه صلى الله عليه وآله ووده للمؤمنين ومحبته لهم ورغبته في أن لا يضلوا بعده أبداً، جعل الروابط في ما بين الناس وأهل البيت من خلال المحبة والمودة لهم وموالاتهم ومتابعتهم جعل ذلك أجراً على الوسالة.

قال تعالى في سورة الشورى الآية 23 **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور**.

أخرج أحمد والتومذي وصححه والنسائي والحاكم، عن المطلب بن ربيعة قال دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إنا لنخرج فزى قريشا تحدث، فإذا رونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودر عرق بين عينيه، ثم قال (والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان، حتى يحبكم الله ولقوابتي).

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطواني وابن مودويه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما تولت هذه الآية **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** قالوا: يا رسول الله، من قوابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداها.

وأخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد، عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى**، أن تحفظوني في أهل بيتي وتوهم بي.

حبهم حسنة:

ثم إن الآية الشريفة بعد طلب المودة لأهل البيت عليهم السلام وعقرته الطاهرين، تشير إلى أن ولايتهم ومودتهم ونصرتهم هي حسنة كبيرة عند الله تعالى، وأن من يقترف الحسنة التي هي الولاية لأهل البيت سوف يزيده الله حسناً وكمالاً في الدنيا بموالاتهم، وفي الآخرة بالورود على حوضهم صلوات الله تعالى عليهم.

روى السيوطي في الدر المنثور قال، أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس **لومن يقترف حسنة** قال: المودة لآل محمد.

وعليه كانت الحسنة هي حب آل محمد وولايتهم، وهي مرتبطة بحديث الثقلين ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتتطابق مع قوله تعالى في سورة البقرة الآية 201 **{ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار}**. ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحث المسلمين على الدعاء بتلك الآية في كل العبادات وفي كل المواقف العظيمة عند الله تعالى التي تكون استجابة الدعوة فيها أوكداً، ولقد روت صحاح المسلمين كلها أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أكثر دعوة يدعو بها **{ربنا آتانا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقتنا عذاب النار}**.

فقد روى زاذان عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنه قال: فينا في آل حم آية، لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن. ثم قال: **{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}**.

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: خطب الحسن بن علي عليه السلام الناس حين قتل علي عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "... وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تبرك وتعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً تَدْرُ لَهُ فِيهَا حَسَنًا) فأقراف الحسن مودتنا أهل البيت.

الصفحة 56

وهذا التأكيد الواضح والتأبط الصريح بين الآيات وحديث الثقلين فيما يتعلق بموضوع ولاية وإمامة أهل البيت عليهم السلام، هذا التأبط والتأثر يدل على عظمة ومحورية وأهمية بل ومركزية إمامة أهل البيت وولايتهم في الإسلام وعند المسلمين، التي يجب أن لا تغيب عن بال أحد، فكما هي حاضرة في مضامين ومعاني المئات من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، فإنها (أي إمامة أهل البيت وولايتهم) يجب أن تكون حاضرة في كل نواحي الحياة وفي كل زمان ومكان.

رزية الخميس:

وأما الموضوع المهم بعد ما مر من تأبط وتطابق وتأثر، فإننا نأتي إلى قضية هامة جدا وهي تطابق حديث الثقلين مع أحاديث رزية الخميس في العديد من الجمل والعبيرات بشكل صريح في المنطوق والمفهوم. فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعه قال: (انتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده). قال عمر: إن النبي غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلوا وكثر اللغط، قال: (قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع).

فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين كتابه. وروى البخاري وغيره قال حدثنا قبيصة: حدثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: (انتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا). فتنزلوا، ولا ينبغي عند نبي تنزع، فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. قال: (دعوني، فالذي أنا

الصفحة 57

فيه خير مما تدعونني إليه). وأوصى عند موته بثلاث: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجزمهم). ونسيت الثالثة.

وفي رواية أحمد في المسند قال (وسكت سعيد عن الثالثة فلا أوري أسكت عنها عمداً، وقال مرة أو نسيها وقال سفيان مرة: وإما أن يكون تركها أو نسيها).

لاحظ التطابق بين عبارة لن تضلوا في الحديث وكذلك موضوع الوصية، مما يدل دلالة قاطعة على أن الموضوع الذي كان سيكتبه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هو ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وواضح من موضوع نسيان الولي الوصية الثالثة في حديث رزية الخميس.

وهو واضح أيضاً من رفض عدد كبير من الصحابة، فسح المجال للمسلمين أن يسموا ما كان يريد أن يكتب لهم رسول الله، ولذلك ورد في المتون المختلفة للرواية، إتهام رسول الله صلى الله عليه وآله بالهجر والهديان، ثم ورد أيضاً تنزلهم وارتفاع أصواتهم وصياحهم عند رسول الله، وهذا ليس فقط عصيان وتعد على مقام النبوة ومقولة الوسالة، بل كان رفع الصوت والتتزع من أجل إفشال ما كان رسول الله يريد أن يوثقه للمسلمين، حتى لا يضلوا بعده أبداً وهو الوصية لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله تعالى عليه.

لاحظوا في الروايات قول عمر إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلوا وكثر اللغظ. ثم لاحظوا معي شدة التتزع والمخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله من قبل كبار الصحابة، فقد وصفت ذلك التتزع والإختلاف بشكل أوضح الروايات التي سأذكرها من كتب أهل السنة، حتى يسقط تبرير علماء المسلمين لما فعله عمر ومن وافقه الوأي في يوم رزية الخميس.

روى في مجمع الزوائد عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ادعوا لي بصحيفة ورواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً". فوهنا ذلك أشد الكراهة، ثم قال رسول الله: ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً. فقال النسوة من وراء الستر: ألا يسمعون ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: إنكن صواحبات يوسف،

إذا

الصفحة 58

مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عصوتن أعينكن، وإذا صحركبتن رقبته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

دعوهن فإنهن خير منكم.

روى في مجمع الزوائد وعن ابن عباس قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فقال: انتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تختلفون بعدي أبداً. فأخذ من عنده من الناس في لغظ، فقالت امرأة ممن حضر: ويحكم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم! فقال بعض القوم: اسكتي فإنه لا عقل لك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنتم لا أحلام لكم.

وروى في كنز العمال عن عمر بن الخطاب قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، وبيننا وبين النساء حجاب، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغسلوني بسبع قوب، وأتوني بصحيفة ورواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقالت النسوة: ائثار رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته، قال عمر فقلت: اسكتن فإنكن صوابه إذا موصى عصوتن أعينكن، وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هن خير منكم.

لاحظوا في الروايات قول الرسول لهم لا تضلوا، ولن تضلوا، ولا تختلفون من بعدي، وطابقها مع حديث الثقلين، ومع حديث الولاية، ومع الروايات التي يبين فيها رسول الله صلى الله عليه وآله فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه يبين لأمته ما يختلفون فيه من بعده، وكذلك مع عشرات النصوص في أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم وأحقيتهم وحقيقتهم، حتى تصل إلى وجه التشابه والتطابق في المضمون والموضوع بين حديث الثقلين وبين ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدونه ويوثقه للمسلمين بخصوص ولاية وإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم رزية الخميس التي يندى الجبين عند سماع تفاصيلها.

لقد تناسى أولئك أن ما فعلوا هو عصيان واتهام بالباطل لرسول الله، كما أنه تعود على رسول الله، ومنع له من أن يباشر مهامه في الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ ما أتى إليه من ربه.

الصفحة 59

ثم إن في رفع الصوت على رسول الله والتتزع عنده والمخالفة له مشاققة لله ولرسوله، ومعصية واضحة لا يمل في فيها إلا حاقدا على رسول الله مبغضا له ولأهل بيته.

وأعتقد أن جميع من يؤأ القرآن الكريم من المسلمين يعلم عقوبة معصية رسول الله ومشاققته ومعاداته وتسبب الأذى له، ولكنني أورد بعض الآيات للتذكير من أجل الملاحظة والمطابقة بين الآيات والأحاديث.

قال تعالى في سورة النساء. الآية 115 **لومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصورا}.**

وقال تعالى في سورة الأنفال الآية 13 **لومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب}.**

وقال تعالى في سورة النور الآية 63 **{فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}.**

ثم إن في رفع الصوت فوق صوت النبي حبط للأعمال كما ذكرت ذلك الآيات الشريفة.

قال تعالى في سورة الحوات الآية 2 **{يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول**

كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون}.

لاحظوا الآية أنها من سورة الحوات وتطابق حصول حادثة رزية الخميس في نفس المكان، ثم تطابق سبب نزول الآية في أشخاص معينين وهم نفس الأشخاص الذين اتهموا رسول الله بالهجر ومنعه من كتابة الوصية لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وهم الذين صنوا رسول الله عن سبيل الله وعن الصواب المستقيم، ورفضوا التمسك بما إن تمسكوا به فإنهم لن يضلوا

أبدا.

في الحقيقة فإنهم قد ضلوا عندما رفضوا سماع ما رآد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكتبه لهم، بل لم يكتبوا بذلك

فأعلنوا رادتهم صراحة وعلى

الصفحة 60

مسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى مسمع كل من حضر من المسلمين.

ولقد تولى تبليغ تلك الإادة عمر بن الخطاب عندما قال لرسول الله، لا نريد كتابك الذي تريد أن نكتبه لنا، ثم قال حسبنا

كتاب الله، وفي ذلك دلالة واضحة على علم عمر ومن وافقه الرأى بما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يريد أن يوثق

ويكتب للمسلمين قبل وفاته بأيام حتى لا يضلوا بعده.

وكلمة عمر تلك تؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان سيون لهم في ذلك الكتاب الوصية بإمامة العزة الطاهرة

وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله تعالى عليه.

ثم إن في قولهم حسبنا كتاب الله تفريق لما جمع الله، وهما الكتاب والعزة كما في حديث الثقلين، فقد أمر الله تعالى على

لسان رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أن نتمسك بالكتاب والعزة معا، وأن نعتصم بهما معا، وأنهما لن يتوقفا

أبدا.

فكانت تلك الدعوة للتفريق بينهما أول معول من معاول محولات هدم الحوض في الدنيا، وذلك من خلال الشعار الذي رفعه

عمر بن الخطاب ومن خلال الدعوات التي بقيت تنادي بطمس حقيقة اقتران الكتاب مع العزة الطاهرة، ولم تقتصر الدعوة

على عمر فقط، بل استمرت تلك المحولات ومازالت مستنورة حتى يومنا هذا، وسوف تجد المزيد من التفصيل عن ذلك عند

التفصيل في موضوع لن يفترقا ولن يتوقفا.

ثم إن في إغواضهم عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وتزلزلهم واختلافهم ولغظهم ولغوهم وشقاقهم وظلمهم ورفع

صوتهم ومعصيتهم وصددهم ومحاولتهم لفصم العروة الوثقى وكلمة التقوى تطابق وتلازم مع العشوات من الآيات الوأنية التي

تنور حول محور حديث الثقلين، وتتداخل في المعنى والمضمون والموضوع مع إمامة وولاية أمير المؤمنين والأئمة من أهل

البيت عليهم الصلاة والسلام والاقترانهم بالكتاب.

الصفحة 61

ولو بحث القارئ الغريز عنها لوجدها في كل سورة من سور القرآن الكريم. لكن المقام لا يتسع في تفصيلها في هذا

البحث، وما أحاوله هنا هو أن أستنفر العقول لتوضيح لتباط حديث الثقلين بكليات الإسلام وجزئياته، ولأثبت أنه محور

أساسي من محاور الإيمان والعقيدة والأحكام، من خلال تبيان الكلمات والعبارات التي تتطابق مع معنى الهداية والتمسك

والطاعة والإعتصام بأهل البيت عليهم السلام وما يشبهها من الألفاظ في الآيات والأحاديث، أو المعاني التي تناقض التمسك

والهدى والإعتصام، كالضلال والمعصية والتفريط والظلم والإغواض والمخالفة والتفريق بين ما جمع الله وما إلى ذلك.

قال تعالى في سورة النور الآيات 48 - 50 **لوإذا دعا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معوضون، وإن يكن**

لهم الحق يأثوا إليه مذعنين، أفي قلوبهم مرض أم رتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله، بل أولئك هم الظالمون}.
هذه الآية الشريفة كأنها توضح حقيقة ما حصل يوم رزية الخميس عندما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأتوه
ببؤة وكتف ليكتب لهم كتاب الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فأعرض فريق من الصحابة عن الإستجابة
لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان لسان حال أولئك المعرضين والمعتضين عمر بن الخطاب الذي رفع شعار حسبنا كتاب
الله كما بينا في بحث سابق بالأدلة المفصلة.

كما أن الآية تنطبق أيضا على حوادث متعددة حصلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث كان العديد من الصحابة
يعترض على حكم الله ورسوله، ومن تلك الحوادث حادثة اعتراض عمر بن الخطاب على حكم الله ورسوله في صلح الحديبية،
ومنها اعتراضهم ورفضهم وكثرة لغظهم وصياحهم عندما حكم الله ورسوله أن يكون اثنا عشر إماما وخليفة للمسلمين كلهم من
بني هاشم ومن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

الصفحة 62

قال تعالى في سورة النور الآية 63 {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم
لو اذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}.

قال تعالى في سورة النساء الآية 65 {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما}.

قال تعالى في سورة محمد الآية 2 {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر
عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}.

لاحظ تطابق الآية في الموضوع والمضمون مع قوله تعالى في سورة المائدة.

الآية: 67 {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}. ولاحظ لتباطؤ الإيمان بما قول على رسولنا محمد صلى الله عليه
وآله يوم الغدير بخصوص ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأنه هو الحق، وأن من آمن ولاية أهل البيت عليهم السلام
ومضمون وموضوع حديث الثقلين، فإن الله تعالى يكفر عنهم سيئاتهم، ويبدلها بالحسنات.
وهكذا أخي الكريم لو نظرت في آيات غير التي ذكرنا، وحاولت أن تستكشف حقيقتها وحقيقة لتباطؤها وتلازمها مع حديث
الثقلين، فإنك سوف تتعرض لعشرات الآيات من القرآن الكريم تؤكد محورية الحديث في العقيدة والأحكام.

كتاب الله وعترتي أهل بيتي

ويستمر حديث الثقلين في تبيان حقيقة ما ترك رسول الله وخلف من بعده، وبين أنهما شيئين اثنين وقال في غير مرة أنهم
خليفتين، وقال أيضا ثقلين، وبين بشكل صريح واضح لا يمكن أن يخفى على أحد أنهما كتاب الله وأهل البيت وأنهما لن يفترقا
ولن يتوقفا، وبين أن الواجب هو التمسك بهما معا، وأن من فعل ذلك فإنه لن يضل أبدا.

الصفحة 63

والقوان الكريم هو كتاب الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لابد له ممن يبينه ويبين معانيه وتأويل آياته ويهدي الناس إلى ذلك ويعلمهم إياه، لأنه لا يمكن لمن يقول حسبنا كتاب الله أن يفهم القوان لمجرد أنه يقوا القوان أولمجرد أن يقتني ذلك الكتاب، فلو جاز ذلك لادعى الطب مثلا كل من قوا كتب الطب من غير أن يدرسه على يد متخصص تحرير في ذلك المجال من طريق التفقيين، فلا يجوز فهم أي علم ولا يمكن أن يكون بدون من يلقيه للآخرين. ولذلك كان من لطف الله تعالى بالناس أن جعل القوان وجعل معه الأئمة الطاهرين المعصومين الهداة المهديين وقون بينهم، إذ لا يمكن أن يفهم القوان بحسب ما يريد الله تعالى إلا بوجود من يكون عدلا للقوان، وهم العزة الطاهرة. ولذلك وردت النصوص الشرعية المتضافرة والتي توضح هذا المعنى، وأنه لا يمكن أن يتوك القوان من غير وجود من يبينه، لأنه إن صح ذلك فمن الممكن أن يأتي أي إنسان يدعي العلم والمعرفة ليحدد مفاهيم القوان بحسب رأيه العاجز وميوله النفسية والشهوانية الباطلة.

ولا يمكن ذلك، وهو مالا يرضاه الله تعالى ورسوله، ولذلك حدد الشلوع المقدس أن الكتاب وأهل البيت مقتونان لا ينفصلان ولا يمكن الأخذ بأحدهما دون الآخر لأنهما لا يفترقان حتى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحوض.

وقد نوه الله تعالى في القوان وكذلك رسول الله من خلال الحديث الشريف بذلك المفهوم، وإليك بعض من تلك النصوص مع أنك سوف تجد أن أغلب ما ذكر من آيات وأحاديث في هذا البحث كلها تبين المعنى الذي حددناه. قال تعالى في سورة الواقعة الآية 79 **{لا يمسه إلا المطهرون}** ومعنى الآية أنه لا يدرك معانيه الحقيقية كما يريد الله تعالى إلا أناس مطهرون من الله، أي أن الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهورهم تطهوا، ولا يمكن لعقولنا القاصرة أن تعرف أولئك المطهرون إلا أن يعرفنا الله تعالى بهم، فإذا أردنا أن نعرف من

الصفحة 64

هم المطهرون؟. فإن الجواب من الله تعالى في آية التطهير من سورة الأحزاب الآية 33 **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا}**. والآية واضحة الدلالة بأن المطهرون الذين طهروهم الله تعالى تطهوا هم أهل البيت عليهم السلام، وهم الذين حددت هويتهم الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله في كل صحاح ومسانيد ومصادر المسلمين، وقال تعالى في سورة النحل **{فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}**. وأهل الذكر هم عدل القوان وهم أهل البيت عليهم السلام الذين قول القوان في بيوتهم، وأهل البيت أوى بما فيه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع القوان والقوان مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). رواه الحاكم والطواني والسيوطي عن أم سلمة.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخوج ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي وابن عساكر وابن النجار قال: لما تولت **{إنما أنت منذر ولكل قوم هاد}** وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صوه فقال "أنا المنذر،

وأوماً بيده إلى منكب علي عليه السلام فقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي).

وقال صلى الله عليه وآله (يا علي تقاتلهم على التأويل كما قاتلتهم على التتريل).

وقال صلى الله عليه وآله (يا علي أنت تبين لأمتي ما يختلفون فيه من بعدي).

وقال صلى الله عليه وآله (علي مع الحق والحق مع علي).

وقال صلى الله عليه وآله (أقضاكم علي).

وقال صلى الله عليه وآله (لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني).

وقال صلى الله عليه وآله (أنا مدينة العلم وعلي بابها).

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً عن أهل البيت (لا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تتخلفوا عنهم فتضلوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم

منكم).

ولذلك كان لابد من توضيح معاني الكتاب ومعاني أهل البيت عزوة رسول الله الطاهرة، ثم أوجه التشابه والتكامل بينهما،

لأنهما شيء واحد، فحقيقة أحدهما هي حقيقة الآخر.

الصفحة 65

وهذا ظاهر من الحديث عندما يقول أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. وهو ظاهر من قوله تعالى في سورة الأعراف

الآية 181 **لُومِن خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**.

روى في الكافي: عن الإمام الصادق، والعياشي عن الإمام الباقر عليهما السلام في هذه الآية، هم الأئمة عليهم السلام.

وفي المجمع أيضاً عنهما عليهما السلام قالوا: نحن هم.

وروى في تفسير القمي قال هذه الآية لآل محمد عليهم السلام، وأتباعهم.

روى صدر الأئمة موفق بن أحمد بن عن أبي بكر بن مردويه بسنده إلى علي عليه السلام، قال: تفوق هذه الأمة ثلاثاً

وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة فإنها في الجنة، وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم: **لُومِن خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ**

وَبِهِ يَعْدِلُونَ وهم أنا وشيعتي. ورواه في كشف الغمة وفي بحار الأنوار.

وروى في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: قوله تعالى **لُومِن خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** الأعراف الآية 181

قرئت في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن أبي بصير قال: تلا أبو جعفر الباقر عليه السلام هذه الآية **{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}**. فقلت:

أنتم هم؟ قال أبو جعفر عليه السلام: من عسى أن يكونوا ونحن الراسخون في العلم؟.

أما من هم أهل البيت المقصودون في حديث الثقلين؟.

فهذا أمر لابد للشروع المقدس من تحديد معناه وتوضيحه، لأنه لا يمكن للبشر الذين تتجاذبهم الأهواء والرغبات النفسانية،

أن يُتوك لهم تحديد أئمتهم وولادة أمرهم الذين يتحدد بهم الهدى من الضلال، ويتعلق بهم أمر الدين، ويرتبط بهم مصير الأمة.

ولذلك تكفل رب الغرة بتعريفهم وإظهارهم للناس كافة، طوال فترة حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الآيات القوانية والأحاديث النبوية الشريفة وبشكل واضح لا يقبل الإلتباس، وتمتعت معه تأويلات المنتسكين والمشككين المبغضين، الذين حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يصرفوا معنى أهل البيت إلى معان أخرى لا يرضاها الله تعالى ولا يرضاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد بينت في كتابي سبيل المستبصرين حقيقة أهل البيت عليهم السلام، وأن عبارة أهل البيت هي اصطلاح شعوي وضع الشراع المقدس له معنى خاصا أخرجه عن معناه اللغوي، وذلك مثل لفظة الصلاة في اللغة وتعني الدعاء، لكن الشراع المقدس أضيف على كلمة الصلاة معنى شعويا خاصا صلت الكلمة تعرف به وهو الصلاة الشعوية وماتحويه من ركوع وسجود وقراءة وتسبيحات وصلاة على رسول الله وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ولذلك صار للعبارة معنى شعويا خاصا لا يجوز أن يصوف عنه إلى غيره.

ولقد بين مراجعنا العظام وعلمائنا الأفاضل حقيقة أهل البيت وفضائلهم من خلال عشرات المؤلفات، ولكنني في هذا المقام أعرض بعض الأدلة من القرآن والحديث ليتبين للقرئ العزيز وبشكل مختصر من هم أهل البيت. حيث تتجلى الحقيقة الشعوية لأهل البيت عليهم السلام من خلال آية التطهير وآية المباهلة وغيرها من الآيات.

قال تعالى في سورة الأحزاب الآية 33 **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا}**.

روى الطوي في جامع البيان عن أبي سعيد الخوي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (تولت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي، وحسن، وحسين عليهم السلام، وفاطمة عليها السلام) **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا}**.

وروى الطوي وغيره عن أبي سعيد الخوي، عن أم سلمة، قالت: لما تولت هذه الآية: **{إنما يريد الله ليذهب عنكم**

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا}



دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فجلل عليهم كساء خيوريا، فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهرا) قالت أم سلمة: ألسنت منهم؟ قال: أنت إلى خير.

وفي رواية أخرى (إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم).

وروى الحاكم في المستدرک عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت:

في بيتي تولت هذه الآية: **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت}** الأخاب 33 . قالت: فرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم الصلاة والسلام، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي. قالت أم سلمة: يا رسول الله، ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك خير أهلي، وهؤلاء أهل بيتي، اللهم أهلي أحق.

وروى الحاكم في المستدرک عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: جئت ريد عليا عليه السلام فلم أجده، فقالت فاطمة عليها السلام، انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعوه، فاجلس، ف جاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل، ودخلت معهما.

قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسنا وحسينا، فأجلس كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة من حوجه وزوجها، ثم لف عليهم ثوبه، وأنا شاهد، فقال: **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا}** اللهم هؤلاء أهل بيتي.

وروى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت (خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه موط مرحل، من شعر أسود. ف جاء الحسن بن علي فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه. ثم جاءت فاطمة فأدخلها. ثم جاء علي فأدخله. ثم قال (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا).

وأخرج ابن مودويه عن أبي سعيد الخوي رضي الله عنه قال: لما دخل علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام. جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين

صباحا إلى بابها يقول، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا}** أنا حرب لمن حربتم، أنا سلم لمن سالمتم.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا}** قال: هم أهل بيت طهروهم الله من سوء، واختصهم ورحمته.

قال: وحدث الضحاك بن مزاحم. أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول (نحن أهل بيت طهروهم الله، نحن شجرة النوء، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم).

وأخرج الطواني عن أبي الحواء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي باب علي، وفاطمة ستة

أشهر فيقول **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهراً}**.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال، وأخرج ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار، عن أبي سعيد الخوري قال: لما

تولت **{وأمر أهلك بالصلاة}** كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيء إلى باب علي عليه السلام صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول:

الصلاة رحمكم الله **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهراً}**.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال وأخرج مسلم والترمذي وابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه وغوهر عن سعد بن

أبي وقاص قال: لما تولت هذه الآية **{قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة**

الله على الكاذبين} دعار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، وفاطمة، وحسنا، وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

ولم تكتف النصوص الشوعية بتبيان أهل الكساء فقط بل إن هناك نصوص عديدة تبين عدد الأئمة من أهل البيت عليهم

السلام بشكل واضح نذكر منها بعض ما روته كتب وصحاح أهل السنة.

الصفحة 69

فقد أخرج أحمد والحاكم عن ابن مسعود. أنه سئل كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: سألتنا عنها رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم فقال: (اثنا عشر كعدة بني إسرائيل).

وروى البخاري في صحيحه عن جابر بن سودة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يكون اثنا عشر أمراً) فقال

كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش.

ورواه مسلم في صحيحه عن جابر بن سودة قال: دخلت مع أبي علي النبي صلى الله عليه وسلم. فسمعت يقول (إن هذا

الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة). قال: ثم تكلم بكلام خفي علي. قال فقلت لأبي: ما قال؟ قال كلهم من

قريش.

ثم إن الروايات التي تذكر الإمام المهدي عجل الله تعالى فوجه الشريف المتواترة والتي تفوق الحصر والتي تبين أنه من

عزة رسول الله وأنه من ولد فاطمة وأنه الإمام الثاني عشر، تؤكد على المعنى الشرعي لعبارة أهل البيت الذي وضعه الشراع

المقدس.

فقد أخرج الجويني في فوائد السمطين، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وآله، إن خلفائي و أوصيائي و حجج الله على الخلق بعدي، اثنا عشر، أولهم، أخي، و آخرهم ولدي، قيل: يارسول الله! و من

أخوك؟. قال: علي بن أبي طالب، قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي، الذي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما.

وهناك عشرات الروايات التي توضح معنى ومفهوم أهل البيت عليهم السلام، كما قلت استوفتها كتب وصحاح المسلمين،

وما ذكرت هو مقدار يسير منها، من أجل تباطؤ البحث، والواجب مراجعة ما كتبه مراجعنا وعلمائنا في بيان حقيقة وأهمية

أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم.

الكتاب والعترة حقيقة واحده:

ومما يدل أيضا على أن الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت شيء واحد، وأنهما متلازمان ومتكاملان، وأنهما حقيقة واحده، فالكتاب هو القوان الصامت والأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم القوان الناطق، وهو ما روته كتب الحديث عند أهل السنة كحديث الثقلين وغوه من الأحاديث التي تبين معاني آيات عديدة من القوان الكريم ولرباطه الوثيق بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

فقد روى الطواني والحاكم والسيوطي وغوهم كثير عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع القوان والقوان مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

وهم عليهم السلام أهل الذكر المقصودون في الآية من سورة النحل **{فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}**. وذلك من خلال تطابق الآية وتلازمها مع حديث الثقلين ومع الأحاديث التي تشير إلى علم أهل البيت والتي تعرضنا لعدد كبير منها في هذا البحث. فهم أهل الذكر وأهل القوان والقوان معهم وهم مع القوان لا يفترقان.

ولو نظر القرئ في صحيح البخاري ومسلم وغوهما، ودقق في أحاديث الصحيفة العلوية، لوجد أن كل تلك الأحاديث تقر وتعترف بأن فهم القوان الكريم هو عند عدل القوان الكريم أهل البيت عليهم السلام.

وعلى ذلك فإنني سوف أذكر بعض الخطب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي يصف فيها القوان الكريم ومن ثم مطابقتها مع أهل البيت عليهم السلام، ثم أذكر بعض الآيات القوانية التي فيها وصف للقوان الكريم، ومطابقتها أيضا مع أهل البيت عليهم السلام، وأظهر أوجه التلازم بين الكتاب والعترة الطاهرة، حتى تتجلى حقيقة طبيعية ومنطقية أن فهم القوان الكريم لا يتأتى إلا من طويق أهل البيت عليهم السلام، ولذلك أكد حديث الثقلين تلك الحقيقة وقال أنهما لن يفترقا.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له وردت في نهج البلاغة (وكتاب الله بين أظهركم، ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم

لركانه، وعز لا تهزم أعوانه، وكتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وينطلق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله).

ويقول عليه السلام (الله في القوان لا يسبقنكم بالعمل به غيركم).

وقال عليه السلام (اعلموا أنّ هذا القوان هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القوان أحد إلا قام عنه زيادة أو نقصان، زيادة في هدى، ونقصان من عمى. واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القوان من فاقة، ولا لأحد قبل القوان من غنى، فاستشفوه أوائكم، واستعينوا به على لأوائكم فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء - وهو الكفر والنفاق والغى والضلال -، فاسألوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنّ ما توجه العباد إلى الله بمثله،

واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه. (وقال عليه السلام (إن الله سبحانه وتعالى لم يعظ أحدا بمثل القرآن، فإنه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلوب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره). فلو طابقتنا متون خطب أمير المؤمنين عليه السلام التي يصف بها القرآن الكريم، مع كل النصوص التي تتعلق بأهل البيت عليهم السلام، لوجدنا أن تلك الخطب البليغة تتحدث أيضا عن وصف الأئمة من أهل البيت على اعتبار أنهما شيء واحد. أما بالنسبة للآيات القرآنية والتي فيها وصف للقرآن الكريم فسنتظهر عددا منها ووجه تطابقها وتلازمها مع أهل البيت عليهم السلام.

فكما أن القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكذلك هم عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى في سورة فصلت الآية 43 **{وانه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}**. فهم عليهم السلام عدل القرآن وأهله الذين يبينونه ويعرفون دقائقه، وهم الذين يبينون معانيه للناس، وهم الهداة المهديون، فلا يمكن أن يتطرق إلى كلامهم

الصفحة 72

الباطل لأنه عن رسول الله عن رب العزة، فبالتالي لا يمكن لأهل البيت عليهم السلام أن يفتروا عن القرآن ولا يمكن أن يفتروا القرآن عنهم بدلالة حديث الثقلين، ولذلك كان ما ذكر الله تعالى في القرآن من آيات تتعلق بالقرآن تنطبق عليهم انطباقا تلازميا لا انفكاك عنه أبدا، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض) وقال صلى الله عليه وآله (يا علي تقاتلهم على التأويل كما قاتلتهم أنا على التتويل) وقال أيضا (يا علي أنا المنذر وأنت الهادي تبين لأمتي ما يختلفون فيه من بعدي) وغير ذلك من الأحاديث التي تبين فضيلة أمير المؤمنين والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وأنهم هم الهداة وأنهم عدل القرآن وهم القرآن الناطق.

وكما قال تعالى في سورة الحجر الآية 9 **{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}**. فكذلك هم جعلهم الله أئمة لنا ليحفظ بهم الدين والنهج القويم وصراط الله المستقيم، ولذلك كان من الطبيعي جدا أن يحدد لهم الله تعالى لنا ويعرفهم لنا، لأنه تعالى تعهد لنا بحفظهم وبيان حقيقتهم وأحقيتهم.

وكما أن القرآن يهدي للتي هي أقوم، فهم كذلك الهداة إلى صراط الله المستقيم.

وكما أن القرآن الكريم بشرة المؤمنين فأهل البيت عليهم السلام هم كذلك.

قال تعالى في سورة الإسراء. الآية 9 **{إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن**

لهم أجرا كبيرا}.

وكما أتول الله تعالى الكتاب على رسول الله ولم يجعل له عرجا، وجعله قيما على الخلق لينبؤهم ويبشروهم، فأهل البيت

عليهم السلام هم القيمون على الخلق، وهم ولاة الأمر الذين تجب علينا طاعتهم وموالاتهم ومتابعتهم والإقتداء بهديهم وسلوك

صراطهم المستقيم، وركوب سفينتهم سفينة الناجين من الضلال المبين ومن غضب رب العالمين.

قال تعالى في سورة الكهف الآيات 1 - 3 {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، فيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا، ماكتئين فيه أبدا}.

الصفحة 73

قال تعالى في سورة المائدة الآية 16 {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم}.

ولذلك كانت كل تلك المضامين القوانية تشمل معها أهل البيت ثقل رسول الله العزة الطاهرة، الذين أمرنا الله بطاعتهم واتباعهم والإقتداء بهديهم سلام الله تعالى عليهم.

وأترك للقارئ الغريز البحث عن آيات قوانية أخرى تبين حقيقة القوان الكريم حتى يطابقها مع العزة الطاهرة عدل القوان وهداة الأمة والصراط المستقيم وسفينة النجاة.

وهكذا نكون قد عرفنا ماهو القوان؟. ومن هم أهل البيت أولوا الأمر؟. وكيف ربط الشلوع المقدس بينهما بروابط وثيق وسماهم حبل الله المتين والعروة الوثقى والصراط المستقيم والتتويج؟. وغير ذلك من المعاني السامية الرفيعة.

وكما أن المسلمين كانوا يعايشون القوان الكريم في كل نواحي الحياة من رأس الهرم إلى أصغر فرد في المجتمع، فهو الدستور ومعزة الرسول، وهو رمز المسلمين، ولذلك تجده في كل بيت من بيوت المسلمين، ويحمله المسلم معه في حله وتو حاله، فكان له الحضور الدائم في كل صغرة وكبوة من نواحي الحياة، فكذاك يجب أن يكون عدل القوان الكريم أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

وكما أن القوان الكريم محفوظ في الصدور، وموجود في بيوت المسلمين في أشرف الأمكنة وأكثرها تمزا واحتراما، وكما للقوان الكريم من الإحترام والتقدير والتقدیس في نفوس المسلمين، فيجب أن يكون أهل البيت عليهم الصلاة والسلام كذلك. وكما كان الإهتمام بجمع القوان وحفظه ورعايته والإهتمام به إلى أقصى الحدود، فكذاك كان الواجب على المسلمين الإهتمام بعدل القوان الكريم أهل البيت عليهم السلام ورعايتهم واحترامهم وطاعتهم ومتابعتهم، وليس قتلهم

الصفحة 74

وانواع حقوقهم وإقصائهم من الحياة الشرعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وجميع شؤون الحياة. وكما أن هناك مدرس تهتم بتحفيظ القوان وتجويده، فكذاك يجب أن يكون هناك مدرس لبيان حقيقة وأحقية أهل البيت عليهم السلام.

ومما يدل أيضا على أن الكتاب والعزة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام شيء واحد، هو أن المسلمين عندما تركوا أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وأقصوهم عن جميع نواحي الحياة، عندما فعل المسلمون ذلك تركوا القوان أيضا وهو في الحقيقة الواقع المظلم الذي يعيشه الناس منذ مئات السنين. وهو ما أثبت للقاصي والداني خطورة وخبث مقولة حسينا كتاب الله في حادثة رزية الخميس، التي كانت سبباً رئيسياً لتعاسة الأمة إلى يومنا هذا، فمن نتائج تلك المقولة وأؤها تُعرف مقاصد أصحابها

الذين رفعوها وجعلوها شعرا، حقدا وبغضا لرسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ومحاولة منهم لفصم العروة الوثقى التي وثقها الله تعالى، محلبة لله ورسوله وصدا عن سبيل الله. ولكن أنى لهم ذلك ونحن نستشرف الوعد الإلهي بظهور قائم آل محمد الإمام الثاني عشر الإمام المهدي المنتظر الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فوجه الشريف، ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملأها ظلماً وجوراً وزوراً وبهتاناً أصحاب دعوة فصل الكتاب عن العروة الطاهرة وأتباعهم ومن رضي بأفعالهم ووالاهم على ذلك، لتعود العروة الوثقى إلى موقعها الطبيعي، وتُظهر للنور حقيقة كلمات الله، ويعتصم الناس بحبل الله المتين، ويوصلهم إلى سفينة الناجين، ليسلكوا الصراط المستقيم، مع الطيبين الطاهرين أهل بيت النبي الكريم وشيعتهم الواضين المرصيين.

وكما أن المسلمين اليوم ينظرون إلى ظاهر القرآن الكريم ويعتبرونه كلام الله وأنه يجب أن يطبق في المجتمع وأن القرآن هو الحل، بمعنى أنهم أخذوا بالدعاية والإدعاء وتوكلوا التطبيق، فإنهم أيضاً كذلك تجاه أهل البيت عليهم السلام، يدعون محبتهم وحبهم ظاهراً ويعادونهم باطناً.

الصفحة 75

وعليه فإن ما يحصل من قبل المسلمين تجاه القرآن الكريم يحصل مع الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام والعكس صحيح أيضاً.

ولو دقق المدقق المنصف في ما ذكرناه لوجد أنه يتطابق ويتلزم مع آيات وأحاديث كثيرة منها آية المودة وهي قوله تعالى في سورة الشورى **{قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى}** . وكذلك آية التطهير وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهراً}** . وآية المبالغة وهي قوله تعالى في سورة آل عمران **{فمن حادك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين}** . وعشرات الأحاديث والروايات عند كل طوائف المسلمين كلها تنور حول محور حديث الثقلين. وأن الكتاب والعروة هما وصية الله ورسوله، وأنهما حقيقة واحدة، وشيء واحد متلزم مع بعضه البعض، وأعتقد أن الأمر صار واضحاً بيننا لا لبس فيه ولا شك.

نبأني اللطيف الخبير

ثم بعد بيان الوصية بالكتاب والعروة الطاهرة في حديث الثقلين، نأتي إلى عبوة في الحديث من ثلاث كلمات وهن (نبأني) و (اللطيف) و (الخبير) وفي أحد المتون العليم).

فلماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجمع المسلمين كلمة نبأني؟ ولماذا اختار من أسماء الله الحسنى اللطيف الخبير؟. يقول النبي صلى الله عليه وآله، أن الله تعالى الذي جعلني نبياً هو الذي اختار لكم الكتاب والعروة الطاهرة، وهو الذي أنبأني أنهما لن يفتورا، فلا يظن أحد أنني أنا الذي اختوت ولاية علي لأنه أخي وابن عمي، وفوضتها عليكم كما يدعي بعضكم، فهو تعالى الذي اختار أهل بيتي وجعل منهم الأئمة الإثني عشر ليكونوا أئمة لكم من بعدي حتى لا تضلوا، فأنا لا

دوافع نفسانية أو قبلية، فلقد كنت أنا وأهل بيتي دعوة أبي إراهيم، ونووة موسى، وبشلة عيسى عليه الصلاة والسلام. قال تعالى في سورة البقرة.

الآية: 124 **{وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ نَرِيْتِي قَالَ لَا يِنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}** . وهو الذي قال في سورة آل عمران الآية: 34 **{نَرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**.

ولذلك كانت كلمة نبأني في الحديث لتذكير المسلمين بنبوته ورسالته، حتى تبطل دعوى المدعيين، وتكون كلمة نبأني تأكيداً مشدداً على محتوى حديث الثقلين.

ثم إن هناك أهمية أخرى لكلمة نبأني من حيث التطابق والتصاقب في المعاني والألفاظ، وهي تطابقها مع سورة النبأ من حيث اللفظ والمضمون.

فقد قال الله تعالى في سورة النبأ الآية: 1 - 5 **{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ، كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}**.

وقال تعالى في سورة ص الآيتان 67-68 **{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْضِوُونَ}**.

روى في الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال النبأ العظيم الولاية. وعن الباقر عليه السلام، سئل عن تفسير عم يتساءلون، فقال هي في أمير المؤمنين عليه السلام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول (ما لله عز وجل آية هي أكبر مني، ولا لله نبأ أعظم مني).

وفي العيون عنه عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام (يا علي أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى).

وفي الكافي في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام (إني النبأ العظيم، وعن قليل ستعلمون ما توعدون).

وأما بالنسبة لأسماء الله تعالى اللطيف الخبير، فإنها جاءت في المعنى والمضمون المناسبين، من أجل التأكيد على معاني ومضامين حديث الثقلين، لأن اسم الله اللطيف، يتعلق باللطف الإلهي لعباده في كل جوانب الحياة، فالشريعة لطف إلهي، وأنظمة الحياة والكون لطف إلهي، والنووة لطف، والإمامة لطف إلهي أيضاً.

قال في القاموس المحيط **{وَاللَّطِيفُ: الْبَرُّ بُعْبَادُهُ، الْمِحْسُنُ إِلَى خَلْقِهِ بِإِيصَالِ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ بِرَفِقٍ وَلَطْفٍ، أَوْ الْعَالَمُ بِخَفَايَا الْأُمُورِ وَدِقَائِقِهَا، وَاللَّطْفُ، بِالضَّمِّ مِنْ اللَّهِ: التَّوْفِيقُ}**.

فإنه سبحانه وتعالى لطيف بعباده لا يأمر إلا بما فيه الخير والصلاح والهدى لعباده، وينهى عن كل ما فيه ضلال وفساد

يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر . قال تعالى في سورة النحل . الآية: 90 **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** .

ولو دقق المنصف في متن حديث الثقلين، لتيقن بأن أمر الله تعالى بإتباع الثقلين هو لطف إلهي، ولتيقن أيضا بأن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاية علي وأهل بيته عليهم السلام هي لطف إلهي بعباده الذين يعجزون عن معرفة مراد الله منهم إلا أن يخوهم الله تعالى بما ينفعهم ويهديهم ويصلحهم .

والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قال في الحديث لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، فكان اختيار اسم الله تعالى اللطيف في محله، فبتوفيق الله تعالى لنا ولطفه بنا، كانت نوة محمد صلى الله عليه وآله، وكانت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين من ولده، فقد لطف الله بنا ووقفنا ولايتهم حتى يبينوا لنا معالم ديننا ومراد الله تعالى منا، وهم ما يصلحنا

الصفحة 78

وعنوان نجاتنا وإيماننا، ولولا ذلك اللطف الإلهي لكنا والعياذ بالله من الهالكين .
وأما اسم الله تعالى الخبير، فهو الخبير بما كان وما يكون، وهو الخبير بما ينفع العباد ويضوهم، وهو الخبير بواطن الأمور وما تخفي الصدور، خبير بمن يطبق أمر الله تعالى ووصية رسوله الكريم فيما يتعلق ولاية وإمامة أمير المؤمنين، خبير بمن يطبقه ظاهرا وباطنا، خبير بمن يدعي الولاية ظاهرا ويضمر العدا والبغض باطنا، خبير بمن عاهد عهدا ونقضه، خبير بمن حضر يوم الغدير وهنا أمير المؤمنين بالولاية وبخ بخ له ثم بعد ذلك نقض بيعته وعهده . فالله سبحانه وتعالى هو اللطيف الخبير .

لن يفتوقا ولن يتوقا

ونأتي الآن إلى هذه العبارة من حديث الثقلين، والتي جاءت بصيغ مختلفة في متون مختلفة من حديث الثقلين، ولكن الملفت للنظر هو ورود كلمة الإفتراق بصيغتين، موة يفتوقا وموة يتوقا، مما يدل على أن لكل كلمة منهما دلالة مستقلة تشمل معانٍ مختلفة سنأتي عليها خلال البحث .

المهم هنا أن أداة النهي (لن) أنها أداة نفي تدل على التأييد، بمعنى أن الكتاب والعترة الطاهرة لن يتوقا ولن يفتوقا أبدا . مما يدل على وجود رادة تكوينية إلهية بأن الكتاب والعترة الطاهرة لن يفتوقا ولن يتوقا، وهو ما دل عليه حديث الثقلين وحديث الولاية وغيرها من النصوص الشرعية التي ورد الكثير منها في هذا البحث .

وأما ما هو الفوق بين كلمة تفوق وافتوق، فهو أمر مهم جدا لتبيان حقيقة تلك الإادة الإلهية التكوينية من خلال فهم

الفوق بين الكلمتين . فالإفتواق

الصفحة 79

والتفوق في اللغة يعني الانفصال والإنفصام، وفوق أي فصل بين شيئين وباعد بينهما وفصمهما.

ولكن في عبرتي لن يتوقا ولن يفتوقا دلالة معينة خاصة لكل واحدة من الكلمتين تعطي مفهوم الانفصال والتفوق معنى

مختلف عن الكلمة الأخرى، فقد كانت تلك الدلالة في الإادة الإلهية أن الكتاب والعزة الطاهرة هما العروة الوثقى التي لا

انفصام لها، ولن يتوقا ولن يفتوقا لا من ذاتهما ولا بفعل فاعل خرج عنهما.

وبشكل سويح فإن جملة لن يتوقا تدل على أن الكتاب وأهل البيت لا يمكن لأحدهما أن يتوق عن الآخر من ذات نفسه،

وأما معنى يفتوقا فإنها تدل على أن الكتاب وأهل البيت لا يمكن أن يفتوق أحدهما عن الآخر بفعل فاعل.

لن يتوقا:

أما النقطة الأولى فيما يتعلق بكلمة يتوقا، فمعناه أنه لا يمكن للكتاب أن يكون وحيدا بعيدا عن أهل البيت عليهم السلام، ولا

يمكن له أن يختار ذلك أو يتحقق له، ولا يمكن لأحد أن يفهم القرآن ويعرف تأويله وأحكامه غير أهل البيت عليهم السلام،

وكذلك بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام لا يمكن لهم أن يتوقوا عن الكتاب ولا يمكن لهم أن يطلوا ذلك، فلا يمكن أن يتحقق

التفوق بين أهل البيت عليهم السلام وبين الكتاب.

لأن الإادة الإلهية جعلتهم شيئا واحدا لا وجود لأحدهما من دون الآخر، فالكتاب هو القرآن الصامت، وهم عليهم الصلاة

والسلام القرآن الناطق.

وبالتالي نستطيع أن نفهم حديث علي مع القرآن والقرآن مع علي، ومدى ارتباطه بحديث الثقلين، ونستطيع أن نفهم عمق

القرآن أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بأحكام الإسلام كلها حتى في أصعب الظروف التي مروا بها، فمع وجود كل العقبات

والضغوطات والمظلوميات التي تعرضوا لها، فإنهم لم يتوقوا عن القرآن ولم يتوق القرآن عنهم.

الصفحة 80

ولوراجعنا سورة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق

الأعلى، لوجدنا أن الكبير والصغير من الصحابة ومن كل المسلمين، كانوا لا يستغنون عن علمه ومعرفته وحكمه وقضائه،

وكان المثل الأعلى في فهم آيات القرآن وبيان معانيها وتطبيق أحكامها، ولذلك كان أمير المؤمنين يقول عن فهمه ومعرفته

بالقرآن الكريم ويصوح عن ذلك بكل ثقة، وكان يفوه بذلك أمام كل الناس، ولم يجرؤ على فعل ذلك أحد من الصحابة غيره.

وقد كان عليه الصلاة والسلام دائما يقول ويردد: كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أجابني، وإن فنيت مسألتي

ابتدأني، فما تزلت عليه آية في ليل ولا نهار، ولا سماء ولا أرض، ولا دنيا ولا آخرة، ولا جنة ولا نار، ولا سهل ولا جبل،

ولا ضياء ولا ظلمة .. إلا أقرأنيها وأملأها علي وكتبتها بيدي، وعلمي تأويلها وتفسورها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها

وعامها، وكيف تزلت وأين تزلت وفيمن تزلت إلى يوم القيامة، دعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب

الله، ولا على من أزلت إلا أملاه علي.

وفي خطبة له عليه السلام قال: أيها الناس، سلوني سلوني، فوالله لا تسألوني عن آية من كتاب الله إلا حدثتكم عنها، بمن

تولت، بليلٍ أو نهارٍ، أو في مقام أو في مسير، أو في سهلٍ أو في جبل .. وفيمن تولت، أفي مؤمن أم في منافق، وما عنى به .. أخاصة أم عامة.

وقال عليه السلام: سلوني عن القآن؛ فإن في القآن علم الأولين والآخرين، لم يدع لقائل مقالا، ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، وليسوا بواحد، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان واحداً منهم، علمه الله سبحانه إياه، وعلمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم لا زال في عقبه إلى يوم تقوم الساعة.

وقد ذكر في نهج البلاغة في الخطبة القاصعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والتي قال فيها: ... وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقوابة القوية، والمتولة الخبيصة ... ولقد كنت أتبعه



اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمنوني بالافتداء به. ولقد كان يجول في كل سنة بجواء، فراهولا وراه غوي، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، روى نور الوحي والرسالة، وأشهر ربح النوبة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين قول الوحي صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع، وتوى ما روى، إلا أنك لتست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك لعلى خير.

ولقد روي المئات من المواقف التي تعرض لها أمير المؤمنين علي عليه السلام، عندما غير الصحابة وبدلوا بعد رسول الله، وبعد أن انتشرت الفتيا بالرأي، بقي عليه السلام القآن الناطق الذي يحكم بالحق وللحق، لا يخشى في الله لومة لائم. روى النسائي في سننه وغوه كثير عن مروان أن عثمان نهى عن المتعة وأن يجمع الرجل بين الحج والعمرة، فقال علي لبيك بحجة وعمرة معا، فقال عثمان أتفعلها وأنا أنهى عنها، فقال علي لم أكن لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأحد من الناس.

وكلنا يعرف موقفه عليه السلام بعد موت الخليفة الثاني، عندما دعاه عبد الرحمن بن عوف للبيعة على كتاب الله وسنة رسوله وسنة أبي بكر وعمر رفض عليه السلام ذلك ولم يقبل أن يدخل بين الكتاب والعمرة الطاهرة أي دخيل. وكذلك كانت مواقف الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، كانت كلها وأنا ناطقا ينطق بالحق الذي يرضاه الله ورسوله، وبالتالي تسقط كل الإتهامات الباطلة ضد أهل البيت وشيعتهم، إذ لا يمكن لأهل البيت عليهم السلام أن يتفوقوا عن القآن الكريم أو أن يحكموا بما هو خارج عنه، ويكفي المنصف المدقق من نوي العقول السليمة أن ينظر إلى الفقه الشيعي ويقارنه مع بقية المذاهب ليجد أن الإلزام الكامل بالكتاب ومضامينه وأحكامه هي الأمر

الظاهر الواضح الذي يمؤهم عن بقية المذاهب، التي تركت كتاب الله فضلا عن أهل البيت واتبعت الرأي والمصالح والقياسات الباطلة.

ونظرة منصفة أيضا من منصف مدقق ذو عقل سوي وبصيرة متفتحة إلى مناظرات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مع خلفاء عصورهم وعلماء المذاهب المختلفة، فسيدرك حقيقة العمرة النبوية الطاهرة واقتزائها الأبدي بالكتاب. وسيدرك مدى سعة فهمهم للنصوص القوانية وتأويلها برواد الله عز وجل، وسيعتقد حقا أن كلامهم فوق كلام البشر ودون كلام الله. أجزا من القرئ العزيز مراجعة ما جمعه مراجعنا العظماء وعلمائنا الأجلاء فيما يتعلق بسوة أئمتنا من أهل البيت عليهم السلام.

كما لا يمكن للقآن الكريم أن يتفوق عن أهل البيت عليهم السلام أو أن يستغني عنهم، ولذلك فإن الإرادة التكوينية في أن الكتاب والعمرة الطاهرة لن ينفصلا عن بعضهما سوف تتجلى بكل وضوح عند ظهور الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت

عليهم السلام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فوجه الشريف، الذي سوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وستظهر الإرادة الإلهية على الكوة الأرضية بقيام نولة الكتاب وأهل البيت عليهم السلام.

ضرورة وجود الإمام في كل عصر:

ومن محطات حديث الثقلين الهامة جداً خصوصاً العبرة التي نحن بصدد شرحها، أنه يؤكد على ضرورة وجود إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام في كل عصر وزمان، إذ لا يمكن أن يخلو عصر من العصور من إمام معصوم معين من الله تعالى، وهذا الأمر واضح الدلالة في كل عبارات حديث الثقلين التي تعرضنا لبيان بعضها، وخاصة جملة لن يتوقفاً للوردة في عشرات الأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك الروايات المستفيضة عند كل مذاهب المسلمين التي سنمر على بعض منها في الصفحات التالية.

الصفحة 83

ولذلك كانت عقيدة المؤمن المخلص الصادق في إيمانه وولائه لله ولرسوله ولأئمة الإثنى عشر، هي الاعتقاد بوجود الإمام الحجة الثاني عشر عجل الله تعالى فوجه الشريف، وأنه وعد الله الحق، وأنه ولد وأبوه هو الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري، وأنه منصوص على إمامته، وأنه من أهل البيت من ولد فاطمة الزهراء سلام الله تعالى عليها، وسيظهر في الوقت الذي اختاره الله تعالى لظهوره الشريف، وأن انتظره عبادة.

والأمر المهم في وقتنا الحاضر هو الاعتقاد بضرورة وجود إمام معصوم في كل عصر وفي كل زمان، وهذا الوجود للإمام هو ضرورة تكوينية وضرورة شرعية.

روى الشيعة والسنة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

وروي أيضاً عند كل طوائف المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية).

روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: اللهم بلي، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبياناته.

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (لا تخلو الأرض من قائم منا ظاهراً أو خافٍ، ولو خلت يوماً بغير حجة لماجت بأهلها كما يوج البحر بأهله).

وروي عن أهل البيت عليهم السلام (ولا الحجة لساخت الأرض بأهلها).

ولو أضفنا إلى ما ذكرنا من الروايات، الروايات التي تتعلق بالإمام المهدي المنتظر عند كل طوائف المسلمين لوجدنا أن

كل ما ذكرنا يتطابق ويتآزر مع حديث الثقلين من حيث ضرورة وجود إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام في كل

عصر وزمان.

ولأهمية وضرورة هذا الاعتقاد، وضرورة معرفة إمام وصاحب العصر والزمان، وضرورة بيعة الإمام قبل أن يطرق

الموت أو ابنا، فإن الواجب عليك أخي المؤمن أن تسارع في الإعتقاد بأن الكتاب وأهل البيت لن يتفوقا، وأن

الصفحة 84

تراجع ما كتبه علمائنا ومراجعنا الأجلاء فيما يتعلق بصاحب العصر والزمان الإمام المهدي المنتظر قبل فوات الأوان وقبل أن يضيق الوقت عليك حتى تصحح مسلكك، ولا تندم ساعة لا ينفذ الندم.

قال تعالى في سورة الأنعام الآية 158 **{أهل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون}**.

لن يفترقا:

وأما الإفتراق في بعض متون حديث الثقلين من خلال عبارة لن يفترقا، فهو كما قلنا معناه الانفصال والتفوق بين شيئين ولكن بفعل فاعل خرج عن الشيين المتصلين والمقترنين معا. وهذا يعني أن الإرادة التكوينية التي قررها الله سبحانه وتعالى في أن الكتاب والعبوة الطاهرة، كما أنهما شيء واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر من ذات نفسه، ولا وجود لأحدهما من دون الآخر، ولا يمكن أن يتحقق لهما ذلك الانفصال والانفصام.

فكذلك أيضا بالنسبة للإرادة التكوينية للكتاب والعبوة أنهما لا يفترقان عن بعضهما بعامل خرج عنهما، إي أنه لو حاول كل الناس أن يفسلوا الكتاب عن أهل البيت أو أهل البيت عن الكتاب، لما تحقق لهم ذلك مهما حاولوا وبذلوا الجهد الكبير في ذلك، لأن الإرادة التكوينية في منع التفوق والإفتراق تشمل العوامل الخرجية أيضا. ولذلك فإن البحث في هذه النقطة يشمل عدة محاور، نطرحها على شكل أسئلة ثم من خلال النظر إلى حديث الثقلين وتاريخ المسلمين والنصوص الشوعية فإننا نتوصل إلى جميع مطالب هذه النقطة.

الصفحة 85

فهل حاول أحد من المسلمين القيام بعملية فصم العبوة الوثقى التي لا انفصام لها؟. وهل بقي من المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من يأخذ بوصيته في التمسك بالكتاب والعبوة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام؟.

ماذا فعل بقية المسلمين من غير المتمسكين بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟. وبماذا يتمسكون؟.

هل ستتجلى تلك الإرادة الإلهية في ظهورها يوما على مساحة الكرة الأرضية؟.

فمن خلال ما مر معنا في البحث، تبين لنا بشكل قطعي لا يقبل الشك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى ولاية أهل البيت عليهم السلام ومتابعتهم والإقتداء بهديهم، وتبين لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يدعو لذلك منذ بداية دعوته وحتى آخر يوم في حياته، كان دائما يأمر بالتمسك بالعبوة الوثقى والصراط المستقيم وركوب سفينة الناجين.

حتى أن الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه في البحث أكثر من مرة، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي

مع القآن، والقآن مع علي، لا يفتقران حتى يردا علي الحوض)، يتطابق مع حديث الثقلين تطابقا تاما في توضيح الإرادة الإلهية بأن أهل البيت مع القآن والقآن معهم وأنهما لن يفتقرا أبدا.

ولم تكن تلك الدعوات من رسول الله صلى الله عليه وآله ولإيادى أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام تلقى القبول عند طائفة كبيرة ممن لبسوا عباءة الإسلام في الظاهر وتجربوا عن الإيمان في باطنهم. وكان من نتائج ذلك أن ائتمنت تلك الطائفة، وتحالفت أثناء حياة رسول الله صلى الله عليه وآله على رفض التمسك بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذت على عاتقها محلبتها بكل الوسائل المتاحة، وأهمها التخطيط المركز والمدروس بدقة متناهية لمرحلة وجود رسول الله في المدينة، والتخطيط لما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

الصفحة 86

محولات التمهد لفصل الكتاب عن العوة:

ولقد ظهرت بعض المحولات من خلال معارضة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم طاعته، والتقصير من علمه ومعرفته بشؤون الدنيا أثناء حياته وإياداه ورفع الأصوات بين يديه والتنوع والإختلاف في حضوته وإيجاد رأي عام ضده، من أجل أن تسقط هيئته حتى تكون مخالفة رسول الله أمرا عاديا يتقبله المسلمون بشكل طبيعي.

وكذلك من خلال بث الشائعات ضده وضد أهل بيته وأزواجه وملاحقتهم وغير ذلك من أنواع الأذى الذي يحقق أهداف المخططين من قريش وأعرابهم، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت). مما يدل على حقيقة ما ذهبنا إليه.

ولقد روت كتب الحديث والسير عند أهل السنة عتوات الروايات التي تصف ذلك أذكر بعضها منها على سبيل المثال وليس الحصر.

منها هروبهم من المعرك حيث كانوا يتوكلون رسول الله ومعه ثلثة من المؤمنين، ثم يولون مدبرين كما حصل في أحد وحنين. أو يكون خروجهم معه من أجل الدنيا وليس للدفاع عن رسول الله ودينه العظيم.

فقد عصوا أمر رسول الله عندما أمرهم في البقاء على الجبل، وكذلك هروبهم ورسول الله صلى الله عليه وآله جريحا مكشوبا للمشركين، ولولا دفاع أمير المؤمنين عنه لتمكنوا من قتله. وكذلك هروبهم من حنين وكان من بين الهاربين كبار الصحابة، ولولا نفر من بني هاشم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لتمكن المشركون من قتل رسول الله. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي في المسلمين أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، ولكنهم وبالرغم من نداء الرسول لهم ولوا مدبرين.

قال تعالى في سورة التوبة الآية 25 **{لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا**

وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين}.

الصفحة 87

ومنها اعتراضهم على رسول الله في صلح الحديبية، حيث اعترض عمر بن الخطاب على ذلك اعتراضاً شديداً أدى به إلى الشك في نبوة محمد وقام بدعوة المسلمين للتمرد على رسول الله صلى الله عليه وآله، ويصف ذلك عمر بن الخطاب كما يروي السيوطي وغيره.

فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال عن صلح الحديبية (والله ما شككت منذ أسلمت إلا يوماً، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ألسنت نبي الله؟ قال: بلى. فقلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرت أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به.

فأتيت أبا بكر، فقلت يا أبا بكر: أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصوه فاستمسك بغرزه نفر حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق. قلت: أوليس كان يحدثنا إنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

وروى في فتح البلي شرح صحيح البخاري قال أخرج الزوار من حديث عمر نفسه مختصوا ولفظه " فقال عمر: اتهموا لأبي على الدين، فلقد رأيتني رُد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي، وما ألوم عن الحق، وفيه: قال فوضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيت، حتى قال لي: يا عمر، تاني رضيت وتأبى.

ومنها معصيتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أمرهم بعد الحديبية أن يحلقوا رؤوسهم ويذبحوا هديهم، فلم يفعلوا، وكان ذلك التمرد إمتداداً لتمرد عمر بن الخطاب على أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بصلح الحديبية، فتعرد المسلمون ورفضوا طاعة رسول الله وعصوا

أمره تأثراً بكلام عمر، وكان الطاعة واجبة على المسلمين لعمر وليست واجبة على المسلمين في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!.

فقد ذكر الصابوني في مختصر تفسير بن كثير بعض تفاصيل ذلك التمرد، وبره بأن المسلمين عصوا أمر رسول الله انتظروا منهم أن ينسخ الله حكم النبي، لكنه وللأسف الشديد لم يتدبر في خطورة الأمر على أنه معصية واضحة وتمرد علني على رسول الله من قبل بعض المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب.

روى في مختصر ابن كثير في تفسير الآية **{فإن أحصرتهم فما استيسر من الهدى}** ذكروا أن هذه الآية تولت في سنة ست أي عام الحديبية حين حال المشركون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الوصول إلى البيت، وأقول الله في ذلك سورة الفتح بكاملها، وأقول لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدى وكان سبعين بدنة، وأن يحلقوا رؤوسهم وأن يتحلوا من

إحرامهم، فعند ذلك أمرهم عليه السلام بأن يحلقوا رؤوسهم وأن يتحللوا فلم يفعلوا انتظراً للنسخ حتى خرج فحلق رأسه ففعل الناس وكان منهم من قصر رأسه ولم يحلقه فلذلك قال صلى الله عليه وسلم: "رحم الله المحلقين"، قالوا: والمقصودين يا رسول الله، فقال في الثالثة: "والمقصودين".

ومنها جذبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وشده من ثوبه بطريقة همجية أمام جوع المسلمين من أجل إسقاط هيئته صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أجل التقليل من شأنه وشأن طاعته، وذلك عندما قام للصلاة على عبد الله بن أبي. روى الترمذي وغوه عن ابن عمر قال: جاء عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال: أعطني قميصك أكفنه وصل عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال: إذا فغتم فأذنوني، فلما أراد أن يصلي جذبته عمر وقال: أليس قد نهى الله أن تصلي على المنافقين، فقال: أنا بين الخويتين: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، فصلى عليه.

الصفحة 89

وروى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب قال بعد تلك الحادثة (فعببت بعد من جأتي على رسول الله). وروى البخاري في صحيحه وفي رواية أخرى عن ابن عمر قال: فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله تصلي عليه، وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟

ومنها تركهم لرسول الله يخطب على المنبر يوم الجمعة، وخروجهم لاستقبال التجارة القادمة من الشام وإلى اللعب واللهو، حيث خرج المسلمون كلهم من المسجد يوم الجمعة وتركوا الصلاة وسماع خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يبق مع رسول الله سوى نفر قليل من المؤمنين منهم أمير المؤمنين علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى في سورة الجمعة الآية 11 **﴿وإذ أروا تجرة أو لها انفضوا إليها وتركوا قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الراغبين﴾**.

ومنها تشاتم الصحابة بين يديه وتضربهم بالنعال بحضوته. كما روت ذلك كتب الصحاح عند أهل السنة وغوهم. فقد روى السيوطي في الدر المنثور حادثة بين رجل من الأوس ورجل من الخزرج فقال هذا يا لأوس وقال هذا: يا للخزرج. فاضطربوا بالنعال والحجارة فتلاطموا. ومنها رفع أصواتهم فوق صوت النبي، حيث كان الصياح ورفع الصوت من أبي بكر وعمر بين يدي رسول الله فأقول الله تعالى في تلك الحادثة وأنا يتلى.

قال تعالى في سورة الحوات. الآية: 2 **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾**.

ومنها صواخهم وصياحهم وكثرة لغطهم أمام رسول الله حتى يسقطوا هيئته ويضيعوا قيمة كلامه الشريف، كما ذكر في حادثة رزية الخميس.

وأيضاً عندما عين رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر إماماً وخليفة من بعده بأمر من ربه، فضجوا وكثر صياحهم

رسوله، وغطوا بصياحهم ولغظهم على كلام رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لا يعرف أحد ماذا قال، وحتى يستطيعوا أن يضعوا ما يوافق أهواءهم إذا سنلوا عن ذلك كما في الحادثة التالية، التي وضعوا فيها بدلا من قول رسول الله (كلهم من بني هاشم)، استبدلوا ب (كلهم من قريش)، وغطوا على كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله بالصياح والصواخ واللغظ.

روى أبو دلوود في سننه عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا زال هذا الدين عزواً إلى اثني عشر خليفة)، قال: فكبر الناس وضجوا، ثم قال كلمة خفيفة. قلت لأبي: يا أبت ما قال. قال: كلهم من قريش.

ومنها عدم طاعتهم له في ما يتعلق بجيش أسامة، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله مصوا على لرسال الجيش بقيادة أسامة بن زيد وتحت قيادته كبار الصحابة منهم أبو بكر وعمر، لكن المسلمين لم يلتزموا بأمر رسول الله وأصوله، حتى أنه قال لهم بشكل صريح أكثر من مرة (أنفوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عن بعث أسامة).

ومنها اتهامه بالباطل وإيدائه في العديد من المناسبات، ودونك سورة التحريم، وحادثة الإفواء على أم المؤمنين السيدة أم إواهيم مارية القبطية رضي الله تعالى عنها.

وكذلك ورد في القرآن الكريم الآيات القوانية التي تحذر من أذى رسول الله أو الإستهزاء به أو التعمد عليه والتحذير من مخالفته ومعصية أمره، ولولا وجود ذلك الأذى لما تولت تلك الآيات تحذر من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأيضاً ورد في الحديث العشرات بل المئات من الروايات التي تظهر مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله ومعصيته أو الإستهزاء به والتي أظهر فيها أصحابها عدم احترامهم لشخصه الكريم ولمتولة النبوة ومقام الرسالة، ذكرت قسماً منها ويقتضي المقام ذكر بعضها آخر منها:

روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس

مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناساً من أشرف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة. فقال رجل: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله). فقلت: والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! فأنتيته فأخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصوف ثم قال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! ثم قال: رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر.

وروى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم أنه قال: بينما هو يسير مع النبي صلى الله عليه وسلم مقفلاً من حنين، فعلقه الأبواب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً.

روى السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: **{إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد**

لهم عذابا مهينا}.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله **{إن الذين يؤذون الله ورسوله}** الآية. قال: قلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين أخذ صفة بنت حي رضي الله عنها.

وهناك المئات من قضايا الإيذاء لرسول الله والاستهزاء بشخصه الكريم مذكورة في القرآن الكريم وفي كتب الأحاديث لا يتسع المجال لذكرها، ذكرت العديد منها في كتابنا سبيل المستبصرين.

ثم قضية بناء مسجد الضوار، حيث قام المسلمون ببناء مسجد خلج المدينة من أجل سلب مركز قيادة رسول الله للمسلمين، وتحويل الأنظار عنه والتنقيص من قيمة مركز القيادة، ولقد ذُكرت قصة مسجد الضوار بتفاصيلها في كتابنا سبيل المستبصرين تحت عنوان إغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجعبها في محلها تجد تفاصيل دقيقة من الضروري لكل مسلم منصف أن يتعرف عليها.

الصفحة 92

ثم هناك محولات قاعة التوراة بين يدي رسول الله ومحولات فرض تعاليم اليهود وتدوينها للمسلمين حتى يتعاملوا بها، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغضب لذلك غضبا شديدا، لأن في ذلك الأمر استخفافاً برسول الله وحقاً من شأن دين الإسلام. وكان الذين طلبوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله يتهمون دين الإسلام بالنقصان، ويريدون أن يكملوا ما نقص منه من كتب اليهود وتعاليمهم، أو أن هناك مؤامرة من بعض المسلمين بالتنسيق مع اليهود، على إدخال فكر وثقافة يهود في أهم مصادر المسلمين، حتى يسهل التعامل مع محافلهم وأحبلهم في الفوصة المناسبة.

وكان باستطاعة أولئك أن يدخلوا الإسرائيليات في حياة المسلمين من دون أن يُطلعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، ولكنهم رأوا من ذكر الأمر وتكوره أمام رسول الله، أن يأخذوا توخيصة وإقرا شوعيا منه صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بنشر ثقافة يهود بين المسلمين، وعندما فشلوا في ذلك، كذبوا على رسول الله فيما بعد وادعوا على لسانه أنه قال (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، وبذلك أعطوا شوعية لمارأوا وغطوا بهذا التوخيص على فعلهم المشين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

والذي يؤكد افتراءهم على رسول الله هو ما سأقدمه من روايات تبين بعضا من الحقيقة.

روى أحمد والزار وفي فتح البلي عن جابر قال: نسخ عمر كتابا من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتغير.

فقال له رجل من الأنصار: ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني وروى في مجمع الزوائد والطواني عن أبي الرداء قال: جاء عمر

التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق، فتغير وجه رسول الله، فقال عبد الله بن زيد الذي رُي الأذان: أمسخ الله عقلك، ألا ترى الذي بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟. فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، فسوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالاً بعيداً، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج أحمد عن عبد الله بن ثابت قال: "جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني مرت بأخ لي من قريظة، فكتب لي جامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى السيوطي في الدر المنثور عن عمر بن الخطاب قال (انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما هذا في يدك يا عمر؟ فقلت يا رسول الله، كتاب نسخته لقراداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة. فقالت الأنصار: أغضب نبيكم السلاح. فجأؤوا حتى أهدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا أيها الناس، إني قد أوتيت جامع الكلم وخواتيمه، واختصر لي اختصراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تتهوكوا ولا يغونكم المتهوكون. وفي رواية أخرى (فلا يهلككم المتهوكون). وهنا لا بد من التدقيق في عبارة رسول الله (لا يغونكم أو فلا يهلككم المتهوكون). من ناحية ربط معنى الهلاك الذي في العبارة، مع عبارات حديث الثقلين وحديث السفينة، من أجل فهم معنى الهلاك وهو ترك اتباع أهل البيت عليهم السلام وترك ركوب سفينتهم ومخالفة رادة الله تعالى ووصية رسول الله فيهم. وأمر آخر يجب الالتفات إليه في عبارة فلا يهلككم المتهوكون، من ناحية معنى الكلمة.

قال في النهاية: (المتهوكون: التهوك كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير روية. والمتهوك: الذي يقع في كل أمر). وقال الجوهري: والتهوك أيضاً مثل التهور وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة. وقال الحسن المتهوكون المتحيرون. فالمتهوكون هم الذين يقعون في الأمور بغير روية، ويتهورون في أخذها والتعامل معها، ولا يضوهم ذلك ويتهورون في أخذها والتعامل معها، ولا يضوهم إن كانت ترضي الله تعالى ورسوله أو تغضبهما، وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن الضريس عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها فقال يا ابن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصرى؟! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولكني أعطيت جامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصراً.

ثم انتشر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وبعد وفاته، حتى أنه اضطر لأن يخطب في المسلمين مرراً

محزراً لهم من خطر أولئك الكذابة عليه، ولولا وجود أولئك الكذابين بين المسلمين لما حذر رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم منهم.

فقد روى في كنز العمال وكل صحاح ومسانيد المسلمين عن عدد كبير من الصحابة، والحديث متواتر عند كل طوائف

المسلمين، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من علم شيئاً فلا يكتمه، ومن كذب علي عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من

النار).

ثم كثرت محاولات الإستهواء والسخرية والحسد والضغائن ضد أمير المؤمنين علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء

عليها السلام والحسن والحسين عليهم السلام وضد بني هاشم بشكل عام، حتى يسقط احترامهم بين الناس. وبالتالي تسهل عملية

انتهاك حرمتهم وسلب حقوقهم وأحقيتهم، وتمر على أغلب المسلمين بشكل طبيعي واعتيادي.



روى في مجمع الزوائد وفي كنز العمال والطواني عن عبد الرحمن بن أبي رافع أن أم هانئ بنت أبي طالب خرجت متوجهة قد بدا قوطاها، فقال لها عمر بن الخطاب: إعلمي فإن محمداً لا يغني عنك شيئاً، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما بال أقوام زعمون أن شفاعتي لا تتال أهل بيتي؟! وإن شفاعتي تتال حا وحكم!! وحا وحكم قبيلتان.

روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار أن عمر قال لها: غطي قوطك فإن قوابتك من رسول الله لا تنفعك شيئاً! فقالت له: هل رأيت لي قوطاً يا ابن اللخاء؟! ثم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: ما بال أقوام زعمون أن قوابتي لا تنفع! لو قمت المقام المحمود لشفعت في حاء وحكم! لايسألني اليوم أحد من أهواه إلا أخبرته! فقام إليه رجل فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الذي تدعى له، أبوك فلان بن فلان! فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: أبوك الذي تدعى له! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بال الذي زعم أن قوابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه؟ فقام إليه عمر فقال: أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عني عفا الله عنك ...

روى البخاري في صحيحه وأحمد في المسند وغيرهما كثير نفس الروايات السابقة لكن محاولة التغطية على القصة الحقيقية واضحة عند المقارنة بين المتن، ويستطيع المسلم المنصف أن يميز الحق ويعرفه وإليك الرواية.

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أمورا عظاما، ثم قال من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا. قال أنس فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأكثر رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول سلوني، قال أنس: فقام رجل فقال أين مدخلي يا رسول الله؟. فقال النار. قال: فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله. قال أبوك حذافة. قال ثم أكثر أن يقول سلوني، قال فبك عمر على ركبتيه فقال رضيينا بالله ربنا، وبالإسلام ديننا، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولا، قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روى أحمد والترمذي وصححه والنسائي والحاكم، عن المطلب بن ربيعة قال: دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إنا لنخرج فؤى قريشا تحدث، فإذا رونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودر عرق بين عينيه، ثم قال: (والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان، حتى يحبكم الله ولقوابتي).

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد والطواني في الأوسط والصغير عن عبد الله بن جعفر قال: أتى العباس بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني أتيت قوماً يتحدثون فلما رآوني سكتوا، وما ذاك إلا أنهم

استتقلوني! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أقد فعلوها؟)، والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لحبي، أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتي ولا بوجوها بنو عبد المطلب؟).

وروى الحاكم في المستدرک فيما يتعلق بإيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته. عن عبد الله بن بريدة الأسلمي قال: إني لأمشي مع أبي، إذ مر بقوم ينقصون علياً رضي الله تعالى عنه، يقولون فيه. فقام، فقال: إني كنت أنال من علي، وفي نفسي عليه شيء. وكنت مع خالد بن الوليد في جيش، فأصابوا غنائم. فعمد علي إلى جارية من الخمس، فأخذها لنفسه. وكان بين علي وبين خالد شيء. فقال خالد: هذه فرصتك، وقد عرف خالد الذي في نفسي على علي.

قال: فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاذا ذكر ذلك له.

الصفحة 97

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، وكنت رجلاً مكاباً، وكنت إذا حدثت الحديث أكببت. ثم رفعت رأسي، فذكرت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الجيش، ثم ذكرت له أمر علي. فوفعت رأسي، وأوداج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد احمرت. قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كنت وليه، فإن علياً وليه). وبسب كل تلك المحاولات للنيل من أهل البيت عليهم السلام والحط من شأنهم، وبسب الحقد والبغض الذي انتشر عند الفئات الحاسدة لرسول الله وأهل بيته الأطهار، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرد على مسامح كل المسلمين، تلك الأحاديث التي فيها تحذير من بغض علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأهل البيت عموماً، وكان يحذر أشد التحذير من أديتهم، لأنه كان على علم بما يخططه لهم أعداءهم.

ولولا كثرة الحاقدين والمبغضين والحاسدين لرسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، لما كان هذا الكم الهائل من الأحاديث التي تحذر المسلمين من أذاهم وبغضهم، بل كانت بالإضافة إلى التحذير من ذلك تأمر بحبهم وموالاتهم واتباعهم والإقتداء بهديهم، وإليك بعض النماذج من الأحاديث التي تحذر المنافقين وتوعدهم. فقد روى مسلم وغيره كثير عن علي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال له (لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق).

وروى الحاكم والسيوطي عن سلمان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (عنوان صحيفة المؤمن حب علي).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: (من فرق علياً فقد فرقني، ومن فرقني فقد فرق الله).

وروى الحاكم في المستدرک عن حيان الأسدي سمعت علياً يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الأمة

ملتي، وتُقتلُ على سنتي، من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا).

وروى أحمد والحاكم وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني).

وروى القوطي في الجامع لأحكام القرآن عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وأذاني في عتوتي).

وروى السيوطي في الدر المنثور أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أن الله اشتد غضبه على من راق دمي، وأذاني في عتوتي).

وروى في كنز العمال وغوه كثير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله).

وروى السيوطي في الجامع الصغير عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله).

وروى السيوطي والحاكم والترمذي والمنوي وفي كنز العمال ومجمع الزوائد والطواني وغوهم كثير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (سنة لعنتهم وكل نبي مجاب، وذكر منهم ... المستحل من عتوتي ما حرم الله).

ثم كانت محاولات ثني المسلمين عن كتابة كلامه الشريف وتوينه، مبررين ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يتحدث في الرضا والغضب.

تلك المحاولات التي كانت نتيجتها ضياع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفتح المجال لدخول ما ليس من السنة فيها، وكذلك تسهيل الأمر على السلطة الحاكمة أن تضع في السنة كل ما يفيد مصالحها وتحذف كل ما فيه تهديد لسلطتها، وفتح المجال للوأي والهوى في الأحكام الشرعية وغير ذلك من الأسباب التي كان سببها التخطيط لمؤامرة اغتيال السنة النبوية الشريفة في مهدها.

روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش، فقالوا: إنك

تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يتكلم في الغضب، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أكتب فالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق) ورواه أبو داود وغوه كثير، وفي بعض الروايات: (بشّر يتكلم في الرضى والغضب).

أول عملية تفريق بين الكتاب والعتوة الطاهرة:

وهكذا استمرت تلك المخططات المدروسة بدقة متناهية ضد رسول الله ووصيه أمير المؤمنين وضد أهل البيت وبني هاشم، والتي مهدت الطريق لعملية ضرب الصلة الوثيقة بين كتاب الله وعتوة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إلى أن جاء اليوم الذي تم فيه الإعلان الرسمي لأول عملية تفريق وفصل بين الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، حيث رفع أصحاب دعوات رفض الأمر الإلهي، الذين رفضوا أن يكون لأهل البيت عليهم السلام النور الأساسي في الحياة والمجتمع، فقد رفع أولئك شعرا معلضا لوصية رسول الله مباشرة، وكان ذلك الشعار هو حسبنا كتاب الله، وانتدوها لذلك عمر بن الخطاب ليكون أول من يعلن بدء عملية إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن الحياة التشيعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولولا كل محاولات التعويض برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والطعن في عصمته، والإستغواء به وأهل بيته، والكذب عليه ومعصيته ورفع الصوت عليه والتفقيص من مقام النبوة والرسالة، لولا كل ذلك لما تمكن عمر بن الخطاب ومن معه من الصحابة أن يعلنوا رفضهم لأمر الله تعالى ووصية رسوله، ولما تمكنوا من محاولة تدمير تلك الإادة الإلهية التكوينية، ولولا كل ذلك لما استطاعوا أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله بالهذيان والهجر والخوف.

الصفحة 100

ومن العجيب أن تجد علماء المسلمين يبررون أفعال رزية الخميس ويتعرضون لشخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من أجل أن يدافعوا عن شخصية لطالما علضت ورفضت وتعدت على مقام النبوة ومثولة الرسالة، وإليك أخي المؤمن بعض الروايات من كتب وصحاح أهل السنة والجماعة بل ومن أصح الكتب عندهم، تبين بعض التفاصيل لعملية ضرب أول معول لرفض أمر الله تعالى ورفض أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإعلان العصيان العلني لمقام النبوة ومثولة الرسالة، ورفع شعار حسبنا كتاب الله.

فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعه قال: (انثوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده). قال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلوا وكثر اللغط، قال: (قوموا عني، ولا ينبغي عندي التلزع).

لاحظوا كيف أن رسول الله يدعوهم ليكتب كتاب الوصية التي طالما أعلنها على الملأ وهي الوصية بالكتاب وولاية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، وقدروا عليه بقولهم لا نريد الكتاب والعتوة معا وإنما عندنا كتاب الله حسبنا.

وهذا الحديث ومن خلال ردهم الذي روه على رسول الله، يدل دلالة قاطعة على أن الذي سيكتبه لهم رسول الله هو مضمون حديث الثقلين، حيث بينت في بحث سابق كيفية تطابق حديث الثقلين وحادثة رزية الخميس في كثير من المواقف والكلمات.

وروى البخاري وغوه قال حدثنا قبيصة: حدثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي

الله عنهما: أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: (انتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا). فنتلوا، ولا ينبغي عند نبي تتلوا، فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (دعوني، فالذي أنا فيه خير

الصفحة 101

مما تدعوني إليه). وأوصى عند موته بثلاث: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجزمهم). ونسيت الثالثة.

وفي رواية أحمد في المسند قال (وسكت سعيد عن الثالثة فلا أوري أسكت عنها عمدا وقال مرة أو نسيها وقال سفيان مرة: وإما أن يكون تركها أو نسيها).

وأما في هذه الرواية فبالإضافة إلى رفع شعرهم الذي أعلنه نيابة عنهم عمر ابن الخطاب، فإنهم تتلوا وتتصايحوا بين يدي رسول الله واختلفوا ولا ينبغي عند نبي تتلوا، ولكنهم بما قدموا من محولات ذكرنا بعضها، جاء الوقت المناسب لهم حتى يكون بعد كل ما صنعوا أن يتلوا ويتصايحوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويمر الأمر بشكل طبيعي، بل وحتى تكون الطاعة في مجلس رسول الله التي أمر الله تعالى بها مرفوضة من قبل المسلمين، وتكون الطاعة لعمر بن الخطاب هي المسلم بها عند المسلمين.

بل وأكثر من ذلك وهو تجرؤهم على شخص رسول الله أمام كل المسلمين واتهام عمر بن الخطاب له بالهجر والهديان والخوف، حتى لا يسمع المسلمون كلامه الشريف. بل ويكون كلام غوه مسوعا ومطاعا أكثر منه، وهذا هو الذي حصل وهو الذي مر ويمر عليه المسلمون من دون أن يهز شعوة واحدة في أبدانهم التي فقدت الشعور والإحساس برسول الله وطاعته وحبته ومودته، واستبدلته بطاعة وحب أعدائه المتربصين له ولوصيته.

روى في مجمع الزوائد عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم قال: ادعوا لي بصحيفة وروا أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً. فكوننا ذلك أشد الكراهة ثم قال: ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً. فقال النسوة من وراء الستر: ألا يسمعون ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: إنكن صواحبات يوسف، إذا مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عصوتن أعينكن، وإذا صحركبتن رقبته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهن فإنهن خير منكم.

الصفحة 102

لاحظوا في هذه الرواية بالإضافة إلى كل ما ذكرنا، قول عمر بن الخطاب الذي أكده الحديث المذكور. (فكوننا ذلك أشد الكراهة)، فما الذي كرهه عمر بن الخطاب من رسول الله؟....

وهل يجوز لأحد من المسلمين أن يكوه من رسول الله شيئا؟...، لأنه من المقطوع به عند كل المسلمين أن ذلك لا يجوز، بل إنه ينفي الإيمان عن كل من يكوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا، والوأن الكريم شاهد على ذلك.

قال تعالى في سورة النساء الآية 65 {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجنوا في أنفسهم حرجا

مما قضيت ويسلموا تسليماً}.

فالتسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المطلوب الشوعي من قبل كل المسلمين، وليس كراهية حكمه وأمره، فإن ذلك ينفي الإيمان، ويحبط الأعمال، ويسخط الرب.

ثم نقول للذين يبررون فعل عمر بتبويبات باطلة، يرفضها كل عقل سوي سليم من الآفات النفسية والتعصب الأعمى، فإن الأمر يبيوا واضحا غاية الوضوح عندما استهجن النسوة رفض أمر رسول الله من قبل عمر ومن معه، فقام النسوة بدعوة المسلمين لطاعة رسول الله وأن يأثوا بالنوابة والكتف حتى يكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاب الوصية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن عمر صاح بالنسوة وذمهم واستهوا بهم، لأنهم أمروا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وشتهم في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكوه رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك منه أشد الكراهة وغضب غضبا شديدا، وقال لعمر لماذا تأمر النسوة أن يسكتن وتتهاهن عن الدعوة لطاعتي وطاعة أمر ربي، دعوا النساء فإنهن خير ممن يدعوا لمعصية الله ورسوله، وخير ممن يتهم رسول الله بالهجر، وخير ممن يتعود على رسول الله وعلى مقام النبوة ومثولة الرسالة، دعهن يا عمر فإنهن خير منك وخير ممن رأى رأيك، ثم كره رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبقى أولئك العصاة عنده، فقال لهم قوموا عني واخرجوا من عندي.

الصفحة 103

ثم أقول للذين يبررون فعل عمر ويعتبرون صياحه ولغظه واعتراضه على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنعه من أن يكتب كتابا لن تضل الأمة من بعده إن اتبعوا ذلك الكتاب، واتهام رسول الله بالهجر والهديان.

أقول لأولئك، لماذا كان الصحابة عندما يذكرون ما فعل عمر ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكون حتى تبل دموعهم الحصباء؟ ولماذا كانوا يطلقون على ذلك اليوم بيوم رزية الخميس؟ ولماذا أطلق على تلك الحادثة بأنها رزية؟.

مؤامرة السقيفة:

ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وانتقل إلى الرفيق الأعلى، فجاءت المحاولة العملية لفصل نور أهل البيت عليهم السلام عن الإسلام، ونبذ وصية الله ورسوله بشكل مباشر وعلمي، بعدما تهيأت كل الظروف المناسبة لذلك.

وكان أن اجتمع بعض المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، بينما كان أغلب الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله محتشدين، يبكون على رسول الله، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبنو هاشم منشغلين في تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي أثناء كل ذلك توك أولئك المجتمعون في السقيفة وصية رسول الله، وكل النصوص الشوعية التي تأمر بالولاية والوصية لأمير المؤمنين عليه السلام، ونسي أولئك عهودهم ومبايعتهم لأمير المؤمنين علي عليه السلام يوم أن أخذها عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم، وقال لهم يومها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من كنت مولاه فهذا

علي هولا، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصوه، واخذل من خذله).

لقد تناسى أولئك كل ذلك، واستغلوا انشغال المؤمنين وأمورهم علي بن أبي طالب علي السلام في تجهيز رسول الله، وفي هذه الأثناء كان عمر بن الخطاب رافعا سيفه معلنا للناس، وتحت قوة التهديد والتخويف، أن محمدا لم يمت، ومن قال بأن محمدا قد مات فإن مصوه الموت، وبقي على تلك الحال حتى حضر أبو

الصفحة 104

بكر من خرج المدينة المنورة، فقد كان يقضى فتوة زاع رسول الله وموضه خرج المدينة المنورة في السنج كما يروي البخاري وغيره. وما أن عاد إلى المدينة حتى أخذ عمر بيده وتوجهوا إلى السقيفة، وخطب أبو بكر في المجتمعين، وخطب عمر وقام بمبايعة أبي بكر.

وقد روى البخاري في باب فضائل الصحابة عن عائشة قالت (فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس، وإن فيهم لنفاقا، فودهم الله بذلك).

لاحظوا كيف أن عمر بن الخطاب استخدم كل وسائل التخويف والإرهاب، حتى لا يتذكر المسلمون بيعتهم لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وحتى يبايعوا من اختاره عمر تحت التهديد والإكراه. ولذلك كان عمر مستعدا لقتل أي إنسان يخالف أهدافه ومواميه، وعندما اعترض الصحابي سعد بن عباد بن عويم الأنصار ورفض مبايعة أبي بكر، أمر عمر بضربه وقتله.

روى البخاري في صحيحه (فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، وتزونا على سعد بن عباد، فقال قائل: قتلتم سعدا، فقال عمر: قتله الله).

ويروي البخاري أيضا قول عمر واعترافه بأن بيعة السقيفة كانت مغامرة خطوة من قبله، خالفوا فيها أمر الله تعالى ووصية نبيه، يقول عمر بن الخطاب (فلا يغترون امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شوها).

ويروي البخاري أيضا عن عمر بن الخطاب وهو يعترف بأن غالبية المسلمين لم يكونوا على علم بما يجري في السقيفة، ويعترف بأن عددا كبيرا من الصحابة لم يجمعوا على بيعة أبي بكر، قال (وإنه قد كان من خونا حين توفى الله نبيه إلا أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسوهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف منا علي والزبير ومن معهما).

لاحظوا في الآية التالية وهي تبين عملية الانقلاب على رادة الله تعالى ووصية رسوله الكريم في ولاية وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وأن الذين نقضوا عهودهم وتكروا بيعة أمير المؤمنين عليا عليه السلام لن يضروا الله شيئا، بل

الصفحة 105

إنهم في الحقيقة ضروا أنفسهم بمخالفتهم أمر الله ووصية رسول الله ونقضوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم في حادثة

وأما الذين صبروا على عهدهم وثبتوا على ولايتهم وتحملوا الأذى والظلم في سبيل وفائهم ومودتهم وحبهم لأمر المؤمنين والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فأولئك لهم حسن الخزاء والثواب، لأنهم من الشاكرين الثابتين الصابرين المحتسبين.

قال تعالى في سورة آل عمران الآية 144 **لوما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على**

أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين}.

ومما يدل على أن الانقلاب في الآية هو على إمامة أمير المؤمنين والأئمة من أهل البيت عليهم السلام هو تطابق لفظة

الشاكرين في الآية مع آية المودة في المعنى واللفظ، عند ورود اسم الله تعالى الشكور .

وأما بالنسبة لأبي بكر، فقد خطب خطبة بعد عودته من السنح من خراج المدينة خطب قائلاً (أما بعد من كان يعبد محمداً

فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت).

فهل كان يرى أن الناس يعبدون محمداً حتى يهدئ من روعهم؟. وهل خرج الناس عن إيمانهم وعقيدتهم؟ أم كانوا مثلاً

للصبر والتقوى؟ وهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف أن أصحابه يعبدونه وهو ساكت عنهم؟.

وعلى كل فإن حادثة السقيفة كانت التطبيق العملي في التفريق بين الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، وذلك واضح من

اعتصاب حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة، وبالتالي تم عزل أهل البيت عليهم السلام عن

موقعيتهم السياسية والقيادية.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته المسماة بالشقشقية كما يروونها في نهج البلاغة.

الصفحة 106

(أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الوحي، ينحدر عني السيل، ولا يوقى

إلي الطير، فسدلت نونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت رثتي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء،

يهرم فيها الكبير، ويصيب فيها الصغير، ويغدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، وأيت أن الصبر على هاتأ أحجى، قصوت و في

العين قذى، و في الحلق شجاً، رى رائي تها، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده.

ثم تمثل بقول الأعشى

(شتان ما يومى على كورها و يوم حيان أخي جابر) فيا عجباً بينما هو يستقيلاً في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد

ما تسطراً صوعيتها، فصوها في حوزة خشاء، يعظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها و الاعتذار منها، فصاحبها

كراكب الصعبة إن أشنق لها حرم، وإن أسلس لها تقحم، فمنى الناس لعممر الله بخرط و شماس، و ثلون و اعتراض، فصيرت

على طول المددة و شدة المحن).

مهاجمة بيت أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام:

تمت مؤامرة السقيفة كما خطط لها أشياخ قريش، ولم يبايع أمير المؤمنين علي والسيدة فاطمة والحسن والحسين عليهم

الصلاة والسلام وبقية بني هاشم وعدد كبير من الصحابة الذين كانوا من شيعة علي والموالين له، مما اضطر أبو بكر وعمر أن يقوموا بعملية ثانية لإبعاد أهل البيت عليهم السلام عن المجتمع، والخط من شأنهم واحترامهم بين المسلمين، ومن أجل انتزاع البيعة منهم لأبي بكر، فكانت حادثة الهجوم على بيت علي أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي رسول الله من الدنيا.

الصفحة 107

فقد قام المسلمون بأمر من أبي بكر وعمر بالهجوم على ذلك البيت الطاهر ومحاصره وحرقه على من فيه، وقاموا بالإعتداء على السيدة فاطمة الزهراء وكسروا ضلعها، وأسقطوا جنينها محسن، وتفاصيل تلك الحادثة تجدها في كتابنا سبيل المستبصرين في باب إغتيال فاطمة الزهراء عليها السلام فاجعه في محله، ولكن لا يقولن قائل أن هذا الأمر ليس صحيحا، فلقد اعترف أبو بكر نفسه بالحادث، ودونته صحاح ومسانيد أهل السنة فضلا عن الشيعة، وأيضا اعترف بالحادث شيخ النواصب بن تيمية في كتابه منهاج السنة وغره من علمائهم من اعترف بذلك الحادث المخوي وأقر به. روى في كنز العمال ومجمع الزوائد وغورهم عن أبي بكر أنه قال (أما إني لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فأما الثلاث التي وددت أني لم أفعلهن، فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق على الحرب).

وآت ذا القربى حقه:

وهكذا استمر أبو بكر وعمر ومن معهما في عمليات إبعاد أهل البيت عن الحياة والمجتمع، فبعد أن رآهم عن دورهم القيادي والسياسي، وفصلوهم عن الحياة التشريعية والاجتماعية، قام أبو بكر وبمملكة عمر بن الخطاب بمنع السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من رثتها، وحرمانها من حقوقها، وانتزع منها موارثها من رسول الله، وانتزع منها فدكا التي منحها إياها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من ربه، قال تعالى **وآت ذا القربى حقه**. روى في كنز العمال عن أبي سعيد قال: لما تولت **وآت ذا القربى حقه** قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة لك فدك.

وروى في مجمع الزوائد عن أبي سعيد قال: لما تولت: **وآت ذا القربى حقه**. دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة فأعطها فدك.

الصفحة 108

ونتيجة لذلك غضبت فاطمة الزهراء عليها السلام على أبي بكر وعمر، وتوفيت وهي غاضبة عليهما كما ورد في صحاح المسلمين.

روى البخاري عن عائشة) أن فاطمة عليها السلام، ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقسم لها موارثها، ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أفاء الله عليه، فقال

أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا نورث، ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر، فلم تول مهاجرته حتى توفيت).
روى البخاري في صحيحه عن المسور أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في حق السيدة فاطمة الزهراء سلام الله تعالى عليها (غضبها من غضب الله، ورضاها من رضى الله).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله، ومن رضاها فقد رضى الله، ومن رضى الله فقد رضى الله).

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله).

وروى في الإصابة ومجمع الزوائد والطواني في الكبير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عن ابنته فاطمة عليها السلام (إن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها).

قال تعالى في سورة الأحزاب الآية 57 **{إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا**

مهينا}.

واستمر أبو بكر في حصله الإقتصادي أثناء خلافته على أهل البيت عليهم السلام وقاية رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ما أكدته الروايات من مصادر أهل السنة والجماعة.



فقد روى أبو دلوود وغره عن سعيد بن المسيب، قال: أخونى جُبَيْر بن مطعم أنه جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما قسم من الخمس بين بني هاشم وبني المطلب، فقلت: يا رسول الله، قسمت لإخواننا بني المطلب، ولم تعطنا شيئاً، وقابنتا وقابنتهم منك واحدة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنمّا بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، قال جبير: ولم يقسم لبني عبد شمس، ولا لبني نوفل شيئاً من ذلك الخمس، كما قسم لبني هاشم وبني المطلب. قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، غير أنه لم يكن يعطي قوبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعطيهم. وهكذا اكتمل الحصار بجميع أشكاله على أهل البيت عليهم السلام طيلة فترة أبي بكر الذي أوصى بالخلافة لعمر من بعده، الذي قال في عدة مواقف أبت قريش أن تجتمع فيكم النوبة والخلافة، الذي اختّوع قضية الشورى استكمالاً لمخطط قريش في فصل الكتاب عن العزة الطاهرة.

قضية الشورى:

لقد كانت قضية الشورى التي صممها عمر بن الخطاب قبل وفاته، وتوشيح ستة أشخاص من بينهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، استكمالاً لمخطط إبعاد أهل البيت النووي عن كل شؤون الحياة، فأمر المؤمنين الذي جعله الله تعالى أفضل إنسان بعد رسول الله، والذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي خير البشر فمن أبى فقد كفر). رواه في كنز العمال عن جابر. ورواه السيوطي عن ابن مسعود. ورواه السيوطي عن حذيفة بن اليمان. ورواه بن كثير في البداية والنهاية عن علي عليه السلام. وأمير المؤمنين هو الذي شهد له كل الناس بالعلم والمعرفة والشجاعة والفضل والقضاء، وهو الذي كانت كل انتصارات المسلمين على يديه، وهو الذي قالوا

فيه أفضاكم علي، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يكن علي بن أبي طالب، لم يكن هناك أي شخص كفؤ لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام. فشخص بهذا المستوى الذي يسمو على مستوياتهم في كل المجالات، عندما يوشحه عمر مع أشخاص دونه بكثير في تلك المستويات، فإنه يقصد بذلك مساويته بهم، ورفع لشأنهم على حساب التقليل والخط من شأن أمير المؤمنين عليه السلام، وبذلك ينظر المسلمون على أن أمير المؤمنين إنسان عادي مثله مثل غره من المسلمين، وبناء على ذلك تطمس كل الحقائق والفضائل التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مئات المواقف في حق أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ثم يصبح حديث رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بأمر المؤمنين عليه السلام هباءً منثوراً لا قيمة له ولا وجود، وبالتالي تكون النظرة لأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطوّههم تطهراً، نظرة دون العادية، وهو ما حصل بالفعل من ذلك اليوم وحتى

ولذلك فإنني أعتقد أن عملية فصل الكتاب عن العترة الطاهرة أسس لها منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورايدت في عصر الخليفة الأول والثاني بشكل مطود، وأما ما حصل في العصور التي تلتها فهو نتيجة طبيعية لما أسسه الأوائل لعملية التفريق بين ما جمع الله تعالى وهما الكتاب والعترة الطاهرة.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية فيما يتعلق بقضية الشورى.

(حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ عَزَّ عَمَّ أَنِّي أَحَدِهِمْ، فَيَا لَلَّهِ وَ لِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ،

حَتَّى صَوْتُ أَوَّلِ نَبِيٍّ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفَأَ، وَ طُرْتُ إِذْ طَرَرُوا، فَصَغَارَ جُلُّ مِنْهُمْ لَصُغْنِهِ، وَ مَالِ الْأَخْرَجِ

لِصَوْرِهِ، مَعَ هُنَّ وَ هُنَّ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ، نَافِجًا حَضْنِيهِ، بَيْنَ نَنْبِيْلِهِ

الصفحة 111

وَ مُعْتَلَفَةً، وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ، يُخَضِّمُونَ مَالَ اللَّهِ خُضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الْوَبَيْعِ، إِلَى أَنْ انْتَكَبَتْ عَلَيْهِ فِتْلَهُ، وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، وَ كَبَّتْ بِهِ بِطْنَتِهِ).

إذن في هذه المرحلة وُضع أمير المؤمنين عليه السلام مرشحا مع عدة أشخاص، ليس لهم سابقة في الإسلام كسابقة أمير المؤمنين عليه السلام، وبالرغم من أن عملية الشورى بحد ذاتها هي معول من معاول فصل الكتاب عن أهل البيت عليهم السلام، وإبعادهم عن دورهم الأساسي في الحياة، إلا أنه قد فوضت شروط تعجيزية لا يمكن لأمر المؤمنين علي عليه السلام أن يقبل بها.

ولقد وضع أشياخ قريش ذلك الشرط، حتى يكون عقبه أمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في حال بقي أمير المؤمنين هو الموشح الأخرى للوصول إلى سدة الخلافة.

لقد اشترطوا على أمير المؤمنين أن يبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله وسوة الشيخين من بعده، لقد رأوا بذلك الشرط أن يضيعوا دور أهل البيت عليهم السلام في الإيمان والولاية، ورأوا أن يجعلوا بين الكتاب والعترة الطاهرة ما يحول بين التقائهما ببعضهما.

وأبضا وجود ذلك الشرط والقبول به، هو اعتراف صريح بأفضلية الشيخين على علي عليه السلام، وهو ما لا يرضاه الله ورسوله، وهو ما يخالف الواقع والحقائق، وهو ما يخالف أيضا اعترافات أبي بكر وعمر بأفضلية علي عليه السلام عليهما. ولذلك رفض أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الشرط طاعة لله ولرسوله، وحتى لا يفوق تلك الإداة التكوينية بأن الكتاب والعترة الطاهرة شيء واحد لا يجوز افتراقهما ولا تفويجهما.

روى البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة قال (طوقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى

استيقظت، فقال رأك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكبير نوم، انطلق فادعوا الزبير وسعداً، فدعوتهما له فشاورهما، ثم

دعاني فقال: ادع لي علياً، فدعوته فناجاه حتى ابهار الليل، ثم

قام عليّ من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من عليّ شيئاً، ثم قال: ادع لي عثمان، فدعته، فناجاه حتى فوّق بينهما المؤذّن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الوهط عند المنبر، فرُسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، ورُسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أمّا بعد يا عليّ، إنّي قد نظرت في أمر الناس، فلم أراهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنّ عليّ نفسك سبيلاً. فقال عثمان لعبد الرحمن: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفين من بعده، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس).

وهنا سؤال مهم جداً يطرح نفسه، لماذا قال عمر في حادثة رزية الخميس حسبنا كتاب الله واكتفى بالكتاب، بينما في قضية الشورى لم يكتف بالكتاب وإنما بسنة رسول الله وسنة أبي بكر وعمر؟.

وروى أحمد في مسنده قال (سئل عبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً؟ قال: وما ذنبي. قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسوة أبي بكر وعمر فقال: فيما استطعت ثم عرضتها على عثمان فقبلها).

وهكذا غُيب الإمام عن دوره، وعزل أهل البيت عليهم السلام عن موقعيتهم التي اختلها الله لهم، وضاع حقهم وتاهت الأمة عن أحقيتهم، وتم لأشياخ قريش ما رأوه من فصل الكتاب عن العزة الطاهرة، وبقي الأمر على تلك الحال في فترة عثمان بن عفان الخليفة الثالث.

وخلال تلك الفترة من العزلة بكل أشكالها على أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، ظل أمير المؤمنين يجمع القرآن كما جمعه رسول الله صلى الله عليه وآله وينقل السنة الصحيحة للحسن والحسين عليهما السلام ولشيعته المنتجبين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين بقوا على عهدهم، ولم يمنعهم كل ذلك العنف والتعنيف من الخلفاء الثلاثة، أن يفوا بعهدهم ووعدهم وبقي الكتاب والعزة الطاهرة مقترنين على هذا المستوى كما أمر الله تعالى ورسوله.

بينما عند بقية المسلمين من غير شيعة وأنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كان الفصل واضحاً بين الكتاب والعزة، بل لم يكن هناك أي دور لأهل البيت عليهم السلام، وكما ذكرت في بداية البحث أنه لا وجود للقرآن الكريم من غير أهل البيت، فإن المفاهيم القرآنية أيضاً بدأت تتطمس مثلها مثل أهل البيت عليهم السلام، وبدأ القرآن كما أهل البيت عليهم السلام، يفقدون وجودهم عند هؤلاء، فتغير الحكم وتغيرت العشوات من الأحكام بما يخالف القرآن وسنة رسول الله وأهل البيت، وتغير الوضوء بما يخالف أحكام القرآن، وكذلك الصلاة والحج والخمس وعشوات الأحكام، ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك، ونبه كثراً على أن يحذر المسلمون من ذلك التغيير الذي ستقوم به الأمة من بعده، وبين معالم الخطر بشكل صريح في أكثر من مناسبة، كما في الأحاديث التالية.

روى الحاكم في المستدرک عن حذيفة بن اليمان قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لتنقض عرى الإسلام

عروة عروة، وليكونن أئمة مضلون، وليخرجن على أثر ذلك الدجالون الثلاثة). ورواه السيوطي وغيره كثير.

وروى في كنز العمال وغوه عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لنتنقضن عوى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، و آخرهن الصلاة).

وروى أحمد والحاكم والسيوطي وابن حبان عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لنتنقضن عوى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، و آخرهن الصلاة).

لاحظوا التغيير والتبديل، كيف بدأ بالحكم في عهد أبي بكر، وانزع حق الحكم من أمير المؤمنين عليه السلام، وتغيير الحكم ووضع في غير المحل الذي اختاره الله تعالى له، وما أن جاء عهد الخليفة الثالث حتى كانت الصلاة قد ضيعت وتغير شكلها، وتغير الوضوء وكذلك عشوات الأحكام، كل ذلك تغير بما يخالف أمر الله ورسوله.

الصفحة 114

وانظر إلى الروايات التالية واستنبط حال الصحابة المنتجبين الذين لم يغيروا ولم يبدلوا، كيف صاروا لا يستطيعون أن يجهروا ولا أن يُظهروا شكل الصلاة الحقيقي كما أمر الله تعالى، وكما كان يصلّيها رسول الله وأمير المؤمنين علي عليهما الصلاة والسلام.

ثم ماهي حقيقة تلك الفتن التي تجعل حذيفة رضي الله عنه وغوه من الصحابة المنتجبين يُخفون ويُسرون صلاتهم عن الخلفاء؟.

ومعلوم أن حذيفة رضي الله تعالى عنه توفي في أواخر خلافة الخليفة الثالث، وقيل مرض مرضا شديدا، وُثم بيته وتوفي بعد مقتل عثمان برُبعين يوما، أي أن الخوف والفتنة التي عاشها أولئك الصحابة المنتجبون، كانت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى فِرة مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى مسلم في صحيحه، وأحمد في المسند، وابن ماجه، وفي كنز العمال عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أحصوا لي كم يلفظ الإسلام، قال، فقلنا: يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: إنكم لا تترون. لعلمكم أن تبتلوا، قال، فابتلينا. حتى جعل الرجل منا لا يصلّي إلا سوا).

روى البخاري في صحيحه عن أم الرداء رضي الله عنها قالت (دخل علي أبو الرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيئا، إلا أنهم يصلون جميعا.) ومعناه لا أعرف شيئا من الشريعة لم يتغير عما كان عليه إلا أنهم يصلون جميعا أي مجتمعين ..

وقال في فتح البلي تعقيا على الحديث (لأن حال الناس في زمن النوبة، كان أتم مما صار إليه بعدها، ثم كان في زمن الشيخين أتم مما صار إليه بعدهما، وكأن ذلك صدر من أبي الرداء في أواخر عموه، وكان ذلك في أواخر خلافة

الصفحة 115

عثمان، فيا ليت شعوي إذا كان ذلك العصر الفاضل بالصفة المذكورة عند أبي الرداء، فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات

إلى هذا الزمان).

وروى البخاري في باب تضييع الصلاة عن أنس قال (ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قيل: الصلاة؟ قال: أليس ضعيتم ما ضعيتم فيها).

وروى الترمذي عن أنس قال (ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أين الصلاة؟ قال: أو لم تصنعوا في صلاتكم ما قد علمتم).

ويؤكد الصحابي عمران بن حصين ومطوف بن عبد الله، حصول النقص في آخرهن، وهي الصلاة عندما صليا خلف أمير المؤمنين علي عليه السلام، وتنهذا واعترفا بأن أمير المؤمنين علي عليه السلام ذكرهما بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله. وروى البخاري في صحيحه، وكذلك في بقية الصحاح والسنن عن مطوف بن عبد الله قال: (صليت خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنا وعمران بن حصين، فكان إذا سجد كبير، وإذا رفع رأسه كبير، وإذا نهض من الركعتين كبير، فلما قضى الصلاة، أخذ بيدي عمران بن حصين فقال: قد ذكرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال: لقد صلى بنا صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما بالنسبة إلى أحوال المنافقين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه يصفها وصفا دقيقا لا يقبل التأويل، ويؤكد على حقيقة حديث الثقلين في أن عدم التمسك بالكتاب والعتوة معناه الضلال والزيغ عن جادة الحق وعن الصراط المستقيم.

روى البخاري في صحيحه عن حذيفة قال (إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأما اليوم: فإنما هو الكفر بعد الإيمان).

الصفحة 116

وروى البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان قال: (إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كانوا يومئذ يُسرُّون واليوم يجهرون).

وإنني أتساءل، أين أجهزة الدولة عن أولئك المجاهدين بكفؤهم؟ وأين عمر ابن الخطاب وشدته وجلادته في الله كما يدعون؟ ولماذا لا يخاف أولئك المجاهرون الذين على ما يببوا من الأحاديث كانت لهم سطوة وسلطة، ويتمتعون بحصانة قوية وقوار، جعلت الصحابة المنتجبين يخشونهم ويخشون الود عليهم؟ فهذه مرحلة خطيرة من تليخنا الإسلامي لا بد من إعادة النظر فيها ببصيرة وإنصاف.

وبقي الوضع والتغيير والإبتعاد عن أحكام الله، وبقيت محاصرة وعُولة أهل البيت عليهم السلام قائمة إلى أن قتل عثمان بسبب تجاوزاته التي ملأت السهل والوعر، ومخالفته لأحكام القوان والسنة النبوية.

وبسبب الفتن والمحن التي عانى منها المسلمون، فإنهم تنبهوا لضرورة وجود أهل البيت عليهم السلام، وتذكروا وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما أكد عليه من حقائق وفضائل في حق أهل البيت عليهم السلام، وتذكر المسلمون بأن

أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهروهم تطهروا، هم سفينة النجاة، التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهلك، وأنه لا يمكن لهم الخلاص من كل الفتن والمحن ومهلوي الضلال التي عاشوها من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بسبب فصلهم لدور أهل البيت عليهم السلام، فقرروا التمرد على مخططات أشياخ قريش في إبعاد العزة الطاهرة عن واقع الحياة، وتنبهوا إلى ضرورة مبايعة إمام زمانهم، لأنهم أدركوا أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، ومن لم يعرف وبياع إمامه الذي ارتضاه الله تعالى له ضل عن دينه، وهو الواقع الذي عاشه المسلمون بعد وفاة رسول الله وحتى مبايعة الإمام علي عليه السلام، فقرروا مبايعة إمام زمانهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

الصفحة 117

خلافة أمير المؤمنين عليه السلام:

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة الشقشقية متحدثا واصفا قصة مبايعته قال (فَمَلَأْنِي إِلَّا وَ النَّاسُ كَعَوْفِ الضَّبْعِ إِلَيَّ، يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقِدَ وَطِيَّ الحَسَنَانَ، وَ شَقَّ عِطْفَائِي، مَجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ العَنَمِ، فَلَمَّا نَهَضَتْ بِالْأَمْرِ، نَكَنَتْ طَائِفَةٌ، وَ مَرَقَتْ أُخْرَى، وَ قَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ: **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ** نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}. بَلَىٰ وَ اللَّهُ لَقَدِ سَمِعَهَا وَ وُعُوها، وَ لَكُنَّ حَلِيَّتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَ رَاقَهُمْ رَوَّجُهَا، أَمَا وَ الَّذِي فَلقَ الحَبَّةِ وَ وَأَ النَّسْمَةَ، لَوْ لَا حَضَرَ الحَاضِرَ وَ قِيَامَ الحُجَّةِ بوجُودِ النَّاصِرِ، وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيَّ العُلَمَاءُ إِلَّا يَقْرَؤُوا عَلَيَّ كَظَلَمَ، وَ لَا سِغْبَ مِظْلُومٍ، لِأَلْقَيْتَ حَبْلَهَا عَلَيَّ غَرْبَهَا، وَ لَسُقَيْتَ آخَرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِيهَا، وَ لِأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ رُهدَ عِنْدِي مِنْ عِطْفَةِ عَنزٍ):

وما أن تمت مبايعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، حتى بدأ بالعمل على إعادة ما ترك الناس من أحكام القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وقام بإعادة عشرات الأحكام وتطبيقاتها إلى وضعها الصحيح، فقام بتطبيق آية الوضوء وأعادته على وفق أحكام القرآن الكريم، حتى يتقبل الله طاعة الناس وعباداتهم، ثم أعاد شكل الصلاة وفق صلاة رسول الله وشهد كما ذكرنا الكثير من الصحابة كما في كتب الحديث أنه ذكروهم بصلاة رسول الله، لأنهم منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يصلوها كما كان يصلونها رسول الله إلا ما كان من صلاتهم مع إمامهم أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأعاد حج التمتع كما فرض الله ورسوله، وتوقف النظام الطبقي في العطاء الذي غره عمر بن الخطاب حيث سوى في العطاء كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوقف العشرات من البدع التي كانت تطبق في العهود التي سبقت عهده كصلاة التلويح وغوها من البدع.

فلقد عمل أمير المؤمنين عليه السلام ومنذ اليوم الأول على إصلاح الفصم والفصل بين القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، الذي تم من يوم أن رفع

الصفحة 118

الخلفاء شعار حسبنا كتاب الله. فأعاد المسلمين إلى العروة الوثقى وإلى الصراط المستقيم، وأوشك أن يبحر بسفينة الناجين

سفينة أهل البيت عليهم السلام، ويقود الأمة إلى شاطئ الهداية بعيدا عن الضلال، فما الذي حصل؟.

حرب المسلمين ضد خلافة أمير المؤمنين:

فبعد وصول خبر مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام إلى من تصدوا منذ البداية للصد عن سبيل الله، وكذلك وصول الخبر إلى كل المنافقين وإلى المبغضين لأهل البيت عليهم السلام، استوفهم الأمر واستنفوهم، لأنه خالف الواقع الذي رسمه أشياخ قريش لهم، ولم يكن متوقعا لديهم عودة العروة الوثقى إلى معترك الحياة التشريعية والسياسية والاجتماعية والإقتصادية، ففي تلك العودة إفشال لكل مخططاتهم، وضياح كامل لكل مصالحهم، فاستنفروا كل قواهم لمواجهة تلك الدولة الوليدة، التي إن بقي على رأسها أمير المؤمنين، ويعسوب الدين، وإمام المتقين، والصواب المستقيم، فإنهم وعلى حسب معرفتهم بعلي عليه السلام، سوف لن تقوم لهم ولمخططاتهم قائمة، وسوف يكون مصير تراثهم الذي ورثوه عن سبقتهم إلى زوال، فبدأت محاربة أمير المؤمنين عليه السلام، واستغلت كل الطاقات وحتى الشيطانية الخبيثة منها، من أجل أن لا يتوك مجال لأمر المؤمنين لتطبيق كتاب الله وسنة نبيه، ومن أجل الوصول إلى حالة الفوضى واللاإستقرار في دولته عليه السلام، ومن أجل ضربها إقتصاديا حتى تبلغ معاناة الناس نروتها، فبالتالي تسقط نولة الحق، ويعود الأمر كما كان عليه قبل أن يتسلم الإمام مهامه في إمامة الناس وقيادتهم.

وعندما يحصل ذلك الهدف لمن نصّوا العداة لأمر المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام مرة أخرى، فإنهم سوف يعتبرون ذلك انتصرا ووفاءً لأشياخهم من قريش الذين أسوا للجيل الجديد من أن يحافظ على تراث الأجداد، ويتمسك به، وكلنا نتذكر أبيات الشعر التي تمثل بها يزيد لعنة الله عليه، عندما قتلَ

الصفحة 119

الإمام أبي عبد الله الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء يوم عاشوراء، وقام بسببي نساءهم وعلى رأسهم العقيلة زينب،

قال يزيد يومها فوحا:

ليت أشياخي ببدر شهوا	خوع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فوحا	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي قول

ومعروف أن ذلك التّراث ليس هو الحُكم فقط، بل هو الإبقاء على عملية الفصل والفصم بين الكتاب والعزة الطاهرة (الذين أمر الله تعالى ورسوله بالتمسك بهما معا) وأن لا يسمح لأهل البيت النووي الشريف الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهورهم تطهروا، الذين من أحبهم فقد أحب الله ومن أبغضهم فقد أبغض الله، من أن يكون لهم أي ظهور.

فكان من أهم مورثه أولئك النواصب، عدم السماح لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام أن يكون لهم دور أو وجود في الحياة

بأي شكل من الأشكال، حتى ولو أدى ذلك إلى القتل أو السجن أو الحرق أو نهب الأموال والأعراض والحقوق، وهذا ما شهد عليه التاريخ وكل العصور التي تلت عصر أمير المؤمنين علي عليه السلام، وسنأتي على بعض التفاصيل التاريخية فيما يتعلق بظلم واضطهاد أهل البيت وشيعتهم بحسب ما يسمح به بحثنا الموضوع هذا.

لقد كانت الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله واضحة الموقف في عداة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فبالرغم من كل ما عاناه أمير المؤمنين عليه السلام من الأذى والضغائن والأحقاد في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن الأمر كان أشد وأوسع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانتقاله إلى الوفيق الأعلى.

ولقد أشار الرسول الأكرم إلى ذلك الواقع في عشرات الروايات التي سمعها ووعاها كل المسلمين في ذلك الوقت، فهناك الأحاديث التي تأمر بمحبة أهل البيت وموالاتهم، وهناك الأحاديث التي تنهى عن بغضهم ومعاداتهم أو موالاته أعدائهم، وهناك الروايات العديدة في فضائلهم، وهناك الأحاديث التي تأمر بالموالات والتشيع لأهل البيت عليهم السلام، وتبين ما أعد الله تعالى

لهم

الصفحة 120

ولشيعتهم من الثواب الجزيل، والمنزل الرفيعة، والوضوان الأكبر في الآخرة، وغيرها من الأحاديث النبوية التي تصف حجم الأذى والمعاناة والظلم والبغض والحقد والحسد، الذي سوف يتعرض له أمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل البيت وشيعتهم، وهذا الكم الهائل من الأحاديث لا نستطيع استيعابه كله في هذا البحث المختصر، ولذلك فإن على كل مسلم منصف، يسعى لموضاهة ربه، وطاعة نبيه، والفوز بشفاعة الرسول وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، والنجاة من عذاب الحريق في الآخرة، عليه أن راجع كل تلك الروايات ليتعرف على حقيقة أئمة المسلمين وأحقيتهم، وحتى يعرف المسلم الباحث عن الحق الغائب المغيب وإلى أي حد وصل الأمر بأعداء أهل البيت عليهم السلام، حيث تجاوزوا حدود الممكن في الظلم والإعتداء والإفراء والحسد والضغينة والعنف ضد أهل البيت عليهم السلام، الذين قد أوصى الله تعالى في القرآن الكريم والرسول الكريم في الحديث الشريف، بمودتهم وحبهم وولايتهم ومتابعتهم والإقتداء بهم والإهتداء بهديهم.

فبالإضافة إلى اغتصاب حقوق أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء وأهل البيت عليهم السلام، والهجوم على بيوتهم وحرقها، والإعتداء على السيدة فاطمة الزهراء وإسقاط جنينها وضربها حتى أنها توفيت بعد أيام من الإعتداء عليها. فلقد وصل الأمر أن عددا من الصحابة كانوا لا يطيقون ذكر اسم علي عليه السلام، ومنهم من هدده عليه السلام بالإفراء عليه واتهامه بالسرقه من أجل أن يوضح لؤغباته ومنهم من لاحقه في رزقه وسمعته، كل ذلك كما قلنا من أجل إبعاده عن موقعيته الربانية وعزله عنها. ومخالفة محتويات ومضامين حديث الثقلين.

روى البخاري في صحيحه عن عائشة قالت (لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه، استأذن أزواجه أن يموض في بيتي فأذن له، فوج بين رجلين تخطر جلاه الأرض، وكان بين العباس ورجل آخر).

الصفحة 121

قال عبيد الله: فذكرت ذلك لابن عباس ما قالت عائشة: فقال لي: وهل تنوي من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب.

روى الهيثمي في مجمع الزوائد عن علي بن أبي طالب قال، بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة، إذ أتينا على حديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، فقال: إن لك في الجنة أحسن منها. ثم مررنا بأخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، قال: لك في الجنة أحسن منها. حتى مررنا بسبع حدائق، كل ذلك أقول: ما أحسنها، ويقول: لك في الجنة أحسن منها. فلما خلا لي الطويق اعتقني ثم أجهش باكياً، قلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: (ضغائن في صدور أهوام لا يبونها لك إلا من بعدي. قال: قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك).

ورواه في مجمع الزوائد أيضا ولكن عن ابن عباس قال: خرجت أنا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام في حشان المدينة، فمررنا بحديقة فقال علي: ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله! فقال: حديقتك في الجنة أحسن منها. ثم أوما بيده إلى رأسه ولحيته، ثم بكى حتى علا بكؤه، قلت: ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور قوم لا يبونها لك حتى يفقدوني. روى الخوارزمي وابن المغزلي الشافعي والطواني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: (يا علي، حربك حربي، وسلمك سلمتي).

وروى الطواني وغوه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين (أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم).

وعليه فإن من حارب عليا فقد حارب رسول الله، ومن حارب أهل البيت فقد حارب رسول الله، ومن حارب رسول الله فقد حارب الله، أي أن حرب علي عليه السلام هي حرب الله ورسوله، ولذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حربك حربي، تحذروا وتنبئها للمسلمين حتى يقفوا مع الله ورسوله في الحكم على ما حصل من حروب بين علي عليه السلام وبين أعداءه، بل وحتى يدافعوا عن الحق الذي مع أمير المؤمنين علي عليه السلام ولا يحاربونه

الصفحة 122

أو يقفوا موقف المتوج أو المستمع الذي يرفض التدخل في التوفيق بين الحق والباطل، أو لا يقف مع الحق أصلا ولو على الأقل بلسانه.

قال تعالى في سورة المائدة الآيتان 33 - 34 {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم جزاء في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم}.

معركة الناكثين أو الجمل:

ونعود إلى موضوع البحث، فقد قلنا أن أعداء أمير المؤمنين بعد أن علموا بخبر بيعته، خافوا من أن تلتقي العروة الوثقى

بطرفيها الكتاب والعترة الطاهرة، فاستنفروا كل طاقاتهم، وكان أول المستنفوين معاوية بن أبي سفيان وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، التي كانت ذاهبة من المدينة إلى مكة لأداء العروة، فلما سمعت ببيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، أدلت جملها وحشدت المسلمين لقتل أمامهم وافقها طلحة والزبير، مدعية أنها تطالب بدم عثمان الذي كان لها دور كبير في تأليب الناس عليه، وخرجت من بيتها مخالفة بذلك أمر الله تعالى لأمهات المؤمنين **لوقرن في بيوتكن ولا تخرجن تروج الجاهلية**

الأولى}.

روى القوطي في الجامع أن عمرا قال لعائشة، إن الله قد أمرك أن توي في متروك، فقالت: يا أبا اليقظان، ما زلت قرالا بالحق! فقال: الحمد لله الذي جعلني كذلك على لسانك.

فخالفت أمر الله ورسوله وخرجت على إمام زمانها ولم تبايعه، وكانت النتيجة معركة الجمل بقيادة عائشة وطلحة والزبير ودعم أساسي من معاوية بن أبي سفيان والي الشام،

الصفحة 123

وموت بطريقها على ماء الحوآب، التي كانت علامة تحذير من رسول الله صلى الله عليه وآله لها على الخصوص، حتى لا تكون على رأس الفتنة، لكنها أصوت على حشد المسلمين ضد إمامهم الذين أمرهم الله تعالى ولايته ومتابعته، والوفاء ببيعتهم التي عقوها له.

روى في كنز العمال عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأرواحه: أيتكن التي تتبجها كلاب الحوآب؟ فلما موت عائشة ببعض مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب عليها فسألت عنه فقيل لها: هذا ماء الحوآب، فوقفقت وقالت: ما أظنني إلا راجعة، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم: كيف بإحداكن تتبج عليها كلاب الحوآب: قيل لها: يا أم المؤمنين! إنما تصلحين بين الناس.

روى في العواصم من القواصم قال: روى قوم أن البيعة لما تمت لعلي استأذن طلحة والزبير عليا في الخروج إلى مكة. فقال لهما علي: لعلكما تريدان البصوة والشام. فأقسما ألا يفعلا.

وكانت عائشة بمكة. وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصوة إلى مكة، ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن. فاجتمعوا بمكة كلهم، ومعهم مروان بن الحكم. واجتمعت بنو أمية. وحرضوا على دم عثمان وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمئة ألف توهم. وأعطى لعائشة "عسكراً" جملاً أشتره باليمن بمائتي دينار. فأرأوا الشام، فصدّهم ابن عامر وقال: لا ميعاد لكم بمعاوية، ولي بالبصوة صنائع، ولكن إليها.

فجاءوا إلى ماء الحوآب، ونبحت كلابه، فسألت عائشة، فقيل لها: هذا ماء الحوآب. فودّت خطامها عنه، وذلك لما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أيتكن صاحبة الجمل الأدب، التي تتبجها كلاب الحوآب؟ فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوآب، وخمسون رجلاً إليهم وكانت أول شهادة زور دلت في الإسلام.



وخرج عليٌّ إلى الكوفة، وتعسكر الفويقان والنقواء، وقال عمار وقد دنا من هودج عائشة: ما تطلبون؟ قالوا: نطلب دم

عثمان.

قال: قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق.

والتقى علي والزيبر، فقال له علي: أتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم إنك تقاتلني وأنت لي ظالم؟.

ونادى علي عليه السلام طلحة من بعد: ما تطلب؟ قال: دم عثمان. قال: قاتل الله ولانا بدم عثمان. ألم تسمع النبي صلى

الله عليه وآله وسلم يقول: "اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصوه، واخذل من خذله" وأنت أول من بايعني

ونكت.

وهكذا شغلوا أمير المؤمنين بالحروب والفتن، حتى لا يتمكن من تحقيق وتطبيق الحق، وحتى لا يتمكن من إعادة بور

العزة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم الله تعالى أئمة للمسلمين.

فكانت معركة الجمل بقيادة عائشة هي الفتنة الكبرى التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حذر منها عائشة

وبشكل صريح، وحذر أيضا بقية المسلمين، حتى لا يكونوا في صف من يريدون فصر العروة الوثقى، وإبعاد المسلمين عن

الصراط المستقيم أهل البيت عليهم السلام، وإغراق الناس في بحر الهالكين.

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال، قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة،

فقال: (هنا الفتنة - ثلاثاً - من حيث يطلع قرن الشيطان).

وروى الحاكم في المستدرک عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يقول لعلي بن أبي طالب:

(تقاتل الناكثين، والقاسطين، والملقين بالطرقات والنهوانات، وبالشفقات).

قال أبو أيوب: قلت: يا رسول الله، مع من نقاتل هؤلاء الأقرام؟ قال: (مع علي بن أبي طالب).

وروى في كنز العمال عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: أموت بقتال الناكثين والقاسطين والملقين.

وروي في كنز العمال عن علي عليه السلام قال: أموت بقتال ثلاثة: القاسطين، والناكثين والملقين؛ فأما القاسطون فأهل

الشام، وأما الناكثون فذوهم، وأما الملقون فأهل النهروان.

وروى في كنز العمال عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتى متول أم سلمة، فجاها علي

عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سلمة، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والملقين من بعدي.

وسنأتي على ذكر الأنواع الثلاثة الذين أمر أمير المؤمنين علي عليه السلام من الله تعالى ومن رسول الله بقتالهم، وقد

صنفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان قتل الناكثين في معركة الجمل، والقاسطين الباغيين في معركة صفين التي

قادها معاوية وعمرو بن العاص، وأما قتال الملقين فكان في معركة النهروان ضد الخوارج.

لكن الذي يجب التذكير به هو أننا نطرح ذكر تلك المعركة من باب تذكير القارئ بمحاولات وعمليات فصل الكتاب عن العزة الطاهرة، وإبعاد وعزل أهل البيت عليهم السلام عن دورهم الذي جعله الله لهم من خلال الإمامة وقيادة الأمة، وكذلك تذكير القارئ العزيز بأن البحث هو في حديث الثقلين والمعاني الواقعية لجملة لن يفتروا الورد في الحديث.

فكانت معركة الجمل هي معركة الناكثين، الذين بايعوا إمام زمانهم ثم نقضوا عهدهم ونكثوا بيعتهم، ولقد قاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام على نكث بيعتهم، وأيضا على تأويل القرآن الذي كانوا يؤولونه بحسب أهوائهم وشهواتهم، هكذا كانوا يفسرون الأمور ويسخرونها لمصالحهم مع أنها تخالف أمر الله ورسوله، ففي حين أن الطاعة واجبة على المسلمين لولي أمرهم، فإنهم يبرروا وأولوا مخالفتهم كما يحلوا لهم، فبدلا من طاعة إمامهم خرجوا يقاتلونه، وبدلا من الوفاء ببيعتهم التي عقبوها لإمامهم فإنهم نكثوا.

الصفحة 126

ولقد ذكرت الأحاديث النبوية الشريفة، أحد أهم الأسباب التي قاتلهم عليها أمير المؤمنين علي عليه السلام، أو بالأحرى التي أمر علي عليه السلام من ربه ونبيه بقتالهم عليها، حيث بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حقيقة المرحلة ودقائقها وبين أيضا وجهة الحق، حتى يكون المسلمون على حذر شديد.

روى الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانقطعت نعله، فتخلف علي[ؑ] يخصفها، فمشى قليلا ثم قال (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تأويله). فاستشوف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر. قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا. ولكن خاصف النعل، يعني: عليا.

فأبتناه فبشونا، فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ورواه في كنز العمال ومجمع الزوائد، ورواه أبو يعلى وقال رجاله رجال الصحيح.

وروى في كنز العمال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أنا أقاتل على تأويل القرآن وعلي يقاتل على تأويله). وليس مجال البحث هنا هو سرد تفاصيل المعركة، فمن أراد ذلك فهناك مؤلفات خاصة تبحث في ذلك، لكننا نذكر هنا فقط ما يلزم لبحثنا وتربطه مع حديث الثقلين.

معركة صفين:

وبعد أن انتهت معركة الجمل أو معركة الناكثين، التي لم تحقق أهدافها بالنسبة لأعداء أمير المؤمنين، فإنهم انتقلوا إلى معول آخر من معاول فصم وفصل الكتاب عن العزة الطاهرة، وذلك من خلال مقدمات ونتائج كان منها انقسام المسلمين في أغلبهم مع الفئة الباغية فئة معاوية وعمرو بن العاص ومن والاهما من الصحابة، ضد أمير المؤمنين عليه السلام.

الصفحة 127

لقد ساهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاسطين أي الباغين. قال تعالى **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**. والقاسطون هم العادلون عن الحق، والحق هو أمير المؤمنين علي عليه السلام. ولقد نبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تلك المعركة، وحذر المسلمين من أن يكونوا مع الفئة الباغية، خصوصا عندما قال في عشوات المناسبات (علي مع الحق والحق مع علي، يور معه حيث دار). وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنهما، أن يلتزم مع فئة علي عليه السلام، وكان كثورا ما يجعله علامة على تمييز الفئة المحقة من التي على الباطل، وإليك جملة من الأحاديث التي توضح وتبين مزان الحق في معركة صفين.

روى البخاري في صحيحه وأحمد في المسند وغيرهما كثير عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ويح عمار: تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار).

وروى السيوطي عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عمار يزول مع الحق حيث يزول). وروى السيوطي في الجامع الصغير وابن عساكر عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (عمار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، وخط الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحق حيث زال، وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئا).

وروى السيوطي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق). ورواه الطواني.

روى في كنز العمال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه: (يا عمار بن ياسر، إن رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس كلهم واديا غوه، فاسلك مع علي، فإنه لن يدريك في ردى، ولن يخرجك من هدى).

الصفحة 128

وروى في كنز العمال حديثا عن الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصلي رضي الله عنه في رواية عن أبي صادق، قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصلي العواق، فقلت له: يا أبا أيوب! قد كرمك الله بصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبتزوله عليك، فما لي أراك تستقبل الناس تقائلهم؟. تستقبل هؤلاء هؤلاء مرة، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عهدَ إلينا أن نقائل مع علي الناكثين فقد قائلناهم، وعهدَ إلينا أن نقائل مع القاسطين فهذا وجهنا إليهم - يعني معاوية وأصحابه - وعهدَ إلينا أن نقائل مع علي الملقين فلم رهم بعد. ورواه الطواني وفي مجمع الزوائد.

والناظر المدقق في هذه الروايات، يتأكد من أحقية علي عليه السلام، فالأمر الإلهي على لسان النبي الأكرم واضح من خلال الأحاديث المذكورة أن علي مأمور بقتال الأصناف الثلاثة، وأنه على الحق ومع الحق، ومن خالفه على الباطل ومع الباطل.

وأما لمن كان عنده شك في أمير المؤمنين عليه السلام، فأني لا أظنه يشك في المزان الذي وضعه رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم، فقد كان عمار بن ياسر كما بينت الأحاديث الصحيحة، علامة فرقة وواضحة المعالم وسهلة المنال، للتمييز بين الفئة المحقة والفئة الباغية.

معركة النهروان:

ثم جاءت المعركة الثالثة في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج، وهي معركة الملقين الذين خرجوا على إمامهم وحتى أنهم رموه بالكفر وأوجبوا على أنفسهم قتاله، واعتبروا قتال أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الجهاد الحقيقي في سبيل الله، واعتبروا قتل أمير المؤمنين عليه السلام يفتح لهم أبواب الجنة الثمانية يدخلون إلى الجنة من أيها شأؤوا.

الصفحة 129

ولقد أخبر رسولنا الكريم الوحيم المسلمين بحقيقة أولئك الملقين من دين الله، وبين أوصافهم، وأخبر بأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الذي سيقتلهم وينتصر عليهم.

روى الحاكم في المستدرک عن أبي بكر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن أقراماً من أمتي أشدة ذلقة ألسنتهم بالقآن، لا يجاوز تراقيهم، يموقون من الدين كما يموق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن المأجور من قتلهم).

وروى الحاكم في المستدرک عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (سيكون في أمتي اختلاف ورفقة، قوم يحسنون القيل، ويسئون الفعل، ويقروون القآن لا يجاوز تراقيهم، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يموقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجع حتى يرد السهم على فوقه، وهم شرار الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم. قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال، (التحليق). والتحليق في الحديث ليس فقط معناه حلق الشعر والشرب، وإنما المقصود الإهلاك والإفساد، أن من سيماء أولئك الخوارج في كل عصر إفساد وإهلاك المسلمين وتكفورهم وتنفورهم من الدين ومن أحكامه وعقائده وإعطاء صوراً مشوهة عن حقيقته، وتستأصل الدين كما يستأصل موسى الشعر، وأن لا يبقوا شيئاً من معالم الدين حتى يذهبوا بها، وهذا واقعهم اليوم كما كان في عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى السيوطي وغوه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عن ذي الخويصرة: (إن من ضئضيء هذا قوماً يقروون القآن، لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يموقون من الإسلام كما يموق السهم من الرمية لئن أركتكم لأقتلنهم قتل عاد).

ولقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام أنه سوف يقتل أحد شياطينهم ويدعى ذو النديبة، الذي حضر في يوم من الأيام وفي حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حضر إلى المسجد النبوي الشريف، حيث

الصفحة 130

أمر رسول الله أبا بكر وعمر بقتله، لكنهما خالفاً للأمر النبوي، وبعد ذلك أرسل رسول الله أمير المؤمنين علياً ليقتل ذلك

الشیطان فلم یجده، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله لعلي عليه السلام إنك یوما لا ید قاتله.

روی فی مجمع الزوائد وغیره عن أنس بن مالك قال: كان فی عهد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم رجل یعجبنا تعبده واجتهاده، فذکرناه لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم باسمه، فلم یعرفه ووصفناه بصفته فلم یعرفه، فبینا نحن نذکره، إذ طلع الرجل قلنا: ها هو ذا.

فقال النبی: إنکم لتخبرونی عن رجل، إن علی وجهه سفعة من الشیطان. فأقبل الرجل، حتی وقف علیهم ولم یسلم، فقال له رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: نشدتك بالله، هل قلت حین وقفت علی المجلس، ما فی القوم أحد أفضل منی؟. قال: اللهم نعم.

ثم دخل یصلي. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من یقتل الرجل؟.

فقال أبو بكر: أنا. فدخل علیه فوجده، قائماً یصلي فقال: سبحان الله أقتل رجلاً یصلي، وقد نهى رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عن قتل المصلین! فخرج، فقال رسول الله: ما فعلت؟. قال: كرهت أن أقتله وهو یصلي، وقد نهيت عن قتل المصلین.

قال عمر: أنا. فدخل فوجده واضعاً وجهه فقال عمر: أبو بكر أفضل منی! فخرج، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: مه؟. قال: وجدته واضعاً وجهه فكرهت أن أقتله.

فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من یقتل الرجل؟. فقال علي عليه السلام: أنا. فقال: أنت إن أركته. قال: فدخل علیه فوجده قد خرج فوجع إلى رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقال: مه. قال: ما وجدته. قال: لو قتل ما اختلف فی أمتی رجلان كان أولهم وآخرهم.

قال موسى: سمعت محمد بن كعب یقول: هو الذي قتله علي، ذو النديّة. فی النهروان وهو شیطان الودهة.

الصفحة 131

وبعد كل تلك المحاولات لفصل الكتاب عن العزة الطاهرة، وإبعاد أهل البيت عن دورهم فی الحياة والمجتمع قاموا بقتل أمير المؤمنین سلام الله تعالى علیه، فكانت المحاولة الأكثر خطأ، حیث قام المسلمون بقتل خلیفتهم وإمامهم الذي بايعوه وعاهدوه علی الوفاء.

ومع أن الذي نفذ عملية القتل هو بن ملجم لعنة الله علیه أشقى الآخرين. حیث قام بن ملجم لعنة الله الذي رباه عمر بن الخطب فی مصر تحت ولاية عمرو بن العاص بقتل أمير المؤمنین سلام الله علیه فی الكوفة فی التاسع عشر من شهر رمضان فی مسجد الكوفة وهو فی محابه والعجیب إن الصحابة فی حياة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم كانوا یعلمون بأمر قتل الإمام علي ابن أبي طالب سلام الله علیه، وكذلك اسم قاتله وأوصافه، فكیف بعد كل ذلك یقربونه ویمكنونه من الناس مدعین إنه عالم بالفقه والقوان.

قال ابن حجر فی لسان المزان: قال أبو سعید بن یونس فی تریخ مصر: عبد الرحمن بن ملجم الوادي احد بني مورك،

أي حي من مراد ، شهد فتح مصر واختط بها وبني بها درا، ويقال أن عمرو بن العاص أمره بالنزول بالقوب منه لأنه كان من قواء القوان وكان فرس قومه المعنود فيهم بمصر ، وكان قواً على معاذ بن جبل وكان من العباد، ويقال أنه كان أرسل صبيغ بن عسل إلى عمر يسأل عن مشكل القوان، وقيل إن عمر كتب إلى عمرو أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القوان والفقه ، فوسع له فكان دره إلى جنب دار ابن عديس وهو الذي قتل علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال السمعاني في الأنساب يقال أن عمرو بن العاص أمره بالنزول بالقوب منه وقيل إن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القوان والفقه، فوسع له مكان دره التي في الرواية.

الصفحة 132

إلا أنني أستطيع أن أدعي أن المسلمين الذين خططوا وأسوا لفصل الكتاب عن العزة الطاهرة وقالوا حسينا كتاب الله، والذين رفضوا وصية رسول الله، والذين عملوا على الحط من شأن أهل البيت، والذين فعلوا ما فعلوا لإبعاد أهل البيت وغزلهم وظلمهم واغتصاب حقوقهم وطمس أحقيتهم، هؤلاء هم في الحقيقة الذي أوجوا كل المبررات لقتال وقتل أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا كان الذي نفذ سماه الله ورسوله أشقى الآخرين، فماذا يُدعى أولئك الذين أسوا أساس الظلم ضد رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة وزكى التسليم.

روى في فتح البري شوح صحيح البخاري وغوه عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك يا علي. وهكذا وكما لاحظت أخي المؤمن أن أمير المؤمنين عليه السلام تولى خلافة المسلمين خمس سنوات إلا قليلا، كانت كلها حروب ضده، شغله بها المسلمون حتى لا يتمكن من القيام بدوره الرئيسي في الحياة، وكما ذكرت فإن رسول الله قد تحدث عن كل تلك الحروب وعن قادتها وعن الناس الذين معها، وأخبر بأن أمير المؤمنين سوف يقاتلهم وأنه مع الحق، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشدد الوصية على المسلمين بأن يكونوا في صف الفئة الحق، وأن يحزنوا فئة الباطل من الناكثين والقاسطين والملقين، لكنهم بقوا على متابعة وموالاته أشياخ قريش الذين رفضوا أمر الله ووصية رسوله وألوا المسلمين على إمام زمانهم فكان لهم ما رأوا.

مبايعة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام:

ثم بعد استشهاد أمير المؤمنين جاءت المحاولة المباشرة والفعلية والتي كان من أهم متطلبات فئة كبيرة جدا من المسلمين فيها، هو رفض دور أهل البيت عليهم السلام وبشكل صريح وعلني، وكانت أكبر عملية استثمار من قبل معاوية

الصفحة 133

وبني أمية للوضع الذي حقق ما أراد الأشياخ من قريش، الذين أوثروا معاوية أن يرفع لواء تراث البغض والحقد على أمير المؤمنين علي وأهل بيته عليهم السلام.

فلقد جند معاوية بن أبي سفيان الذي عينه أبوبكر واليا للشام بدلا من أخيه يزيد، واستبقاه عمر بن الخطاب واليا عليها

بالرغم من مخالفاته الظاهرة لأحكام الدين ومفارقة الحياة الإسلامية وتجرئه على مخالفاتها، فإن عمر الخليفة العادل كما يقولون، تركه واليا على المسلمين في الشام، ولقد شكوا المؤمنون تصرفات معاوية المخالفة للإسلام وأحكامه إلى عمر بن الخطاب حتى يغزله ويريح المسلمين منه إلا أن جواب عمر كان (دعوه فإنه كسوى العرب) وبالتالي فإن معاوية قد حصل على صكوك الغوان وعلى الإذن في الإستمرار بمخالفاته دون رقيب أو حسيب.

روى بن حجر في الإصابة قال، قال البغوي حدثنا عمي عن الزبير حدثني محمد بن علي قال كان عمر إذا نظر إلى معاوية قال هذا كسوى العرب.

ومع أن الله تعالى حذر المسلمين من أمثال معاوية وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن الخليفة الأول والثاني والثالث كانوا الداعمين الأساسيين لمعاوية وأمثاله.

قال تعالى في سورة إواهم الآية: 28 **{ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفوا وأحلوا قومهم دار النوار}.**

روى البخاري في تليخه، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه، عن عمر بن الخطاب في قوله: **{ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفوا}** قال: هما الأفحوان من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية. فأما بنو المغيرة، فكفيتهم يوم بدر. وأما بنو أمية، فمتعوا إلى حين.

وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطواني في الأوسط، وابن مردويه والحاكم وصححه من طرق، عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: **{ألم ترى إلى الذين بدلوا نعمة الله كفوا}** قال: هما الأفحوان من قريش،

الصفحة 134

بنو أمية وبنو المغيرة. فأما بنو المغيرة، فقطع الله داوهم يوم بدر. وأما بنو أمية، فمتعوا إلى حين.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه، أنه سئل عن **{الذين بدلوا نعمة الله كفوا}** قال: بنو أمية وبنو مخزوم.

وقال تعالى في سورة البقرة الآية 211 **{ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب}.** وذلك لأنهم بدلوا وجحوا إرادة الله تعالى وما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله، فنعمة الله تعالى علينا هي محمد وآل بيته عليهم السلام، وهؤلاء جحوا وبدلوا نعمة الله كفوا وأحلوا قومهم دار النوار، فبذلك ضلوا وزلوا واستحقوا العقاب الشديد.

وقال تعالى في سورة المائدة الآية 7 **{واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور}.**

فمعاوية بن أبي سفيان وبنو أمية هم الذين بدلوا نعمة ولاية أهل البيت عليهم السلام، وغيروا وبدلوا في عقائد الدين وأحكامه، وهذا ما سنوضحه خلال البحث إن شاء الله تعالى.

ثم إنه بعد استشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام، بايع المسلمون الإمام الحسن بن علي عليه السلام إماما وخليفة لهم، لكن معاوية بن أبي سفيان رفض الإعتاف بأحد أفراد أهل البيت، ورفض الإنضواء تحت السمع والطاعة لإمام زمانه الذي

جعله الله الإمام الثاني للمسلمين من الأئمة الإثني عشر عليهم السلام.

فمعاوية الذي فعل كل ما فعل مع أمير المؤمنين علي حتى يتخلص من عودة نور أهل البيت عليهم السلام إلى معتوك الحياة، وهو الآن يقف في مواجهة مع الإمام الحسن عليه السلام، فبدأ يخطط ومعه ثلثة من الصحابة الذين هم على شاكلته، من أجل محو حقيقة أهل البيت مرة أخرى، وإبعادهم عن طريق تحقيق غاياته ومراميه، فجمع الجوع وجيش الجيوش وبذل الأموال للصد عن سبيل الله وصواطه المستقيم ولقتال إمام زمانه الإمام الحسن بن علي عليهما السلام،

الصفحة 135

مع أنه يعلم أنه في حالة تفرده على إمام زمانه وخليفته فإن حكم الإسلام في حقه هو القتل.

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخوري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما).

وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سمعه يقول: (ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه أن استطاع فإن جاء آخر ينزعه فاضربوا عنق الآخر). وفي رواية (فاضربوه بالسيف كائنا من كان).

هذا هو حكم الإسلام في معاوية ومن وافقه على فعله، إلا أنه استمر في مهاجمة الإمام الحسن ووجه الجيوش للوقاق، فما كان من الإمام الحسن عليه السلام وحرسا على دماء المسلمين، الذين لو تواجهوا مع معاوية فأنه سوف تراق دماء الآلاف من كلا الطرفين وهذا ما لا يمكن لإمام من أهل بيت النبوة والرحمة كالإمام الحسن المجتبي أن يقبل به. فقرر الصلح مع معاوية على أن تكون الخلافة بعد معاوية للحسن إذا كان موجودا أو للإمام الحسين، ووافق معاوية على ذلك الأمر، ثم استقل بالملك، حين سلم إليه الحسن بن علي عليهما السلام الإمرة سنة أربعين للهجرة، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسمي ذلك عام الجماعة، وذلك وعلى حسب ما يدعون.

فهل كان المسلمون متفوقين عندما اجتمعت الكلمة لأهل بيت النبي؟. وهل كان أعدوهم يعتبرون أهل البيت من عوامل التفوق بين المسلمين؟ وهل صار أهل البيت عليهم السلام الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم، وقال أن من ركب سفينتهم فقد نجي من الهلاك والضلال، فهل صار أهل البيت هم عامل تفرقة؟. حتى إذا قفز معاوية على الحكم واغتصب الملك، عم المسلمين السرور وصاروا يطلقون على ذلك العام عام الجماعة لأن المسلمين اجتمعت كلمتهم.

في الحقيقة لقد اجتمع المسلمون الموالون لمعاوية وعمرو بن العاص ومن معهم على معصية الله ورسوله، واجتمعوا على أن يفصموا العروة الوثقى التي

الصفحة 136

لا انفصام لها، واجتمعوا على رفض ونبذ الصواط المستقيم، واجتمعوا على اتباع الضلال ومولاته وترك الهدى. هذا هو في الحقيقة ما اجتمعوا عليه.

مع أنهم يعرفون أن حكم الله في معاوية هو القتل، لأنه خرج على إمام زمانه وتعود عليه ورفض طاعته.

روى السيوطي قال أخرج ابن جرير، عن سهل بن سعد قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني أمية وبني

الحكم يترزون على منوه تزو القودة، فسأه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات، وأقول الله **لوما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا**

فتنة للناس {.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيت ولد

الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القودة، وأقول الله في ذلك **لوما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة**

الملعونة { يعني الحكم وولده.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن مرة عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رأيت بني

أمية على منابر الأرض، وسيتملكونكم، فتجدونهم رباب سوء، واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك: فأقول الله **لوما**

جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس {.

ثم بعد أن تم لمعاوية ما أراد، سار الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة المنورة، واستشهد فيها سنة 50 مسموما، دس له

معاوية بن أبي سفيان السم حتى يتخلص منه.

بعض ما فعل معاوية ضد أهل البيت عليهم السلام:

بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، تربع معاوية بن أبي سفيان على سدة الحكم، وبدأ منذ يومه الأول في استكمال

مخططات فصل الكتاب عن العزة الطاهرة، بل اتخذت الإنحافات في عهده منحي جديدا أكثر خطورة على الإسلام

الصفحة 137

عموما وعلى أهل البيت خصوصا، فلقد أعلن الحرب صراحة وبشكل لم يسبق له مثيل ضد أمير المؤمنين وأهل البيت

عليهم الصلاة والسلام.

فبعد أن قام بدعم الحركات والحروب ضد أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد أن دس السم للإمام الحسن عليه السلام، بدأ

بتبني سياسات أوسع وأعمق ضد العزة الطاهرة، وهي كما قلنا استكمالاً لما أسس له أشياخ قویش، الذين مهدوا الطويق

وجعلوها سهلة ميسورة من أجل أن ينفذ معاوية الأتوار النهائية للقضاء التام على أهل البيت وأشياعهم، وعزلهم عن دورهم.

ولقد نجح معاوية بن أبي سفيان في النور الذي تبناه نجاحا منقطع النظير، لأسباب عديدة، منها سياسة التجهيل التي فوضها

الأوائل على المسلمين، ومنها نسيان وتناسي موقعية أهل البيت عليهم السلام كما فوضها الله تعالى، ومنها نسيان المسلمين

السنة النبوية الشريفة، بسبب المنع الصلرم من تنوينها بل والمعاقبة على ذلك، ومنها الحط من شأن أهل البيت عليهم السلام،

وفصلهم عن الحياة واستبدالهم بشخصيات لم يجعل الله لها شأنًا، تلك الشخصيات التي استغل معاوية وجود العديد منها معه

حيث اتخذهم من بطانته، وجعل عليهم هالة كبوة من القدسية، حتى إذا ما قالوا شيئا أو وضعوا حديثا نسوه إلى رسول الله

صلى الله عليه وآله كانت الأذان لهم صاغية والطاعة لما يقولون واجبه، والتشكيك بما يقولون جريمة كوى.

ومن سياسات معاوية أيضا تكميم الأهواء، وبذل الأموال والعطايا والهدايا من أجل شراء الذمم، وغير ذلك من الغايات التي تحقق له ولجماعته ما يريد، ومن أجل رفع شأنه وشأن من والاه، ومن أجل أن يلتف نوي الأهواء والشهوات من محبي الدنيا حوله ومن أجل تأييد ودعم كل غاياته ومخططاته.

ولا أريد في هذا المقام سرد مرحلة معاوية بن أبي سفيان بتفاصيلها، فهناك ما جمعه علماءنا الأجلاء موجود في مؤلفات عديدة تبحث المرحلة بدقة، ولكنني سوف أذكر بعض ما قام به معاوية ضد أهل البيت عليهم السلام من أجل تغيير الإرادة الإلهية التي جعلت لأهل البيت عليهم السلام ذلك النور الأساسي المقترن بالكتاب والذي لن ينفصل أبدا ولن يفترق ولن يتفوق أبدا.



ولكن معاوية ذلك التلميذ المجتهد والمطيع لأشياخه قرر أن يتحدى الإرادة الإلهية ويعلن الحرب ضدها، فبدأت مرحلة من أخطر المراحل في تزيخ الإسلام وانقسم الناس إلى قسمين.

الأول: الذي بقي متمسكا بما أمر الله تعالى بالتمسك به، والذين صموا أمام كل تأثيرات حرب معاوية، صموا وثبوا على إيمانهم والتواهم وطاعتهم لله ولرسوله، لا يحيون عن ذلك قيد أنملة ولو كفهم ذلك أرواحهم وأموالهم، هذا القسم من المسلمين الذين أوفوا بما عاهدوا الله عليه هم الذين سماهم الله ورسوله بالمؤمنين، الذين اتبعوا الرسول وشايعوا عليا عليه السلام فسماهم الله ورسوله بأسماء كثرة وجليلة، منها أنهم هم المؤمنون وأهمها أنهم خير البرية، وأنهم سيقدمون على الله تعالى راضين مرضيين.

روى السيوطي في الدر المنثور قال، أخرج ابن عدي عن ابن عباس قال، لما تولت **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين). وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم تسمع قول الله: **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}** أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون غوا محجلين.

وروى السيوطي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل علي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، وتولت **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}** ، فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية. وأما القسم الثاني: وهم معاوية بن أبي سفيان ومن تبعه ووالاه على تغيير الإرادة الإلهية، والذين أطلقوا على أنفسهم أهل السنة والجماعة، الذين قاتوا المسلمين في زمنهم وحتى يومنا هذا إلى الإنحراف الكبير والخطير عن خط

الهداية، والتروا خط الضلال وقاتوا المسلمين في هذا الخط وأغرقهم في بحر الهالكين حتى يومنا هذا، بل أنهم جعلوا الشوعية المطلقة لخطهم وفوضوا على المسلمين، فصاروا يحكمون على خطهم الذي هو خط الضلال بأنه هو خط أهل الملة وما سواه باطل، مع أن الآيات القوانية والأحاديث النبوية الشريفة قد بينت خط الهدى وميزته تميزا واضحا عن خط الضلال، وهو ما أكد عليه الحديث الشريف الذي نحن بصدد شرحه ألا وهو حديث الثقلين، وكذلك حديث السفينة حيث يقول صلى الله عليه وآله (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة فوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهلك)، وغوها من الأحاديث التي مر ذكر كثير منها في هذا البحث.

سب ولعن أمير المؤمنين بأمر معاوية:

إن من الأعمال الخطوة التي قام بها معاوية في عهده، ونشوها في بلاد المسلمين، هي إعلان لعن وسب وشتم أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث اتخذ المسلمون ذلك سنة متبعة واجبة، يطبقونها في حياتهم وفي خطبهم من على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله. حتى صار اللعن والشتن سنة مفروضة وعادة متبعة استمرت أكثر من سبعين عاما، حتى إذا ما نسي أحد الخطباء سب ولعن أمير المؤمنين في خطبته، فإن الحاضرين في المسجد يبدؤون بالصراخ عليه لقد نسيت السنة أي سنة لعن وسب أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن المهم أن يعرف المسلمون أن تسمية خط معاوية بن أبي سفيان بأهل السنة والجماعة، أن السنة هي سنة لعن وسب وشتن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، وأما الجماعة فهو اسم أطلقوه على أنفسهم بعدما رفضوا أن يكونوا تحت راية أهل البيت عليهم السلام وبعد أن تنزل الإمام الحسن عليه السلام عن الحكم، فأطلقوا على ذلك العام الذي أقصوا فيه أهل البيت ورفضوا طاعتهم، أطلقوا عليه تسمية عام الجماعة، فهم إذن أهل سنة شتم ولعن وسب علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل الجماعة التي اتفقت على

الصفحة 140

إقصاء وإبعاد وغزل أهل البيت عليهم السلام عن أي دور لهم في الحياة والمجتمع.

وقد افتخر المسلمون كثيرا وما زالوا بتلك التسمية ويعتبرون كل من يحملها ويدخل تحت مضامينها من الفرقة الناجية، وأما من يخالفهم فهو من الفرقة الضالة.

فهل نسي المسلمون حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الموجود في صحيح البخاري وغوه من الصحاح عندما قال لعمار (يا عمار تقتلك الفئة الباغية)؟.

وهل يكون المسلم من الفرقة الناجية عندما يتحدي الإرادة الإلهية والأمر الإلهي ويعمل على فصم الكتاب عن العروة الطاهرة العروة الوثقى التي لا انفصام لها والتي لن تفترق ولن تتفوق؟.

وهل يكون المسلم من الفرقة الناجية عندما يشتم ويلعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي من سبه فقد سب الله تعالى؟.

وهل يكون المسلم من الفرقة الناجية عندما يخالف أمر الله ورسوله ورفض التمسك بالكتاب وأهل البيت عليهم السلام معاً، الذي إن تمسك بهما فإنه لن يضل أبداً، وإذا تركهما أو ترك أحدهما فإنه قطعاً من الضالين؟.

لقد كان ذلك اللعن والشتن لعلي عليه السلام على مسمع وروأى كل المسلمين، وكانت تصدر الأوامر من معاوية بن أبي سفيان بتأييد من عدد كبير من الصحابة الذي كانوا من بطانته، مع أنهم كلهم سمعوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي تحذر من سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وسأذكر بعض الروايات التي تؤكد هذا المعنى وأيضاً بعض الحوادث التي تؤكد حصول ذلك الأمر الخطير والمشين في زمن معاوية من قبل المسلمين، بل وربما كان يحصل السب والشتن واللعن لعلي عليه السلام قبل موحلة معاوية بكثير.

روى مسلم وغوه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال) أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن

تسب أبا التّواب؟. فقال: أما ذكوت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلن أسبه. لأن

الصفحة 141

تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم الحديث). وفي رواية الحاكم (ما منعك أن تسب ابن أبي طالب). لاحظوا الروايات فإن معاوية كان يأمر الناس أن يسبوا أمير المؤمنين عليه السلام، وفي الحديث يأمر معاوية سعدا الصحابي بأن يسب أمير المؤمنين، وهنا دلالة واضحة على أن سب ولعن أمير المؤمنين عليه السلام كان أورا طبيعيا وكان منتشرا على نطاق واسع، وبدلا من أن يستنكر الناس السب واللعن، فإن معاوية في الحديث المذكور يستنكر عدم استجابة سعد بن أبي وقاص لأمر معاوية.

وروى الحاكم في المستنكر أن المغوة بن شعبة سب علي بن أبي طالب، فقام إليه زيد بن رُقم. فقال: يا مغوة، ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن سب الأموات، فلم تسب عليا وقد مات؟. هذه الرواية تبين أن الصحابة الذين التفوا حول معاوية، كانوا على رأس المعلنين لسب وشتم ولعن أمير المؤمنين عليه السلام، وكان لا يستطيع أن ينكر عليهم ذلك إلا المنتجبون من الصحابة والناس الذين كانوا يوالون أمير المؤمنين، وإليك أخي المسلم المنصف الرواية التالية.

فقد روى في مجمع الزوائد عن أبي بكر بن خالد بن عوفطة، أنه أتى سعد بن مالك فقال: بلغني أنكم تعرضون علي سب علي بن أبي طالب بالكوفة، فهل سببته؟ قال: معاذ الله، والذي نفس سعد بيده لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في علي شيئا لو وضع المنشار على موقفي ما سببته أبداً. ورواه أبو يعلى وغيره. تبين الرواية كيف كان زبانية معاوية يعرضون على الناس سب وشتم أمير المؤمنين، وأن من يعلم فضائل أمير المؤمنين وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فإنه لا يجرؤ على التلطف بها، كما في الحديث السابق وكما في الحديث الذي قبله عندما قال زيد بن رُقم للمغوة بن شعبة إن الرجل قد مات فهلا كفتت عن سب الأموات.

الصفحة 142

وروى الحاكم عن أنس قال: (دخل محمد بن الحجاج فجعل يسب علياً فقال أنس: اسكت عن سب علي). وروى أحمد في المسند عن عبد الله بن ظالم المزني قال) لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغوة بن شعبة قال: فأقام خطباء يقعون في علي).

وروى الطوي في التزيخ أن معاوية لما استعمل المغوة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين وأمره عليها دعاه وقال له: قد ردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة (لا تتوك شتم علي ودمه، والتّوحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم، والإطواء لشبيعة عثمان والإدناء لهم).

وروى الحاكم في المستنكر والهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي أم سلمة: يا أبا عبد الله! أيسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكم ثم لا تغيرون؟ قلت: ومن يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يسب

علي ومن يحبه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه. وفي روايات أخرى أن أم سلمة قالت (أيسب رسول الله فيكم على المنابر؟).

وروى أحمد في مسنده عن عطاء بن يسار قال: جاء رجل فوقع في علي وفي عمار رضي الله تعالى عنهما عند عائشة، فقالت أما علي فلست قائلة لك فيه شيئاً، وأما عمار فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يخير بين أمرين إلا اختار أَرشدهما.

وروى الحاكم في المستدرک والسيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي مليكة قال: جاء رجل من أهل الشام، فسب علياً رضي الله عنه عند ابن عباس رضي الله عنهما، فحصبه ابن عباس رضي الله عنهما وقال: يا عدو الله آذيت رسول الله **ﷺ** الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة.

وروى أحمد والحاكم وغيرهما كثير عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس عند ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا ابن عباس، إما أن تقوم معنا، وإما أن تخلو بنا من بين هؤلاء. قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم. قال: وهو

الصفحة 143

يومئذ صحيح، قبل أن يعمى. قال: فابتئوا، فتحدثوا، فلا نوي ما قالوا. قال: فجاء ينفض ثوبه، ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل، له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره الحديث). وفي رواية الطواني قال (فوجع ينفض ثوبه ويقول أف أف وقعوا في رجل قيل فيه ما أقول لكم الآن وقعوا في علي بن أبي طالب وقد قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم الحديث).

هذا بعض ما أفصحت عنه الروايات في سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وما تركته هو أضعاف ما ذكرت.

وأما بالنسبة للأحاديث التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله والتي يحذر فيها من سب علي عليه السلام وأن من سب علياً فقد سب الله ورسوله، فأليك بعضاً منها.

فقد روى أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک والسيوطي في الجامع الصغير عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله).

وروى الحاكم في المستدرک عن أبي عبد الله الجدلي قال، حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة، وإذا الناس عنق واحد، فاتبعتهم، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي.

فأجابها رجل، جلف، جاف: لبيك يا أمتاه. قالت، يسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ناديكم. قال: وأنى ذلك؟.

قالت: فعلي بن أبي طالب. قال: إنا لنقول أشياء، نريد عوض الدنيا. قالت: فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يقول (من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى).

وروى الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار وابن المغزلي في المناقب وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة وغيرهم

كثير أن النبي صلى الله عليه وآله قال (من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه الله على منخريه في النار).

ثم لم يكتف معاوية بفض اللعن والسب ضد أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهوا، بل إنه أصدر مرسوما ونشوه في كافة أمصار الدولة

الصفحة 144

الأموية، ويتضمن ذلك المرسوم عدة إجراءات من خلال عدة مراحل، كلها من أجل القضاء على أهل البيت وشيعتهم. وقبل ذكر تفاصيل ذلك المرسوم أي كتاب معاوية إلى أمصار الدولة، الذي فُرض على المسلمين توجّهات جديدة كأنها دين جديد.

فإنني أشدد على أن ذلك الكتاب هو الذي غير مسار حياة المسلمين، وكان بمثابة الضربة القاضية للعقيدة الإسلامية وأحكامها، كما ويجب على كل مسلم أن يعرف أن غالبية أهل السنة والجماعة يُحكّمون ذلك الكتاب والآثار الخطوة التي انبثقت عنه وترتبت عليه في كل نواحي حياتهم، وإن أغلب ما يستندون إليه من قوانين وتشريعات ومصادر، كانت ومازالت بحسب ذلك الكتاب وما انبثق عنه.

فقد كان الضمان الأكيد لانحراف الأمة الإسلامية عن الخط الإلهي الصحيح، وكان الضمان الأكيد لإبعاد المسلمين عن أهل البيت عليهم السلام، وكان أيضا الضمان الأكيد لفرض شخصيات بدل أهل البيت والأئمة من العترة الطاهرة عليهم السلام، حتى تكون مصورا شوعيا يستلهم منه المسلمون كافة تشريعاتهم وقوانينهم.

ويستطيع كل منصف صاحب عقل سليم أن يتيقن من ذلك بمجرد نظرة سريعة لصحيح البخاري مثلا، ويقرن عدد روايات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي عاش الإسلام منذ نعومة أظفاره وعاش الوحي منذ بداية تقوله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى آخر لحظات الوحي في حياة رسول الله.

قرن أخي المسلم بين عدد ما يروون عنه عليه السلام، مع روايات أبي هريرة مثلا الذي أسلم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بنصف ونصف على الأكثر، فبالمقلنة تجد أن هناك أمرا لا يقبله المنطق ولا العقل السليم النبوي، فأين قضى أمير المؤمنين علي عليه السلام عوه، وهو الذي قال عنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه باب مدينة العلم، وأنه يبين للمسلمين ما يختلفون فيه بعد رسول الله، وهو الذي قال له رسول الله يا علي بك يهتدي

الصفحة 145

المهتدون من بعدي، فأين نوره عليه السلام عند معاوية وأتباعه؟. وأين أثر ذلك الكم الهائل من الأحاديث النبوية الشريفة التي توجه المسلمين لولاية أهل البيت وإتباعهم والإقتداء بهديهم؟. لماذا لم يتمسك معاوية وأتباعه بضمانة عدم الضلال والسير على خط الهدى حتى الجنة؟. أين حديث الثقلين وأثره السلوكي في حياة أهل السنة والجماعة؟. أين التمسك بالآيات القوانية التي تبين موقعية أهل البيت في الحياة الإيمانية؟. أين حديث الولاية وحديث الطير وحديث السفينة وحديث الدار وحديث

المقولة وحديث بيعة الغدير وحديث الأئمة بعدي إثني عشر كلهم من بني هاشم؟. بماذا يفسر علماء أهل السنة والجماعة ذلك الكم الهائل من الأحاديث في حق أهل البيت عليهم السلام؟. وهل كانت تلك الآلاف المؤلفات من الأحاديث كلاما عاديا وهبياً منثوراً، أم أنها كانت كلام من لا ينطق عن الهوى؟. أين أحاديث فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة رسول الله وسيدة نساء العالمين؟. أين أحاديث وعلم ربحانتي رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين اللذين قال عنهما رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا؟. فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يهذي وحاشاه من ذلك عندما كان يأمر المسلمين ولاية أهل البيت؟. وهل كان أبو هريرة مثلاً أحرص من علي عليه السلام على دين الله حتى يقال عنه أنه راوية الإسلام؟. وهل نسي رسول الله وعلي عليهما الصلاة والسلام ولم ينس أبو هريرة؟.

إنني لو أتيتك للعدد الأسئلة لما توقفت عن ذلك، ولكنني أستطيع أن أحتول جواب كل تلك الأسئلة بجواب واحد، وهو كتاب معاوية إلى الأمصار، وهدفه الرئيسي استكمال عملية فصح الكتاب عن العترة الطاهرة، واستكمال عملية رفع شعار حسبنا كتاب الله التي أسس لها الأوائل من أشياخ قريش من أجل عزل وطمس نور أهل البيت عليهم السلام، أو بالأحرى تحدي الإرادة الإلهية ورفضها والتمرد عليها واستبدالها برادة قوشية ذات أبعاد وتوجهات معادية لله ولرسوله ولأهل البيت وشيعتهم، ويا ليتهم صدقوا بتطبيق شعار حسبنا كتاب الله فإنهم رفعوه ليموها على الأمة ويضللوها.

الصفحة 146

ذلك أن الذين رفعوا شعار حسبنا كتاب الله، لم يطبقوا مقولتهم تلك التي رفعوها وانطلت على أغلب المسلمين، بل إنهم تركوا كل الآيات في كتاب الله التي تأمر بطاعة رسول الله، وكل الآيات التي تحذر من مخالفته صلى الله عليه وآله، وتلك التي تبين أن ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وكذلك الآيات التي تبين أنه لا ينطق عن الهوى، وأن كلامه صلى الله عليه وآله وحى من الله، والآيات التي تشير إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله تعالى، وأنه إذا قضى الله ورسوله أمراً فإن ذلك يوجب عليهم عدم التردد والسمع والطاعة والإستسلام لأمر الله ورسوله.

وهكذا استمرت مخالفة الكتاب، وعدم السمع والطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله، واستمرت عملية التخطيط والتطبيق منذ العصر الأول، من أجل راحة نور أهل البيت عليهم السلام، وعزلهم تماماً عن كل نواحي الحياة، ونجوا في ذلك، ومهتوا وأسوا لنور معاوية بن أبي سفيان، الذي حكم أمة نسيته قيمها ومبادئها، وضيعت أغلب ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى الصلاة قد ضيعوها كما ذكرنا في البحث عن عدد من الصحابة الذين شهتوا بذلك، فكانت الفرصة مهيأة لمعاوية بن أبي سفيان حتى يصدر كتابه إلى الأمصار بكل سهولة ويسر، ويجد المسلمين كلهم أذنان صاغية لأمره.

كتاب معاوية الذي غير الدين:

وإليك كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى ولاته وعماله على بلاد المسلمين، وفي محتوياته الأوامر بأخطر عمليات تحريف الدين، والنهج القويم، وللتفريق بين طرفي العروة الوثقى، وتحدي الإرادة الإلهية.

روى بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة قال روى المدائني قال:

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تآب - يعني الإمام علي وأهل بيته - أي أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

الصفحة 147

فقام الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر، يلعنون عليا ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءاً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم علف، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جنوع النخل، وطودهم وشودهم عن العواق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق، أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته عليهم السلام شهادة، وأن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرمواهم، واكتبوا لي بما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشورته.

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنزل والدنيا، فليس يجيء أحد من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة، إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

وكتب معاوية إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر، وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الأولين (أبي بكر وعمر)، ولا تتركوا خوا يرويه أحد من المسلمين في أبي تآب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تآب (الإمام علي عليه السلام) وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضائله.

قوّنت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة ولا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشلوا بذكر ذلك

الصفحة 148

على المنابر، وألقى إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموا بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثم كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فاموه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمته بموالة هؤلاء القوم، نكلوا به واهدموا دله.

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعواق، ولا سيما الكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيلقي إليه سوه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكنتمن عليه.

ونتيجة لكتاب معاوية ظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القواء المراءون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولايتهم، ويقبوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنزل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين، الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها ... انتهى.

إنني أعتقد جزماً أن هذا الكتاب الخطير يفصح عن نفسه لكل مسلم منصف عاقل، فمن مجرد دراسة سطحية لتفاصيله، وبما يحمله من قواعد أساسية وانحرافات، وما يحتويه من تأسيس لمرحلة الضلال، يتبين بشكل لا يدع مجالاً للشك أن عملية نسف قواعد الدين ووضع قواعد جديدة له، قد بدأت بعد أن لقي ذلك الكتاب قولاً واسعاً عند المسلمين وبعد أن وجد تطبيقاً دقيقاً من قبلهم.

فقد بدأ بمرحلة السب والشتم واللعن لأمر المؤمنين عليه السلام، حتى إذا انتشر ذلك وشاع، فإنه بعد ذلك لا يمكن للمسلمين أن يعتقدوا بموقعية إمامهم وورثه

الصفحة 149

الأساسي في تبيان أحكام الإسلام الصحيحة النقية الصافية، ومن الذي يجرؤ على مخالفة أمر الخليفة، الذي أعطى لنفسه قدسية بين الناس وكأنه نائب عن الله في إدارة شؤون الأرض والناس.

ثم إن في سب وشتم الإمام علي عليه السلام، تجرؤ وتطول على الذات الإلهية وذلك حسب ما ورد في الأحاديث، فإذا صار الأمر طبيعياً بين الناس، بحيث يتقبله الأمر والشاتم والمستمع وحابة صدر وعن رضى وإقرار، فإنه بعد ذلك يسهل على الأمر وهو معاوية أن يفرض من القواعد والأسس ما شاء، لتسيخ إنهاء نور أهل البيت عليهم السلام نهائياً من الحياة، بل ومن قلوب الناس ومشاعورهم، بل وأكثر من ذلك، حيث صار أهل البيت وشيعتهم هم أعداء الدين والأمة الذين يجب على المسلمين مجاهدتهم وملاحقتهم وقتلهم وتعذيبهم ويستحلون دماءهم وأموالهم وحقوقهم، وهذا ما أتاح كل الفص لمعاوية وبطانته لبوغ أبعد مدى في محاربة الدين وأهل البيت عليهم السلام، وفرض دين جديد للناس لازال المسلمون وحتى اليوم يتعبدون الله تعالى به، معتقدين أن رضى الله تعالى يكون من خلال تطبيقه ومتابعته.

ولست أبالغ فيما أقول فإنه يكفي المسلمين من آثار كتاب معاوية وجود وضاعي الحديث النووي الشوييف، الذين أنشأ معاوية لهم جهراً خاصاً في دولته، يشبه المطابخ السياسية في أيامنا هذه، حيث كانوا يضعون الروايات بما يشاء الحكام وبما تشاء أهولهم ونفوسهم المويضة، وبحسب ما تقتضيه السياسة، وينسبون ذلك للنبي كذباً وزوراً وبهتاناً، فيتمسك المسلم بذلك الحديث الذي صُمم خصيصاً لإبعاد الناس عن ولاية أهل البيت أو موالاة أعدائهم، أو تحليل حرام أو تحريم حلال، أو بفض فضائل لأناس كانوا من أشد الأعداء لرسول الله صلى الله عليه وآله، أو بتكفير شخصيات كان لها الدور البارز والكبير في حماية الدعوة الإسلامية وصيانة الدين، أو توير أفعال مشينة فعلها الحاكم مخالفاً بذلك النصوص الشوعية القطعية، أو بوضع أحاديث تطعن في عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله، أو تبين أنه كان يسهو أو يجتهد فيخطئ ويصيب، أو بتحريف

أسباب النزول لآيات معينة كانت قد تولت في أهل البيت عليهم السلام، أو بإصاق أفعال قد فعلها الحاكم ومن أجل تبرير فعله ينسبون فعلها لرسول الله صلى الله عليه وآله، وغير ذلك من الأسباب والغايات التي تخدم مخططات معاوية وأشياخ قريش الذين أسسوا لمعاوية بن أبي سفيان للوصول إلى هذه المرحلة الخطوة من التغيير والتبديل في الدين وقواعده وعقائده وأحكامه.

مخالفات معاوية لأحكام الدين بغضا لعلي:

وبتوجيه الناس ضد أهل البيت عليهم السلام، عمل معاوية على إخفاء كل مخزيه وعبويه ومخالفاته لأحكام الله ورسوله، ووضع له الوضاعون بدلا منها فضائل على شكل أحاديث نسوها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الله تعالى لا يبد وأن يقيم الحجة دائما حتى يتميز الخبيث من الطيب، فقد روت صحاح ومسانيد أهل السنة العشرات من مخالفات معاوية وفسقه ومجونه، تلك الروايات التي طالما أخفاها العلماء عن المسلمين دفاعا عن معاوية حتى تبقى صورته لامعة واقة أمام الناس، وإليك بعض الحقائق على سبيل المثال وليس الحصر.

فقد روى أحمد في المسند عن عبد الله بن بريدة قال (دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفوش ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشواب فشرب معاوية ثم ناول أبي ثم قال: ما شربته منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم). وأخرج ابن عساکر في تزيخه من طريق عمير بن رفاعة قال (مر على عبادة بن الصامت وهو في الشام قطرة تحمل الخمر فقال: ما هذه؟ ريت؟ قيل لا، بل: خمر تباع لفلان، فأخذ شفة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها روية إلا بؤها وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فرسل فلان إلى أبي هريرة يقول له: أما تمسك عنا أخاك عبادة؟ أما بالغدوات فيغدوا إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشي فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعواننا أو عيينا، فأمسك

عنا أخاك، فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة فقال له: يا عبادة! مالك ولمعاوية؟ فوه وما حمل، فإن الله يقول: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم. قال: يا أبا هريرة؟ لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصوه إذا قدم علينا يثرب، فمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة، فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بايعناه عليها فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الله له بما بايع عليه نبيه. فلم يكلمه أبو هريرة بشيء) ..

أخرج ابن عساکر في تزيخه، وابن سفيان في مسنده، وابن قانع وابن مندة من طريق محمد بن كعب القوي قال (عوا عبد الرحمن بن سهل الأنصاري في زمن عثمان، ومعاوية أمير على الشام فمرت به روايا خمر لمعاوية، فقام إليها بومحه فبقر كل روية منها فنلوشه الغلمان حتى بلغ شأنه معاوية فقال: دعوه فإنه شيخ قد ذهب عقله. فقال: كلا والله ما ذهب عقلي

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمرًا، و أحلف بالله لئن بقيت حتى رأى في معاوية ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبقون بطنه أو لأموتن نونه). ورواه بن حجر في الإصابة وبين الأثير في أسد الغابة.

وروى بن ماجه وابن حبان وغوهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (شرب الخمر كعابد وثن. وفي لفظ: مدمن خمر كعابد وثن).

وأخرج مالك والنسائي وغوهما من طريق عطاء بن يسار: أن معاوية باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الرداء (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل. فقال معاوية: ما رأى بهذا بأساً فقال له أبو الرداء: من يعزوني من معاوية؟ أنا أخوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخبرني عن رأيه، لا أساكنك بـرض أنت بها).

الصفحة 152

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لعن آكل الربوا وموكله وشاهديه وكاتبه).
روى أحمد والطواني عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: لما قدم علينا معاوية حاجاً، قدمنا معه مكة قال: فصلى بنا الظهر ركعتين ثم انصرف إلى دار الندوة، قال: وكان عثمان حين أتم الصلاة فإذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخر ربعا ربعا، فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة، فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة، فلما صلى بنا الظهر ركعتين نهض إليه مروان ابن الحكم وعمرو بن عثمان فقالا له: ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبت به، فقال لهما: وما ذلك؟ قال: فقالا له: ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة، قال: فقال لهما: ويحكما و هل كان غير ما صنعت؟ قد صليتهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع أبي بكر، قالوا: فإن ابن عمك قد أتمها وإن خلافاك إياه له عيب، قال: فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بنا ربعا.

قال الأميني في كتاب من حياة معاوية تعليقا على هذا الحديث (أنظر إلى مبلغ هؤلاء الرجال أبناء بيت أمية من الدين، ولعبهم بطقوس الإسلام، وحوأتهم على الله وتغيير سنته، وإحداثهم في الصلاة، وهي أفضل ما بنيت عليه البيضاء الحنيفية، وانظر إلى ابن هند، حلف الخمر والربوا، كيف يتوك ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجد هو عمله عليه، ووافق هو مع أبي بكر وعمر، ثم يعدل عنه لمحض أن ابن عمه غير حكم الشريعة فيه، وأن مروان بن الحكم طريد رسول الله وابن طريده، الزوغ ابن الزوغ، اللعين ابن اللعين على لسان النبي العظيم، وصاحبه عمرو بن عثمان مارقهما إتباعه السنة، فاستهان مخالفتها دون أن يعيب ابن عمه بعمله، فأحیی أحداثه ذي قرباه، وأمات سنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، غير مكتوث لما سمعته أذن الدنيا عن ابن عمر: الصلاة في السفر ركعتان من خالف السنة فقد كفر و به من خليفة للمسلمين وألفزه).

الصفحة 153

وروى الشافعي في كتاب الأم من طريق الرهوي قال (لم يؤذن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأبي بكر ولا لعمر ولا لعثمان في العيدين حتى أحدث ذلك معاوية بالشام فأحدثه الحجاج بالمدينة حين أمر عليها).

وفي المحلى لابن حزم قال (أحدث بنو أمية تأخير الخروج إلى العيد وتقديم الخطبة قبل الصلاة والأذان والإقامة).
وروى في مروج الذهب (أن رجلا من أهل الكوفة دخل على بغير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين، فتعلق به رجل من دمشق، فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقتة، ففضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودس إلى الكوفي بعد توقعهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعوره، فدفع إليه ضعفه وروه وأحسن إليه وقال له: أبلغ عليا أنني أقبله بمائة ألف ما فيهم من يفوق بين الناقة والجمل. ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسوهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء، وأعاروه رؤوسهم عند القتال، وحملوه بها وركنوا إلى قول عمرو بن العاص: أن عليا هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصوته، ثم لرتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير).

وروى الشافعي في كتابه الأم من طريق أنس بن مالك قال (صلى معاوية بالمدينة صلاة فجر فيها بالقراءة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لأم القوآن ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، ولم يكبر حين يهوي حتى قضى تلك الصلاة، فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين من كل مكان: يا معاوية؟ أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صلى بعد ذلك وأبسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أم القوآن وكبر حين يهوي ساجدا).



وذكر الطحوي (إن بني أمية كانوا يتكبرون التكبير في الخفض دون الرفع، وما هذه بأول سنة تركوها).

وروى النسائي في سننه، والبيهقي في السنن الكبرى، عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس بعوفة فقال: يا سعيد! مالي لا أسمع الناس يلبون؟ فقلت: يخافون معاوية. فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبيك اللهم لبيك، وإن رغم أنف معاوية، اللهم العنهم فقد تركوا السنة من بغض علي.

وقال السندي في تعليق سنن النسائي: (من بغض علي) أي لأجل بغضه، أي وهو كان يتقيد بالسنن فإلى تركها بغضا له.

وروى الطوي وكنز العمال عن ابن عباس قال (لعن الله فلانا إنه كان ينهى عن التلبية في هذا اليوم يعني يوم عرفة، لأن عليا كان يلبي فيه).

وروى أبو داود في سننه قال (وفد المقدم بن معدي كرب وعمرو بن الأسود ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدم: أعلمت أن الحسن بن علي توفي؟ فوجع المقدم فقال له معاوية أزاها مصيبة؟ فقال: ولم لأزاها مصيبة؟ وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجه فقال: هذا مني وحسين من علي.

فقال الأسدي: جمرة أطفالها الله عز وجل قال فقال المقدم: أما أنا فلا أرح اليوم حتى أغيبك وأسمعك ما تكوه، ثم قال: يا معاوية! إن أنا صدقت فصدقني. وإن أنا كذبت فكذبني، قال: أفعل. قال فأنتدك بالله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن لبس الحرير؟ قال: نعم. قال: فأنتدك بالله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن لبس الذهب؟ قال نعم. قال: فأنتدك بالله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها؟ قال: نعم. قال فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية! فقال معاوية: قد علمت أنني لن أنجو منك يا مقدم!.

هذه بعض المخالفات العلنية قام بها معاوية أمام كل الناس دون أن يخشى من أحد، ولقد تبين من عدد كبير من الروايات، أن معاوية كان يقوم بممارسة وتطبيق تلك المخالفات ويدعوا إليها ليخالف أمير المؤمنين عليا عليه السلام الذي كان المثل الأعلى في الإلتزام بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد كان معاوية يعلن صراحة أن كل ما يظهر من علي وأتباعه فخالفوه، ومن ينظر في كتب الفقه والفقه المقرن، يتبين له بوضوح أن الأحكام والسنن التي طبقها أمير المؤمنين عليه السلام متبعا بذلك أمر الله تعالى وأمر رسوله بتفصيله الكامل، كان معاوية ومن أسس له يخالفون ذلك ويطبّقون عكسه تماما، ويعلنون مخالفة ذلك صراحة، فكما مر في رواية سابقة تجد أن معاوية ترك التلبية بغضا لعلي عليه السلام.

فتغيرت الأحكام والعقائد والسنن بما يخالف أمر الله وأمر رسوله ولا يرضيه تعالى، واستبدلت بما يرضي معاوية وأشياخه ومن والاه حقدا وبغضا لعلي وأهل البيت عليهم السلام، وكأن الدين والشوع ليس من الله تعالى، حتى أن الذين جاؤوا بعد

معاوية من علمائهم، يرفضون كل الأحكام التي ظهرت وتميز بها مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويعلنون رفضها ويغيرونها حتى وإن كانت بما يأمر به الشروع المقدس.

وإليك بعض صور تغيير الأحكام والتي خالفها العلماء، الذين ساروا على خطى معاوية، وأعلنوا مخالفتهم لها لأن أهل البيت وشيعتهم طبقوها.

فمنها حذف بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وغيرها من سور القرآن الكريم في الصلاة، وذلك أن معاوية هو الذي فعل ذلك بالرغم من الأدلة العقلية والنقلية المتضافرة والتي تدل على أن البسمة آية من الفاتحة.

وكذلك تغيير أفعال الوضوء بما يخالف القرآن الكريم حيث فوض الغسل بدل المسح الذي أمر الله تعالى به وفعله رسول الله وعشوات الصحابة ولأن الإمام

الصفحة 156

علي عليه السلام وأهل البيت التزموا بهذا الأمر الإلهي فقد خالف أتباع معاوية ويزيد ذلك، حسدا وبغضا لعلي وأهل البيت عليهم السلام.

وكذلك الكثير من أحكام الصلاة تغير، وحذف من الأذان جملة حي على خير العمل لأنها صلت شعرا لعلي عليه السلام وشيعته.

وتغيرت أحكام الصوم من ناحية توقيت الإفطار لأن أهل البيت عليهم السلام وحسب القرآن الكريم يتمون الصيام إلى الليل، فخالفهم أتباع معاوية في ذلك، وكذلك بالنسبة إلى مواقيت الصلاة، والكثير من أحكام الحج وأنواعه كلها تغيرت حسدا وبغضا لعلي عليه السلام.

وعلى هذا سار من جاء بعد فترة معاوية ويزيد فإنهم اتبعوا تلك السياسة في كل نواحي الحياة، فكانوا يغيرون ما هو ثابت في السنة الشريفة لأن عليا وأهل البيت وشيعتهم يطبقون ذلك الثابت من سنة رسول الله وشريعة رب العالمين حسدا وبغضا لأهل البيت وأتباعهم.

اتباع العلماء سنة تغيير الأحكام بغضا لعلي:

قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقي في كتاب رحمة الأمة في اختلاف الأئمة المطوع بهامش المزان للشواني 1: 88 ، قال (السنة في القبر التسطيح، وهو أولى على الواجح من مذهب الشافعي. وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: التسنيم أولى لأن التسطيح صار شعرا للشيعه).

وقال الخوالي والموردني (إن تسطيح القبور هو المشروع لكن لما جعلته الرافضة _ أي أتباع موضة أهل البيت _ شعرا لهم عدلنا عنه إلى التسنيم).

وقال مصنف الهداية من الحنفية (إن المشروع التختم في اليمين ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار).

وأول من اتخذ التختم باليسار خلاف السنة هو معاوية كما في ربيع الأوار للؤمخثوري.

وقال الحافظ العواقي في بيان كيفية إسدال طرف العمامة (فهو المشروع لرخؤه من الجانب الأيسر كما هو المعتاد أو الأيمن لشرفه؟. لم أر ما يدل على تعيين الأيمن إلا في حديث ضعيف عند الطواني، وبتقدير ثبوته فعله كان بوخيها من الجانب الأيمن ثم بردها إلى الجانب الأيسر كما يفعله بعضهم، إلا أنه صار شعرا للإمامية، فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم. شرح المواهب للزرقاني 5: 13.

وقال الرّمخثوي في تفسيره 2: 439 (القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى: هو الذي يصلي عليكم. وقوله تعالى: وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم. وقوله صلى الله عليه وسلم: اللهم صل على آل أبي أوفى. ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو: إنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها، وأما إذا أود غوه من أهل البيت بالصلاة كما يفود هو فمكروه، لأن ذلك شعار لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم).

وقال ابن تيمية في منهاجه 2: 143 عند بيان التشبه بالروافض (ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صلت شعرا لهم، فإنه وإن لم يكن الترك واجبا لذلك لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم فلا يتميز السني من الروافضي، و مصلحة التمييز عنهم لأجل هوانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب).

وقال ابن حجر في فتح الباري 11: 142 : تنبيه (اختلف في السلام على غير الأنبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي، فقيل: يشوع مطلقا. وقيل: بل تبعا ولا يفود لوحد لكونه صار شعرا للرافضة. ونقله النووي عن الشيخ أبي محمد الجويني).

وقال الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسيره روح البيان 4: 142 (قال في عقد الدرر والثالثي: المستحب في ذلك اليوم - يعني يوم عاشوراء - فعل الخوات من الصدقة والصوم والذكر وغرهما، ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبه بيزيد الملعون في بعض الأفعال، وبالشيعة والروافض والخروج أيضا. يعني لا يجعل

ذلك اليوم يوم عيد أو يوم ماتم، فمن اكتحل يوم عاشوراء فقد تشبه بيزيد الملعون وقومه، وإن كان للإكتحال في ذلك اليوم أصل صحيح، فإن ترك السنة سنة إذا كان شعرا لأهل البدعة كالتختم باليمين فإنه في الأصل سنة لكنه لما كان شعار أهل البدعة والظلمة صلت السنة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا كما في شرح القهستاني).

ومن قوا يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضي الله عنه، فقد تشبه بالروافض، خصوصا إذا كان بألفاظ مخلّة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين.

وفي كراهية القهستاني: لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر ولا مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه بالروافض. ثم إنه لما جاء عصر تنوين الحديث، كان من أهم شروط الروي أن يكون من أتباع ومؤيدي معاوية وأشيائه وسياساته،

وأن يكون مبغضا للإمام علي عليه السلام، وكذلك اشتقوا في روي الحديث أن لا يكون من محبي الإمام علي عليه السلام وأن لا يكون من أتباعه عليه السلام. ومن أراد معرفة أحوال الرجال وشروط قبولهم أو رفضهم بحسب حبه أو بغضهم لأمير المؤمنين عليه السلام، فلواجع كتابنا سبيل المستبصيرين تحت بحث اغتيال السنة النبوية، ولواجع أيضا كتب علم الرجال وأحوالهم عند أهل السنة يجد حقيقة شروط قبول الروي أو رفضه أنها كانت ولا زالت بحسب حب أو بغض أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام.

فما الذي تحقق نتيجة لهذه الشروط؟.

إن الذي تحقق من ذلك، أن دونت السنة بعد القون الثاني للهجرة أي بعد انقطاع كبير فيما بين عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعصر التنوين، فنون في الكتب الكثير مما وضعه الوضعون ورأدت السلطة الحاكمة، وثبتت أشياء لم تكن من سنة رسول الله بل مما فوضه الوضعون بأمر الحكام.

ثم جاء علماء المذاهب الإسلامية التي وجدت بعد القون الثاني الهجري، وأسوا مذاهبهم على أصل ما وصل إليهم من رادة معاوية ويزيد وأشياخهم، وبنوا أحكام مذاهبهم على ذلك، وأغلق باب الإجتهد، وفوض الحكام على

الصفحة 159

المسلمين علماء من علماء السلاطين، ولم يجيزوا أخذ الفوى إلا منهم، وقالوا لا يفتى ومالك في المدينة، مع العلم أن الإمام جعفر بن محمد الصادق كان في نفس الوقت في المدينة المنورة، لكن الحاكم وبأمره ذاك قام بغول الإمام عن دوره في تبيان الهدى للناس، ثم فوض كتاب الموطأ على الناس وقيل أنه الكتاب الثاني بعد كتاب الله، ثم بعد ذلك فوضت كتب أخرى كصحيح البخري واعتبر أفضل كتاب بعد كتاب الله، ومرة صار صحيح مسلم في تلك المرتبة ومرة أخرى صار كتاب سنن أبي دلوود حارًا تلك الوجبة الوفيعة من الإعتبار، وفي فترة من فترات الحكم العباسي منع الناس من تسمية أبناءهم بإسم علي، وصار تداول الإسم ممنوعا وكل من سمى ابنه بإسم علي يعتبر خرجا عن القانون.

وهكذا ثبتت قواعد فصل الكتاب عن العوة الطاهرة، وصار الناس لا يعرفون إلا ما فوضه الحكام عليهم من العلماء وحتى من الحديث النووي أو ما ينبتاه الحاكم من مذاهب في العقائد والأحكام التي أسس لها في عصر معاوية وعصر الوضعين، فصار عامة الناس لا يتبعون إلا ما تقرره أجهزة الخلفاء ولا يعرفون غوه، وبالتالي استكملت الأنوار التي رآدها أعداء الإادة الإلهية.

فلربما يتعبد المسلم بحكم يعتوه شوعيا وهو في الأصل من وضع أجهزة السلطة فيما مضى، وهو في الحقيقة بعيد عن خط الهداية خط السنة النبوية الصحيحة، وربما يكون الواجب متروكا وما يفعله مخالف له والعكس ربما يكون أيضا صحيحا أي أنه تفعل أمور على أنها واجبات وهي في الأصل ليست كذلك.

وكل ذلك نتيجة لتحدي ومحاربة الإادة الإلهية في ولاية أهل البيت عليهم السلام ومخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وترك العمل بحديث الثقلين، الذي هو الضمانة الأكيدة في إتباع الهدى واجتتاب الضلال.

ولذلك فإن كل ما وصلت إليه الأمة من التخلف والضياع والضلال، كان نتيجة لفصم العروة الوثقى الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، وطمس حقيقة الصراط المستقيم، وغزل وإقصاء أهل البيت عن نورهم المجعول من الله سبحانه وتعالى في هداية الناس وتبصوهم وإرشادهم إلى حقيقة دين ومنهج الله العظيم.

الصفحة 160

إن المدقق في العواجل التي تلت عملية السب والشتم وإعلان ذلك على المنابر، يتبين له حقيقة الإنحراف والتغيير والتبديل التي حصلت في الأمة، فكيف لأمة أن تهتدي وهي تحارب الله ورسوله وأهل البيت وشيعتهم؟. وكيف لأمة أن تتجو من الضلال والهلاك وهي لم تركب سفينة أهل البيت عليهم السلام، بل وعملت على تحطيمها وإغواها؟. وكيف لأمة أن تهتدي إلى الحق والصواب والهدى، وقد عملت ولا زالت تعمل على فصل الكتاب عن العروة الطاهرة، وعملت ولا زالت تعمل على محاربة أهل البيت وشيعتهم؟.

حتى إن الواحد منا اليوم ونحن في القرن الواحد والعشرين، لا يجرؤ أن يذكر حديث الثقلين، أو أي حديث يتعلق بفضائل أهل البيت عليهم السلام، ولا يجرؤ على إظهار ولايته وتمسكه بأهل البيت عليهم السلام.

إنني أدعو كل المسلمين إلى ضرورة مطالعة هذه المرحلة من التاريخ، حتى يكتشفوا حقيقة ما هم عليه، وحتى يتعرفوا على حقائق لطالما عمل العلماء على إخفائها وتغييبها عن المسلمين، حتى لا يتبين الرشد من الغي، فهناك العشرات من المؤلفات التي تبحث المرحلة بتفاصيلها، ومن أهمها كتاب من حياة معاوية للعلامة الأميني وعشرات غيرها. حيث تبين وتوضح كيفية تطبيقات معاوية بن أبي سفيان لعملية ملاحقة وقتل أهل البيت وشيعتهم في العراق واليمن ومكة والمدينة وغيرها من أمصار المسلمين من خلال بعثاته المتلاحقة والتي كان يقودها عدد كبير من صحابة رسول الله كبسر بن أبي رطأة وسورة بن جندب والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وزبيد بن سمية وغيرهم.

لقد بالغ معاوية في تشويه صورة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، واستخدم كما ذكرنا عددا كبيرا من الصحابة الذين كانوا من بطانته، مثل أبي هريرة وعمرو وسورة وغيرهم، حيث أنهم ساعدوه كثيرا في وضع روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله تخدم مخططاته وتوسخ له قواعد النولة الأموية وقواعد الدين الجديد، وسأقدم بعض النماذج من عمليات الوضع

الصفحة 161

تلك التي كان لها الدور الكبير في إبعاد نور أهل البيت عن الحياة وطمس حقيقتهم وأحقيتهم.
روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة قال (أعطى معاوية بن أبي سفيان سورة بن جندب من بيت المال أربعمئة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام بأن قوله تعالى **لومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** إنها تولت في علي بن أبي طالب عليه السلام. وإن قوله تعالى **لومن الناس من يشوي نفسه ابتغاء مرضات الله** . تولت في ابن ملجم أشقى

روى في شرح نهج البلاغة قال (لما قدم أبو هريرة العواق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضوب صلخته هراً!! وقال يا أهل العواق أوعمون أني أكذب على الله ورسوله وأحرق نفسي بالنار؟. والله لقد سمعت رسول الله يقول: إن لكل نبي حوماً، وإن المدينة حرمي، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، قال وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها!!). فلما بلغ معاوية قوله أجله وأكرمه وولاه إمرة المدينة). وقد توضحت عمليات وضع الحديث من خلال قاءة كتاب معاوية، حيث أمر بإشاعة فضائل لأشخاص لم يجعل الله تعالى لهم فضيلة، وطمس كثرا من الفضائل لشخصيات رفعها الله تعالى، وجعل الإيمان في فئة والنفاق في فئة أخرى، ووضع أحاديث في أحكام معينة تخدمه وتخدم حكومته، وشطب كل ما يعتبر ضده وضد دولته وسلطته، بل واستطاع أن يحول كل ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه من ذم ولعنات إلى فضائل، والناس اليوم تبع لكل ما ورد في كتابه المشؤوم. ثم إن من جرائم معاوية ضد علي عليه السلام وشيعته قتل الصحابي الجليل حجر بن عدي الأنصلي وأصحابه الذين قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله

الصفحة 162

وآله (سيقتل بعواء أناس، يغضب الله لهم وأهل السماء). رواه السيوطي وابن حجر. وذنبتهم أنهم رفضوا الرواة من علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانوا من الثابتين على الوفاء بعهدهم بالتمسك بالكتاب والعترة الطاهرة، حتى أنهم كانوا يفضحون ويكشفون كل مخزي وانواقات معاوية بن أبي سفيان وبطانتته ومن والاه، لا يخشون في الله لومة لائم. ومن جرائمه أيضاً قتل عمرو بن الحمق ومحمد بن أبي بكر، وما كانت تهتمهم إلا هولاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والثبات على ذلك طلباً لمروضة الله تعالى. وهكذا استمر معاوية في عمليات طمس معالم الدين المحمدي واستبداله بدينه الجديد، من خلال فصل الكتاب عن العترة أولاً، ثم استبدال العترة الطاهرة بغورهم على حسب مزاجه وهواه، ثم ترك الكتاب عن طريق تأويله بما يخالف مراد الله تعالى ويوافق أهواء السلطة الحاكمة، التي قامت وتأسست على بغض علي عليه السلام وملاحقة أهل البيت وشيعتهم وقتلهم وتشريدهم وظلمهم وأذاهم كما بينت ذلك كتب الحديث وكتب السير والتاريخ، وكذلك الروايات المتواترة المتعلقة بذلك التاريخ المخزي الذي يندى له الجبين.

وهكذا نسي الناس معالم الدين وأعلامه، وضاعت الأحكام، واختلفت العقائد، ومحيت السنة النبوية، وصار الحكم بالهوى. وانتشر الفسق والمجون وصار شرب الخمر مستباحاً، بعد أن استبيحت أحواض المسلمين في حملات معاوية على أمصار المسلمين، لقتل وملاحقة أهل البيت وأتباعهم، راجع أخي المؤمن ماذا فعل بسر بن رطأة في المدينة ومكة واليمن؟. وماذا فعل كل ولاية معاوية في بلاد المسلمين؟. ماذا فعل المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص وأبو هريرة وزبيد بن سمية وغورهم

من أعلام دين معاوية الجديد، الذين جعل معاوية سمعتهم في أعلى مرتبة ومنحهم الألقاب الرفيعة خاءً لهم على مساعدته في وضع قواعد دين جديد يخلو من أي أثر أو دور لأهل البيت عليهم السلام فيه.

الصفحة 163

ثم من أجل تثبيت قواعد النولة الأموية، وترسيخ ما بدأه أشياخ قريش واستكملة معاوية لفصل وعزل وطمس حقائق وحقوق أهل البيت عليهم السلام، واستورا في محاربة أحباب الله وأصفياءه من العزة الطاهرة، واستورا في محاربة الإرادة الإلهية، التي جعلت أهل البيت عليهم السلام هم الأئمة والقوة الذين تجب على الناس مودتهم وموالاتهم وإتباعهم والإقتداء بهديهم، قام معاوية بن أبي سفيان وبعد أن دس السم للإمام الحسن بن علي عليهما السلام مما أدى إلى استشهاده، قام بنقض العهد الذي أومر مع الإمام الحسن عليه السلام في أن تكون الخلافة بعد معاوية للإمام الحسن أو الإمام الحسين عليهما السلام.

بيعة يزيد:

قام معاوية بن أبي سفيان وبتأييد من بطانته بدعوة المسلمين لبيعة ابنه يزيد، وكان ابتداء الأمر من الصحابي المغيرة بن شعبة، فُرسل معاوية إلى ولاته يحثهم على دعوة الناس لبيعة يزيد.

وقد كان تركيز معاوية وبتأييده على أنواع البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، حيث وجه معاوية كتابا إلى واليه على المدينة مروان بن الحكم اللعين بن اللعين الزع بن الزع، يطلب منه أنواع البيعة من الحسين عليه السلام وبأي وسيلة كانت حتى ولو أدى ذلك إلى قتله ومن معه، لكن الإمام الحسين عليه السلام رفض أن يعقد البيعة للفاقد يزيد، حتى لا تطمس البقية الباقية من دين الإسلام، وحتى لا تعتبر بيعته مصادقة من أهل البيت على دين معاوية الجديد وإقرارا به.

ثم إن يزيد بن معاوية أرسل إلى واليه في المدينة لينتزع البيعة من الحسين عليه السلام، لأنه بذلك يسهل عليه أنواع البيعة من بقية الناس ولكن الإمام الحسين عليه السلام رفض، ورفض ذلك أيضا يوم الطف أن يتنزل عن موقفه، وخطبة الإمام الحسين عليه السلام المشهورة التي أعلن فيها موقفه صريحا بكل غوة وفخر قائلا (لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا

أقر إقرار

الصفحة 164

العبيد، ألا وأن الدعي بن الدعي، قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وجود طابت، وحجور طهوت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصلح الكوام).

هكذا كان موقف الإمام الحسين عليه السلام موقف الغرة والإباء، موقف المؤمن على المسلمين ودينهم، فعليك السلام يا أبا الأحرار يا أبا عبد الله، ونحن نرددها معك ونقول هيهات منا الذلة.

ماذا فعل يزيد لفصم عوى الدين؟.

ومات معاوية الذي خلف من بعده ابنه يزيد السكير الخمير الفاسق، وحكم دولة تسير على دين ونهج معاوية وأشياخه، وبدأ

يزيد في تطبيق تعاليم والده، واستكمال الدور الرئيسي الذي قامت عليه دولتهم، وهو إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن واقع الحياة بل والإنقاذ منهم والتفاخر في ذلك.

ومن أعظم الزايات وأشدّها في تزيخ المسلمين التي قام بها يزيد لعنة الله عليه لمحو أي أثر لأهل البيت عليهم السلام، هي قتل أبي عبد الله الإمام الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

لقد فعل ذلك يزيد ليستكمل الأتوار التي انتهت إليه من أبيه وأشياخه القشيين، الذين كان من أول أمرهم رفض الإرادة الإلهية الصريحة في إمامة أهل البيت عليهم السلام، وردوا على الله ورسوله بل إنهم حلّوا رادة الله وحلّوا كل من التزم بها ولم يقف إلى جانبهم في دعوتهم تلك، فجاء دور اللعين يزيد ليستكمل الحرب على أهل البيت عليهم السلام ويتم القضاء على دين الإسلام ويمحوه من الوجود ليبقى على دين معاوية بين الناس.

وهكذا انتهى الأمر إلى أن ضاع الدين وطمست معالمه، ليحل محله دين جديد، لا يعرف الناس غوه، بحيث صار الخليفة الأموي يزيد اللعين هو أمير المؤمنين في نظر الناس وهو المشوع الذي على الأمة طاعته.

الصفحة 165

نهضة الإمام الحسين عليه السلام:

فلما وصلت الأمور إلى هذا الحد بل وربما أبعد منه، تحرك الإمام الحسين عليه السلام، لينهض بالأمة من أجل بعث الدين المحمدي من جديد، وليعيد رسم معالمه، وبيان عقائده وأحكامه، وليعيد الكتاب والعروة الطاهرة إلى الوجود، وليعيد معالم العروة الوثقى والصراط المستقيم من جديد، فهو الإمام الذي فرض الله طاعته على كل المسلمين، وهو الذي ورث من أخيه الإمام الحسن عليه السلام ومن أبيه الإمام أمير المؤمنين عليا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل معالم الدين وتفصيلاته كما أرادها الله سبحانه وتعالى، كيف لا وهو الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا).

هذا الحديث الذي روته كل صحاح ومسانيد المسلمين، يعتبر من أهم الوصايا النبوية الشريفة التي تركها رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين من بعده حتى يلجأوا إليها إذا صار حال الأمة ضياعا، فقد جعل الله تعالى الإمام الحسين عليه السلام معلما من معالم الدين ومصباحا من مصابيح الهدى، ونورا يستضاء به إذا ما وقعت الفتن، وتاه الناس عن السبيل القويم والصراط المستقيم.

فهذا الحديث من الوصايا الهامة للمسلمين مثل حديث الثقلين وحديث السفينة أو مجموع الأحاديث التي تُؤدِّه وتوضح حقيقة أهل البيت عليهم السلام وأحقيتهم، وأنهم هم علامات الحق وموزان الهدى في كل زمان ومكان، حتى يستطيع المسلمون أن يميزوا بين طريق الحق وبين طريق الضلال.

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه رحمة للعالمين وعلى خلق عظيم وكلامه وحي وصدق وحق، يرسم خطا عاما وفي أغلب الأحيان مفصلا، لكل مرحلة من مراحل حياة المسلمين، وكان عليه وآله الصلاة والسلام يبين ويوضح لأمتة

ما يستطيعون من خلاله الوقوف على الحق واجتناب الضلال ودعاته، فقد كان كثرا يحذر الناس من أئمة الجور والضلال
قائلا (إن أخوف

الصفحة 166

ما أخاف عليكم، الأئمة المضلون) أي أنه صلى الله عليه وآله أقام حجة الله البالغة على الناس كافة في كل عصر وفي كل
زمان ومكان.

ففي حديث الثقلين بين صلى الله عليه وآله معالم طريق الهدى، التي من اتبعها فإنه لن يضل أبدا، وهذا يعني أنه سيكون في
الأمة ضلال كبير ودعاة كثر يروجون ذلك الضلال، فبين رسول الله صلى الله عليه وآله وفصل عن كيفية النجاة من ذلك
الضلال والوقاية منه.

وكذلك عندما يرسم النبي الأكرم معالم ما يجب على الأمة التمسك به أي الكتاب والعترة وأنهما لن يتفترقا،
وعندما يحذر من الضلال ويبين كيفية الخلاص منه، وعندما يتحدث عن إمامنا المهدي عجل الله فوجه الشريف وأنه سيملاً
الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فإن ذلك يعني أن الأمة سوف تتروك التمسك بالكتاب وتتروك الإعتصام بأهل البيت
عليهم الصلاة والسلام، بل وأنه سوف تكون هناك المحولات تلو المحولات من أجل طمس هوية أهل البيت عليهم السلام،
وعزلهم عن نورهم الذي اجتباهم الله له، في الأخذ بيد المستضعفين، وحماية المؤمنين، وتبيان خط الهداية والنجاة للأمة في
حال حدوث الفتن، أو عند انفصال الناس عن إتباع خط الهداية وسقوطهم من سفينة النجاة سفينة أهل البيت عليهم السلام التي
من ركبها فقد نجا ومن تخلف عنها فقد غرق وهلك.

وكذلك عندما نأتي إلى مرحلة يزيد بن معاوية وهي مرحلة من العراحل الخطوة التي وصلت فيها الأمة إلى حالة خطورة
من الضياع والفتن، حيث لم يبق من الإسلام شيء، واستبدلت العقائد والأحكام بعقائد وأحكام جديدة، وسلك الناس فيها مسالك
الضلال والإنحراف عن الصراط المستقيم، وتاهوا عن سفينة الناجين أهل البيت عليهم السلام.

فكان لابد من أن يتحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تلك المرحلة ويبين خطورتها وشدة فتنها، وكان لابد له
صلى الله عليه وآله أن يبين راية الهدى، ويوضح نور مَعْلَم من أهم معالم الإيمان، ومصباحاً من أهم مصابيح الهدى، وكان
لابد له صلى الله عليه وآله أن يكشف عن ربان سفينة أهل البيت

الصفحة 167

عليهم السلام في تلك المرحلة الخطوة وهو الإمام الثالث من أئمة أهل البيت عليهم السلام أبي عبد الله الحسين بن علي
عليهما السلام.

فكان مما نبه عليه صلى الله عليه وآله وكشفه للناس وأوصاهم به أن قال في عشوات العوات على مرأى ومسمع كل
المسلمين (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط).

رأد رسول الله أن يكون مع أمته في حال ضياعها ليأخذ بيدها ويأخذ بأيدي المسلمين والمستضعفين، إلى أن يكونوا مع

الإمام الحسين عليه السلام، فأشار أن حسين مني محمدي المنشأ ولا يُبلغ عني إلا أنا أو رجل مني، ولا يستطيع أن يقود الأمة إلا أنا أو رجل مني، ولن تتجروا الأمة إلا بي أو رجل مني.

فها هو صلى الله عليه وآله يقول لهم حسين مني فهو حامل رسالتي وهو الذي يهديكم إلى رضى الله تعالى وإلى النجاة من عذابه، وهو الذي يجمع شملكم ويردكم إلى الصراط المستقيم إذا تفرقت الأمة عن أهل البيت عليهم السلام واقتدت بغوهم ولم تتبعهم، بل وعادتهم وكفوت بحقوقهم وأحقيتهم، وإذا قفز الناس من سفينة الناجين وسقطوا في بحر الهالكين.

فإذا صوتم إلى ذلك الحال فما هو الإمام الحسين مني أي من رسول الله ولا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني.

ثم يضيف صلى الله عليه وآله فيقول وأنا من حسين، وهذا يعني أنه إذا تاه المسلمون عن دين الله وساروا على مناهج معاوية وي زيد، وإذا طمست معالم الدين الإسلامي وضاعت عقائده وأحكامه، فإن بعث دين محمد من جديد سوف يكون على يد الإمام الحسين عليه السلام. فهو الذي سوف يبعث ما محاه وطمسه معاوية وأشياخه من جديد، وهو الذي سوف يضرب على جثة الدين التي قتلها أعداء أهل البيت بجهاز الصعقة الكهربائية، الذي سيجعل قلب الأمة ينبض من جديد، ويعيد العقول إلى التفكير بالعروة الوثقى والصراط المستقيم، حتى يبدأ المؤمنون بركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام من أجل أن توصلهم إلى بر الآمنين من الفؤع الأكبر يوم الدين.

الصفحة 168

ولكن الأمور دائما تنقسم إلى أحياء وأموات وكما قال تعالى في سورة الروم الآية 52 - 53 **{فإنك لا تسمع الموتى ولا**

تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين، وما أنت بهاد العمي عن ضلاتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون}.

فلم يكتف رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الحديث فقط لتوضيح معالم مرحلة اللعين يزيد، بل إنه استمر يحدث عن تلك المرحلة ومن جوانب متعددة عقلية ومشاعرية واجتماعية، مادية وروحانية، حتى يطرق جميع جوانب النفس البشرية وحتى لا يبقى أي مبرر لأحد، وحتى تقام الحجة البالغة فله الحجة البالغة.

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ولاية أهل البيت وإمامتهم، وأمر المسلمين أن يقفوا في صف الإمام الحسين وأن ينصروه، وأن يحوه ولا يظلموه، وجعل محبة الحسين عليه السلام من محبته، وبين أن من أحب الحسين فقد أحب الله، وأن الله يحب من أحب حسينا، وكشف أن الأمة سوف تكون في عصر الإمام الحسين قسم معه ومن أنصروه ومحبيه وأتباعه، وقسم آخر مع يزيد اللعين ومن أسس له ومن تبعه على ظلم وحسد وبغض أحباب الله أهل البيت عليهم السلام، ذلك القسم وبقيادة يزيد سوف يقتلون الإمام الحسين في يوم يغضب الله فيه وتبكي عليه السماء والأرض، حتى أنه صلى الله عليه وآله بين موقع المكان الذي سيقفل فيه الإمام الحسين عليه السلام.

ثم قيد عليه وآله الصلاة والسلام المسلمين في كل زمان ومكان بقيود كثرة من أجل نواصم لفت نظرهم إلى الإمام الحسين عليه السلام وإلى أهل البيت ولايتهم حتى لا يقال أن الإمام الحسين قد مضى عصوه وانتهى الأمر ولا دخل للأمة بما فعله

السابقون.

روى أبو دلوود وغوه كثير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها

فكرهها - وقال مرة فأنكرها - كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فوضيها كان كمن شهدها).

روى الحاكم في المستدرک عن بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لو أن رجلا صنف بين الركن

والمقام، فصلى، وصام، ثم لقي الله



وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار). رواه في كنز العمال ومجمع الزوائد والطواني وابن حبان. ولكن المسلمين اليوم لا يلتفتون إلى كل تلك الوصايا البيئات الواضحات، التي بينها ووضحها رسول الله صلى الله عليه وآله والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، إذ أن المسلمين لازالوا وحتى اليوم يخافون من معاوية ويؤيدون، ويخافون من ذكر علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، فالكل طوع أمر معاوية ويؤيد ولو أدى ذلك إلى معصية الله تعالى ومخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم إن الأمة لازالت وحتى اليوم تعادي أهل البيت وشيعتهم، وتظلمهم وتفترق عليهم، وتكفهم وتستبيح دماءهم كما يجري اليوم في مناطق متعددة من العالم ضد أهل البيت وشيعتهم، وكل ذلك طاعة لمعاوية ويؤيد، وكأن كتاب معاوية إلى أمصار الدولة الإسلامية والذي ذكرناه في البحث يتجدد في كل يوم، ويحفظه المسلمون ويطبّقونه بحذافوه، وكأنه أمر إلهي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم أني أوأ إليك مما فعل معاوية ويؤيد وأشياخهم وأتباعهم، اللهم إني أتقرب إليك بحب أهل بيت نبيك، وأتقرب إليك بمولاتهم وأتباعهم والإقتداء بهديهم وطاعتهم كما أمرت أنت ياربنا ويا سيدنا ومولانا، اللهم إني أوالي من والوا وأعادي من عادوا، وأنصر من نصرهم، وأبغض من أبغضهم، فاجعلني والمؤمنين مع من نحب، وثبتنا على صراطك المستقيم، ربنا لا تفرغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

لقد قام يزيد اللعين وبقرار منه وإقرار وبتنفيذ جيش الدولة الأموية، بقتل الإمام الحسين عليه السلام في سبعة عشر من أهل بيت رسول الله وثلة من صحابة الحسين عليهم رضوان الله تعالى، يوم عاشوراء على أرض كربلاء في حادثة الطف، التي تقشع الأبدان عند سماعها فكيف بمن أبصوها وعاش أحداثها، حيث لم يرقب يزيد وشياطينه إلا ولا ذمة في الحسين وأهل بيته وأبنائه وأصحابه، الذين ما خرجوا إلا دفاعا عن دين الإسلام، دين المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم، خرجوا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ويحرروا الناس من عبادة الجبت والطاغوت إلى عبادة الواحد الأحد.

يقول الإمام الحسين عليه السلام (لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسوة جدي وأبي علي بن أبي طالب).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من رأى سلطانا جاؤا مستحلا لحوام الله، ناكثا عهده، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعنوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله).

لهذا نهض الحسين عليه السلام، لإصلاح ما قد فسد في الأمة، ولم يخرج من أجل دنيا أو منصب أو ساعيا وراء سمعة، وإنما خرج ونهض طلبا للإصلاح، كيف لا وقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا من حسين).

لقد أجمع يزيد اللعين وجلالوته على القضاء على الإمام الحسين عليه السلام وعلى نهضته، فحاصروه وقطعوا عنه الماء، ورأهوا وقتلوا وسجنوا وأنوا من كان من أنصاره سلام الله تعالى عليه، ثم قاموا بمهاجمة معسكره واعتدوا على الأطفال والنساء، وقتلوا أصحابه واحدا بعد واحد، وقتلوا من كان معه من أبناءه ومن أبناء الإمام الحسن عليه السلام، وحتى الوضع منهم من خلال مشاهد لا يمكن لإنسان أن يتحملها حتى ولو كان كافرا، حتى أن الإمام الحسين عليه السلام بعد أن قتلوا من معه قال لشمر وعمر بن سعد بن أبي وقاص وبقية المجرمين الذين كانوا معهم قال لهم مخاطبا (إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم).

ولكن الطبيعة البهيمية الشيطانية التي كانت عند يزيد وشياطينه، فعلتها، وقاموا بقتل ابن بنت نبيهم في أبشع صورة من صور الإعتداء والإنتقام من رسول الله محمد وأهل بيته عليهم السلام، وداسوا على جسده الشريف بحوافر خيولهم، وقطعوا الرأس الشريف، وتركوا جسد الإمام الحسين في ساحة الجريمة، ثم حملوا الرأس الشريف والرؤوس المقطعة، وسوا نساء أهل

البيت

الصفحة 171

بعد أن سرقوا ونهبوا كل ما كان في حوزتهم، وسار موكب الرأس الشريف ومعه السيدة زينب بنت أمير المؤمنين، وكذلك الإمام علي بن الحسين زين العابدين ومن بقي من النساء والأطفال، وطافوا بهم البلاد حتى وصلوا إلى دمشق عاصمة الأمويين، ووضع الرأس الشريف بين يدي اللعين يزيد، وأنشأ قائلا معروا عن ما ورثه من حقد وبغض وضغينة للإسلام وأهل البيت عليهم السلام، متحديا رادة الله تعالى، معلنا الحرب على الله ووحيه ورسوله وأهل البيت عليهم السلام، شامتا منتشيا،

قائلا:

ليت أشياخي ببدر شهوا	خوع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فحوا	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي قول

وهكذا فوح يزيد اللعين وشياطينه، بالجريمة التي اقترفوها، وأعلنوا ذلك اليوم يوم عاشوراء يوم مقتل إمام عظيم من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجعلوا ذلك اليوم عيدا يفرحون به، ويحتفلون بجريمتهم التي بكت عليها السماء والأرض، كما ورد في العديد من الروايات.

ولازال الكثير من المسلمين وللأسف يحتفلون بذلك اليوم ويعتبرونه يوم فح، حيث دفع الأمويون الأموال الطائلة لوضاعي الحديث، من أجل أن يضفوا لهم أحاديث مكنوبة تجعل من ذلك اليوم يوم عيد وفوح وسرور، ما عدا تلك الطائفة من

المؤمنين شيعة أهل البيت عليهم السلام، الذين يخزنون أشد الحزن في يوم الذكرى الأليمة يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، ويعبرون عن حزنهم ومواساتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله، الذي بكى الحسين يوم ولادته وأخوه جبريل عليه السلام بذلك، وخرج رسول الله باكبيا مسمعا بكاءه ونشيجه لأصحابه، قائلا لهم أن الأمة ستفتن من بعده وأن الحسين مقتول، حيث بين رسول الله أن مقتل الحسين عليه السلام فتنة عظيمة للأمة في كل زمان ومكان.

الصفحة 172

إنني أدعو نفسي وكل المسلمين أن يقرؤوا مقتل الحسين عليه السلام، والإستماع لقصة مقتله عليه السلام، فالإمكانات موجودة من خلال المؤلفات الكثيرة وكذلك من خلال المحطات الفضائية، والحجة قائمة واضحة بيينة، ولكنني أحب أن أذكر ببعض الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في صحاح ومسانيد المسلمين، ليتعرف المسلم على ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسين عليه السلام وقضيته التي يجهلها أغلب المسلمين وغيبت عنهم عن قصد متعمد وسابق إصار، وما سأذكره من روايات هو للتعريف بالحسين وقضيته عليه السلام على شكل مختصر، وإلا فإن ما هو موجود في الحسين وأهل البيت عليهم السلام عموما أكثر بكثير، ولا يمكن لنا في هذا البحث الموضوعي أن نشير إلى جل روايات الحسين وسود تفاصيل مقتله عليه السلام، ولكنني أشير وأذكر بمحطات هامة لكل قضية تتعلق بحديث الثقلين ولو على سبيل الإختصار. روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسين مصباح الهدى، وسفينة النجاة).

وروى أحمد وأبو يعلى وابن حبان والطواني والحاكم والسيوطي والضياء، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة). وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عن الحسن والحسين عليهما السلام (هما ريحانتي من الدنيا).

وروى الطواني وفي كنز العمال وغوهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (من أحب هذين، يعني الحسن والحسين، وأباهما وأمهما كان معي في تروتي يوم القيامة). وروى السيوطي والديلمي عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي).

وقد مر من خلال البحث العديد من الروايات التي تأمر بمحبة أهل البيت عليهم السلام، والتحذير من ظلمهم وأذيتهم، ولكنني أضيف هنا ما يتعلق ببحثنا.

الصفحة 173

فقد روى المتقي الهندي في كنز العمال والبخاري وابن السكن والبلوردي وابن منده وابن عساكر وابن حجر في الإصابة، عن أنس بن الحرث، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (إن ابني هذا يعني الحسين يقتل بلرض من ررض

الواق، يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منهم فلينبوه).

وروى في كنز العمال وغيره كثير عن أم سلمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالسا ذات يوم في بيتي، فقال: لا يدخلن علي أحد، فانتظرت فدخل الحسين عليه السلام فسمعت نشيج النبي صلى الله عليه وسلم يبكي، فاطلعت فإذا الحسين في حوره أو إلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي، فقلت: والله! ما علمت به حتى دخل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن جبريل كان معنا في البيت فقال: أتعبه؟ فقلت: أما من حب الدنيا فنعم، فقال: إن أمتك ستقتل هذا برض يقال لها كربلاء، فتناول جبريل من رآبها، فراه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أحيط بالحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: أرض كربلاء، قال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أرض كرب وبلاء).

وروى أحمد وأبو يعلى والزار والطواني والهيثمي في مجمع الزوائد عن أنس بن مالك، قال: (أن ملك القطر استأذن ربه أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له، فقال النبي لأم سلمة: املكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد. قال: وجاء الحسين بن علي ليدخل فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أتعبه؟ قال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت رأيتك المكان الذي يقتل به. فضرب بيده فجاء بطينة حواء فأخذتها أم سلمة فصورتها في خملها. قال ثابت: بلغنا أنها كربلاء).

وروى الطواني والهيثمي في مجمع الزوائد عن عائشة قالت: دخل الحسين بن علي عليهما السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوحى إليه، فزا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو منكب وهو على ظهوه، فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتعبه يا محمد؟ قال: يا جبريل وما لي لا أحب ابني!. قال: فإن أمتك ستقتله من بعدك، فمد جبريل

الصفحة 174

عليه السلام يده فأتاه بتوبة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك هذا واسمها الطف، فلما ذهب جبريل من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقرمه في يده يبكي، فقال: يا عائشة إن جبريل أخبرني أن ابني حسين مقتول في أرض الطف، وأن أمتي ستقتن بعدي. ثم خرج إلى أصحابه فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل عليه السلام أن ابني الحسين يقتل بعدي برض الطف، وجاءني بهذه التوبة وأخبرني أن فيها مضجعه).

روى أحمد في المسند عن عبد الله بن يحيى، عن أبيه: أنه سار مع علي عليه السلام، وكان صاحب مطهرته، فلما جاؤوا نينوى وهو منطلق إلى صفين. فنادى علي عليه السلام: إصبر أبا عبد الله، إصبر أبا عبد الله، بشط الوات. قلت: وماذا تريد؟ قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان، فقلت: ما أبكاك يا رسول الله؟

قال: بلى، قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الوات.

قال: فقال: هل لك أن أشمك من تربته؟

قال: فمد يده فقبض قبضة من راب، فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا.

وروى في كنز العمال وغره كثير عن شيبان بن مخرم قال: إني لمع علي عليه السلام، إذ أتى كربلاء فقال (يقتل في هذا الموضوع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر).

وروى بن كثير في البداية والنهاية، قال، روى محمد بن سعد وغره من غير وجه عن علي بن أبي طالب عليه السلام (أنه مر بكربلاء عند أشجار الحنظل، وهو ذاهب إلى صفين، فسأل عن اسمها، فقيل: كربلاء. فقال: كرب وبلاء. فقول فصلى عند شجرة هناك ثم قال: يقتل ههنا شهداء هم خير الشهداء، يدخلون الجنة بغير حساب، وأشار إلى مكان هناك، فعلموه بشيء فقتل فيه الحسين عليه السلام).

الصفحة 175

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد والطواني عن أبي هرثة قال كنت مع علي رضي الله تعالى عنه بنهري كربلاء فمر بشجرة تحتها بعر عولان فأخذ منه قبضة فشمها ثم قال (يحشر من هذا الظهر سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب). وروى المنوي في فيض القدير وغره كثير قال (ولما قول الحسين عليه السلام بكربلاء سأل عن اسمها فقيل كربلاء، فقال كرب وبلاء فكان ما كان).

وروى في كنز العمال عن محمد بن عمرو بن حسين قال (كنا مع الحسين عليه السلام بنهر كربلاء، فنظر إلى شمر ذي الجوشن، فقال: صدق الله ورسوله!. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كأني أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي! وكان شمر أروع).

وروى بن كثير في البداية والنهاية قال، وقد حكى أبو الجناح الكلبي وغره، أن أهل كربلاء لا زالون يسمعون فوح الجن على الحسين عليه السلام وهن يقلن:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخود

أواه من عليا قريش جده خير الجنود

وروى بن كثير وابن عساكر (أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم، فوجدوا في كنسية مكتوباً:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب؟

فسألوهم من كتب هذا؟ فقالوا: إن هذا مكتوب ههنا من قبل مبعث نبيكم بثلاثمائة سنة).

وروي عن أكثر من مصدر من مصادر المسلمين، أن الذين قتلوه رجعوا فباتوا وهم يشربون الخمر والرأس معهم، فيرز

لهم قلم من حديد فوسم لهم في الحائط بدم هذا البيت:

شفاعة جده يوم

الحساب؟.

أترجو أمةً قتلت

حسيناً

وروى أحمد في المسند عن ابن عباس، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام نصف النهار أشعث أغبر،

معه قرورة فيها دم، فقلت: بأبي

الصفحة 176

وأمي يا رسول الله، ما هذا؟. قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم يُزل ألتقطه منذ اليوم.

قال عمار: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم.

وروى بن أبي الدنيا: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع وقال: قتل الحسين والله، فقال له أصحابه: لم يا ابن عباس؟.

فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه زجاجة من دم.

فقال: أتعلم ما صنعت أمتي من بعدي؟ قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه رفعهما إلى الله. فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه،

وتلك الساعة، فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة.

وروى الترمذي عن سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم وعلى رأسه ولحيته الزّاب. فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

وروى بن كثير ومحمد بن سعد عن شهر بن حوشب قال (إننا لعند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسمعنا

صلخةً، فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة، فقالت: قتل الحسين. فقالت أم سلمة: قد فعلوها، ملأ الله قبورهم - أو بيوتهم - عليهم

نراً، ووقعت مغشياً عليها، وقمنا).

وروى أحمد بن حنبل في المسند عن عمار قال: سمعت أم سلمة قالت: (سمعت الجن يبكين على الحسين، وسمعت الجن

توح على الحسين).

وروى أيضاً عن هاشم بن هاشم، عن أمه، عن أم سلمة قالت: سمعت الجن ينحن على الحسين وهن يقلن:

أبشروا بالعذاب والتكيل

ونبي ومرسل وقبيل

وموسى وصاحب الإنجيل

أيها القاتلون جهلاً حسيناً

كل أهل السماء يدعو عليكم

قد لعنتم على لسان ابن داود

وروى الحاكم في المستدرک وابن كثير في البداية والنهاية وغرهما عن ابن عباس. قال (أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنني قتلت ببيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأنا قاتل بابين بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً).
 إنني أترك أن هذا البحث هو بحث في حديث الثقلين، ولكن كما ذكرت أن هذا الحديث يعتبر محرراً من محاور الإسلام الموكرية، التي تدور حولها أغلب قضايا الإسلام بل كلها إذا صح التعبير، ولذلك أخي الكريم وكما أثبت لك في بداية البحث فإنك تجد أن المسائل كلها متواطئة واطبا وثيقا بأهل البيت عليهم السلام وإمامتهم وولايتهم، فنحن لازلنا في وضع عنوانين لجملة من حديث الثقلين وهي (لن يتوقا أي الكتاب والعترة)، ولازلنا نذكر ما قام به المسلمون منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من محولات ومخططات لفصل أهل البيت عليهم السلام عن الكتاب، ولمحو حقوقهم وأحقيتهم، وطمس هويتهم.

فهل انتصر يزيد اللعين وشياطينهم في حربهم ضد رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام؟
 لقد تنبه المسلمون بعد استشهاد أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام إلى الحقيقة التي غيبها معاوية ويزيد وأشياخهم، وبدأت نهضة الحسين توتّي أكلها، وبدأ المسلمون يلتفون حول راية أهل البيت عليهم السلام، وانتشر الأتباع والشيعية في كثير من أرجاء الدولة الأموية، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وهو دائماً وأبداً الصادق المصدوق عندما قال: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا)، وبُعِثَ دين محمد من جديد، ولولا نهضة الحسين عليه السلام، لطمست كل معالم الدين، ولذابت تعاليم الإسلام الحقيقي، ولكن رادة الله تعالى شاءت أن يُبعثَ الدين من جديد على يد الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك قيل (أن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء).



ماذا فعل المسلمون بعد يزيد؟:

وأما ما قام به المسلمون بعد مرحلة يزيد من أفعال، إستكمالاً لعملية فصل العروة الوثقى والإبقاء على ما وصل إليهم من السلطة الحاكمة، من خلال القواعد والأحكام الناتجة عن الحقد والضغينة لرسول الله وأهل بيته، ومن خلال كتاب معاوية إلى المسلمين، واستكمالاً لمحلبة الإرادة الإلهية، يشكل الثورة التي رآد المتآمرون على رسول الله ووصيه علي بن أبي طالب أن يصلوا إليها.

فقد قام الأمويون وبني مروان ومن والاهم وسار على خطاهم وانتهج نهجهم، بالبناء على ما أسس له معاوية وي زيد وأشياخهم، وقام الخلفاء من بني أمية وبني الحكم بعمليات عزل وفصل العروة الطاهرة عن الكتاب وعن المجتمع من خلال عمليات الملاحقة والقتل والتشريد للأئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وطمسوا أولهم الأساسية في نشر الدين والمحافظة على عقائده وأحكامه، ثم استكملت الأتوار من قبل العباسيين الذين كانوا أشد وأغلظ ممن سبقهم من الأمويين، الذين قتلوا وسجنوا وشربوا الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، بل إنهم قاموا بعدة محاولات لنش ولاة والإعتداء على مقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومقام الإمام الحسين عليه السلام وبقية الأئمة من أهل البيت، ومشهور في كتب التاريخ ما فعله العباسيون مع الإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام إلى الإمام العسكري عليه السلام، ومذكور أيضا كيف عانى أتباعهم وشيعتهم من ظلم واضطهاد وقتل وتشريد استكمالاً لما دعى إليه معاوية وي زيد في طمس حقيقة أهل البيت وأحقيتهم، ثم جاء بعدهم صلاح الدين الأيوبي الذي قام بقتل رُبعين ألفاً من أتباع أهل البيت في يوم واحد عندما دخل إلى مصر على أنقاض النولة الفاطمية، وكذلك فعل من جاء بعدهم، كان دائماً هدفهم الأول ليس التوقيق بين الكتاب والعروة الطاهرة فقط، وإنما قمع أية محاولة للجمع بينهما من جديد كما أمر الله تعالى وأوصى رسوله الكريم.

ولازالت قضية أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم حتى اليوم ينظر إليها بنظرة معاوية وي زيد ومن كان قبلهم، فلازال أهل السنة والجماعة يعملون على فصل

العروة الوثقى، ورفع شعار حسبنا كتاب الله، ومنع وقمع كل المحاولات للجمع بين الكتاب الكريم والعروة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، ويحلبون محاولات الجمع تلك بكافة الوسائل المتاحة لهم والإمكانيات التي يسخوها الكفار والمشركين لهم، ولازالوا ينظرون إلى أهل البيت وشيعتهم نظرة ربيية وتشكيك واستتكار، ولازالوا ينظرون إليهم نظرة تكفير وتفسيق، ولا يجرؤ أحد منهم أن يبحث في أهل البيت ومظلوميتهم، أو في حقهم وأحقيتهم، وكأن أصحاب شعار حسبنا كتاب الله الذين رخوا على رسول الله، ورفضوا وصيته، وحلوا رادة الله تعالى، كأنهم موجودون وعلى رأس السلطة الحاكمة، يهدون ويحرقون وينتهكون الحومات، ويبقرون بطون الحوامل، ويسجنون، ويختطفون، ويقتلون وينكلون بالمؤمنين والمؤمنات في كل مكان، بأبشع صور القتل والتكيل، فما نحن زى المجازر تلو المجازر ضد أهل البيت وأتباعهم وعلماءهم وشيعتهم ولا تجد

منكروا ينكر على المسلم قتل أخيه المسلم، فهاهم العلماء يستحلون دماء المسلمين فالتريخ يعيد نفسه، والجميع ساكتون عن الحق ومن لم يسكت يشمت، ومن يتكلم يُكفر ويُفسق المسلمين، والحال هو هو نفسه، فكما تمت مهاجمة بيت أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء بضعة النبي عليهما السلام، فما هي بيوت المؤمنين تهاجم في كل مكان في العراق وباكستان وأفغانستان وغوها من دول العالم الإسلامي، وكما اغتصبت الحقوق وانتهكت الحرمات بالأمس فما هي تغتصب وتنتهك اليوم، وكما قتل الإمام علي عليه السلام ولاقى ذلك العمل المقري التأييد والترحيب والقبول من طائفة كبيرة من المسلمين في ذلك الوقت، فإن علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام يقتلون اليوم بدم بارد، ويلقى ذلك العمل تأييدا واسعا من قبل المسلمين ولا ينكرونه، وكما قتل الإمام الحسين عليه السلام وقطعت رأسه وقتل أبناءه وأصحابه، يقتل المؤمنون اليوم كما الأمس، والمسلمون راضون بذلك، يتفجرون بعين الواضي والساكت، وبعين الشامت، وبعين اللامبالي الذي نسي الله تعالى فأنسأه الله نفسه، فمعاوية ويزيد وأشياخهم وزبانيتهم وأتباعهم هم أنفسهم اليوم وخورج الأمس هم خورج

الصفحة 180

اليوم، وواقع اليوم هو نفس واقع الأمس يتجدد في كل عصر وبأشكال متعددة تناسب كل زمان ومكان. بينما يعاني المؤمنون في كل مكان ويعيشون الغربة، حتى بين بني دينهم وجلدتهم وليس لهم ملجأ إلا الله تعالى الذي لا يخلف وعده، والذي سينصر المؤمنين المستضعفين، ويمن عليهم بالنصر والأمن بظهور الإمام الموعود المهدي المنتظر. اللهم عجل فوجه الشريف، ومن علينا بالفوج والنصر، فلقد وصل الظلم إلى أبعد مدى تعرفه العقول، وأنت يا الله الناصر والمستعان ولا حول ولا قوة إلا بك.

قال تعالى في سورة القصص الآية 5 **لنريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين}.**

الأئمة من أهل البيت وشيعتهم:

روى الصدوق عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين بن علي، قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله إنِّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، من العوة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفلقون كتاب الله ولا يفلقهم حتى يروا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه.

وكما عملت الغالبية من المسلمين على فصل الكتاب عن العوة الطاهرة، فإن هناك من عمل على تعزيز الصلة بينهما، والثبات على رادة الله تعالى ووصية رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتطبيقها في كل تواحي الحياة.

فمنذ أن أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام وبمحببتهم وولايتهم وإمامتهم، كان هناك العشرات من الصحابة الذين تشيعوا لأمر المؤمنين عليه السلام، استجابة للأمر الإلهي واتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومضى هذا الخط في السير على ولاية ومشايعة أهل البيت

الصفحة 181

عليهم السلام جيلا بعد جيل، لا يضرهم خذلان المتخاذلين ولا بغض المبغضين، ولا ظلم الظالمين، بل زادهم كل ما فعله أعداء الإِادة الإلهية صوا وثباتا وعزيمة على التمسك بالعروة الوثقى والسير على خط الهدى وسبيل النجاة. فقد قيد الشيعة أنفسهم بكل القيود الربانية التي فيها رضى الله سبحانه وتعالى، لا يخشون في الله لومة لائم، متحملين كل ما تحمله تلك القيود من تبعات، وتفوضه من واجبات في سبيل طاعة الله ورسوله، ونيل رضوان الله الأكبر، فولا محافظة أئمة أهل البيت على القوان وعلى السنة النبوية الصحيحة لضاعت لكان الدين ومعالم أحكام الدين، فهم أسباب الهدى ومنارات العلم من تمسك بهم فإنه لن يضل أبدا، وهذا يعني أنهم يمتلكون كل أسباب الهدى وعندهم كل معارف الدين التي يحتاجها المسلمون في كل زمان وفي كل مكان.

لقد شهد كل المسلمين بل وأصحاب الديانات الأخرى بأعلمية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من الإمام علي عليه السلام وحتى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله تعالى فوجه الشريف، وكذلك شهوا بعدلهم وورعهم وعباداتهم وتقواهم، وكل ما يخطر على البال من فضائل وأخلاق أو سلوك يدل على سمو أشخاصهم وأرواحهم، وقد شهد بذلك العدو قبل الصديق، وهذه كتب التريخ والسير بين أيدي كل المسلمين، لا يمكن أن تجد بها مذمة واحدة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، بل إنها تشهد بعلمهم وفقههم وورعهم، ومع كل ذلك فلم يأت بهم غير الشيعة أتباع أهل البيت عليهم السلام، الذين ثبتوا على محبتهم وولايتهم وبذلوا كل غال ونفيس في سبيل ذلك.

لقد تمس الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في العلم الرباني، وآتاهم الله تعالى من العلم الذي لم ينقطع عن مشكاة النور طرفة عين، ففي حين كان الخلفاء يمنعون الناس عن تدوين السنة النبوية ومعاني آيات الكتاب، لم ينقطع أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك، فقد شغلهم الصفق بالأسواق ولم ينشغل عليه السلام بذلك، كيف لا وهو الذي سبب لامة محمد ما يختلفون فيه من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي سيقا تلهم على التأويل كما قاتلهم

الصفحة 182

رسول الله صلى الله عليه وآله على التتويل، وهو الإمام الذي يُتقدى به، يقاتلُ من ورائه ويتقَى به، وهو الذي أمر الله تعالى بحبه وولايته وإمامته، فقد ملكه الله تعالى كل مقومات الإمامة التي توجب على كل المسلمين تقديمه في كل شيء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال تعالى في سورة يونس الآية 35 **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ**

تَحْكُمُونَ﴾.

وهذه كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة تعترف بوجود الصحيفة العلوية، التي دونها أمير المؤمنين عليه السلام بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وبخط أمير المؤمنين عليه السلام.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما بطرق متعددة ومتون مختلفة أحاديث الصحيفة العلوية الموجودة عند أهل البيت عليهم السلام، حيث اعترف كل علماء أهل السنة والجماعة بوجود تلك الصحيفة التي تحوي على كل الأحكام الشرعية ومعاني

الآيات القرآنية وأقروا بها بالرغم من محاولات التقليل من شأنها.

فعن يزيد بن شريك بن طلق قال: (أيت علياً رضي الله عنه على المنبر يخطب فسمعتة يقول: لا والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة).

وكذلك كان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يأخذون علمهم من إمام إلى إمام عن رسول الله، وكان الواحد منهم يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي وحديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله، فلم ينقطع علم الدين عنهم ولم يلجأوا للوأي أو القياس، ولم يثبت عنهم ولو حادثة واحدة قالوا فيها لا نوري، ولم يثبت عن أحد غوهم قال للناس بكل حواة وثقة قوية سلوني قبل أن تفقوني، ولم تستعص عليهم مسألة كما استعصت على غوهم عشوات المسائل، حتى شهد بذلك أبو بكر وعمر وغوهم، حيث شهنوا أمام الناس بذلك، فكثروا ما كان يقول أبو بكر ولا علي لهلك أبو بكر، وكذلك قالها عمر بن الخطاب ولا علي لهلك عمر، وقال لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وهناك عشوات

الصفحة 183

الشواهد من التريخ تجدها في كتب الحديث والسير تبين فضلهم وعلمهم وأعلميتهم وفقههم.

وليس الأمر مقتصر على الإمام علي عليه السلام، بل إن الأمر ينطبق على كل الأئمة عليهم السلام، فكان علمهم وفضلهم وفقههم وورعهم من الأمور المسلم بها عند كل الناس.

ولذلك فإن الشيعة طبقوا حديث الثقلين من خلال التمسك بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وأخذوا بضمانة عدم الضلال باتباع وصية رسول الله، وحافظوا عبر التريخ على ملازمة الكتاب والعتوة الطاهرة، ولم يستجيبوا لدعوات الفصل بينهما، ولم يقبلوا شعار حسينا كتاب الله، بل إنهم التزموا بأمر الله تعالى وأطاعوا رادته، فكانوا كما أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله خير البرية.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما قلت **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام (هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين).

وأخرج ابن مروييه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ألم تسمع قول الله: **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}** أنت وشيعتك ومو عدي ومو عدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غوا محجلين.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، وتقلت **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}**. فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل علي عليه السلام، قالوا: جاء خير البرية.

وروى في كنز العمال وغیره عن علي عليه السلام قال: قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنت وشيعتك في الجنة. وروى في كنز العمال، ومجمع الزوائد والطوائف وابن عساكر وغوهم، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي (يا علي، إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وفولينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف نورينا، وشيعتنا عن أيمننا وعن شمائلنا).

وروى في كنز العمال ومجمع الزوائد وغوهم عن عبد الله بن أبي نجي أن علياً أتى يوم البصير بذهب وفضة فقال: ابيضي واصفوي وغوي غوي، غوي أهل الشام غداً إذا ظهوروا عليك، فشق قوله ذلك على الناس، فذكر ذلك له، فأذن في الناس فدخلوا عليه، قال: إن خليلي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضيين موصيين، ويقدم عليك عدوك غضاب مقمحين، ثم جمع يده إلى عنقه يريد الإقماح.

وروى في مجمع الزوائد أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال (يا رسول الله أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قال: فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز منها، وكأني بك وأنت على حوضي تنود عنه الناس، وإن علياً الأبريق مثل عدد نجوم السماء، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة).

روى الحاكم في المستدرک عن ميناء بن أبي ميناء، مولى عبد الرحمن بن عوف قال خنوا عني قبل أن تشاب الأحاديث بالأباطيل، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة).

روى القوطي في الجامع لأحكام القرآن أن الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام قال (نحن وشيعتنا أصحاب اليمين). لقد ركوا سفينة أهل البيت عليهم السلام، فكانوا من الناجين ولذلك نطلق عليهم الفرقة الناجية، وطبقوا حديث الولاية وحديث الثقلين، في حين نسي الآخرون

أهل البيت ونسوا الأحاديث التي تدعوا لولايتهم، ونسوا الآيات التي تشير إلى فضلهم وعلو مقامهم، وأذكر مرة أن أحدهم قال لي إن الشيعة يقولون في الأذان أن علياً ولي الله، فقلت وأنا أشهد بذلك ويجب عليك ذلك أيضاً، فقال وكيف ذلك، قلت ألم تسمع بحديث الولاية، قال لا، فسودت عليه الحديث مع بيان تواتره عند كل طوائف المسلمين، فأجاب بأنه أول مرة في حياته يعلم بوجود مثل هذا الحديث عندنا، فقلت له هناك عشرات الآيات والأحاديث لو قوتها عليك لقلت مثل جوابك هذا، لأن حقيقة الفرقة الناجية والتي غيبتها علماء أهل السنة والجماعة اتباعاً لمعاوية وأشياخه وتلامذته، لو ظهرت لأطفا نورها كل شيء، ولظهرت الحقيقة التي غيبتها أعداء الدين، ولما تأخر الناس عن اتباعها والإستضاءة بنورها والإهتمام بهديها، ولذلك فإن الشيطان وأعدائه يحلونها بكل قوة، وهو ما تشاهده اليوم من قتل وتدمير ومؤامرات تحاك ضد الشيعة في العواقر وغورها من بفاع الأرض، وأما بقية المسلمين فلقد انتهى منهم إبليس منذ أن فصلوا الكتاب عن العزة الطاهرة ورفضوا ضمانة الهدى

فسلروا في طريق الضلال.

وعليه فإن خط التشيع ومن تبناه منذ أن دعى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس إلى الإلّوام به وأوصاهم بالتمسك به، هو الخط الذي الذي حافظ على صلة الوصل بين الكتاب والعتوة الطاهرة، وتمثل بوجود الأئمة الأثني عشر الذين أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمامتهم وسماهم بأسمائهم، وأوضح أنهم الأمام علي والحسن والحسين وتسعة من أبناء الحسين عليهم الصلاة والسلام آخوهم الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فوجه الثويرف، وفوج عن الأمة بظهوره، حتى تملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً وضلالاً منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وانتشار دعوات التفويق بين الكتاب والعتوة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام إلى يوم قيام القائم عليه السلام، حيث لم تبق فئة من المسلمين تعمل على التمسك بوصية رسول الله والدفاع عن رادة الله تعالى ولاية أهل البيت وإمامتهم سوى الشيعة، الذين

الصفحة 186

والوا أمير المؤمنين وأطاعوا الله ورسوله فيه وفي الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، واتبعوهم واتبهوا نهجهم، واستضاعوا بنورهم واهتوتوا بهديهم، وثبتوا وصبروا على ذلك طول السنين ولاوا على صوهم وثباتهم حتى يظهر الله وعده ويعز المؤمنين بنصره، إنه لا يخلف الميعاد.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة له: اللهمّ واني لأعلم أن العلم لا يبرز كله ولا ينقطع مواده، وانك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور، كيلا تبطل حججك، ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وكم؟ أولئك الأقلون عدداً والأعظمون عند الله جلّ ذكره قوا، المتبعون لقادة الدين، الأئمة الهادين الذين يتأدون بآدابهم وينهجون نهجهم.

فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الإيمان، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستلثنون من حديثهم ما استوعر على غورهم، ويأمنون بما استوحش منه المكذّبون وأباه المسوفون، أولئك أتباع العلماء، صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبرك وتعالى وأوليائه، ودانوا بالتقية عن دينهم والخوف من عوهم، فأرواحهم معلقة بالمحل الأعلى، فعلموهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل، منتظرون لدولة الحق، وسيحقّ الله الحقّ بكلماته ويمحقّ الباطل، ها، ها، طوبى لهم على دينهم في حال هدنتهم، ويا شوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا الله وإياهم في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ونريّاتهم.

قال تعالى في سورة النور الآية: 55 **لوعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي رضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا}.**

الصفحة 187

حتى يردا علي الحوض

ذكرنا فيما سبق أن البداية كانت منذ بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، عندما نصب أمير المؤمنين علياً عليه السلام خاصة عندما قال من كنت هواه فهذا علي هواه، اللهم وال من والاه واعد من عاداه، وانصر من نصوه، واخذل من خذله، وعندما أعلن للمسلمين أن علياً عليه السلام وصيه وخليفته من بعده.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى ومن خلال حديث الثقلين وأحاديث أخرى غره بأنه ترك في المسلمين من بعده كتاب الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام وأمر بالتمسك بهما معاً، وربط الكتاب والعزة الطاهرة بالحوض، بعد أن بين ماهية الحوض وأهميته بالنسبة للناس في يوم الموقف العظيم.

ثم أعلن صلى الله عليه وآله أن البداية كانت من هناك من حيث ابتدأت رحلة الثقلين معاً الكتاب والعزة الطاهرة، وأعلم الناس أن الكتاب والعزة - أي الثقلين - أثناء تلك الرحلة لن يفترقا ولن يتوقفاً، وذكرنا عن أحوال من بقي متمسكاً بإرادة الله تعالى ووصية رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وكذلك أحوال من خطط وعمل ولال على محاربة الإرادة الإلهية ووصية رسول الله من أجل فصل الكتاب عن العزة الطاهرة والمحافظة على عدم الجمع بينهما.

وكذلك بينا أن التمسك بالثقلين هو أهم سبب من أسباب النجاة، وأفضل ضمانة لإجتتاب طويق الضلال والإلزام بخط الهداية، من أجل الوصول إلى الغاية التي أعلن عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد تلك البداية التي ابتدأها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي رحلة الثقلين والتشيع لأمير المؤمنين عليه السلام والتمسك بخط الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

ونصل هنا في هذه المرحلة من نظراتنا وبحثنا في حديث الثقلين، إلى نهاية الغاية التي توصل إليها رحلة الثقلين وهي الحوض، حيث اللقاء هناك والورود هناك على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، فتكشف الحقائق وتتوضح بشكل علني وملموس، فينقسم الناس إلى فئتين فئة الوردين

الصفحة 188

الشربين الذين يستقبلهم النبي محمد وأمير المؤمنين علي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وأما الفئة الأخرى فهم الذين ينودهم أمير المؤمنين عليه السلام ويمنعهم من الورود على الحوض، ويحال بين الحوض وبينهم، فيحرمون من الشرب منه. ولذلك فإن من تمسك بالثقلين في الدنيا والتزم رادة الله تعالى وطبق وصية رسول الله وعرف حقيقة الحوض في الدنيا، فإنه لن يضل طريقه في الدنيا ولن يضل طريق الورود على رسول الله وأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام في الآخرة، وكذلك من شرب من حوض الدنيا وكوثرها فإنه لا محالة ورد على الحوض في الآخرة وشرب منه شربة لا يظماً بعدها أبداً.

وأما من ترك رادة الله تعالى ووصية رسوله ولم يتمسك بالثقلين في الدنيا، وسلك طريقاً غير مأمون العاقبة، ولم يشرب من حوض علم وهداية أهل البيت في الدنيا فإنه سوف يضل طريق الحوض في الآخرة، ولن يشرب منه وسوف يذاد عنه هناك، حيث ترك ضمانة الهداية وضممانة الورود على الحوض، ولم يتمسك بما أمر الله ورسوله بالتمسك به، وترك طاعة الله

ورسوله، فمن ترك تطبيق مضامين حديث الثقلين فإنه هالك لا محالة ولن يرد على الحوض.

علي ساقى الكوثر:

وهنا يجب أن نترك أن الأدلة الشرعية عند كل طوائف المسلمين جاءت لتؤكد أن الإمام علي عليه السلام هو ساقى الكوثر وهو الذي يعرف أعداءه ومحبيه ويميز بينهم حيث يقرب المحب الموالي وينود المبغض المنافق، وسأذكر بعضاً من تلك الأدلة التي تؤكد هذا المعنى.

روى في مجمع الزوائد أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (يا رسول الله أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟). قال: فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز منها، وكأني بك وأنت على حوضي تنود عنه الناس، وإن علي الأبريق مثل عدد نجوم السماء، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة ثم قرأ رسول الله صلى الله

الصفحة 189

عليه وآله وسلم: **{إخواناً على سرر متقابلين}** لا ينظر أحد في قفا صاحبه. ورواه الطواني في الأوسط.

وروى المتقي الهندي في كنز العمال عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: (أنت أمامي يوم القيامة، فيدفع إلي لواء الحمد فأدفعه إليك، وأنت تنود الناس عن حوضي).

وروى في مجمع الزوائد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة، تنود بها المنافقين عن حوضي). ورواه الطواني.

وروى في مجمع الزوائد عن عبد الله بن إجله بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو على المنبر يقول: (أنا أنود عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي هاتين القصورتين الكفار والمنافقين كما تنود السفاة غريبة الإبل عن حياضهم). ورواه الطواني

علي قسيم الجنة والنار:

إن كل ما ورد يبين أن قضية ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته هي محور أساسي من محاور يوم القيامة، وهذا ما غفل عنه خلق كثير، حتى أن المسلمين غفلوا عن أن أمير المؤمنين عليه السلام هو قسيم الجنة والنار، أي به يتحدد من كان من أهل الجنة ومن من أهل النار. حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق).

وبالتالي صار من يحب علياً وبواليه في الجنة، ومن يبغضه ويعاديه في النار.

روى في كنز العمال والمناقب للخوارزمي والدارقطني في العلل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال (أنا قسيم

النار).

قال بن الأثير والقتبي (رأد أن الناس فويقان: فويق معي وهم على هدى، وفويق علي وهم على ضلال، فأنا قسيم النار

وروى بن كثير في البداية والنهاية وفي فائد السمطين عن علي عليه السلام أنه قال (أنا قسيم النار، إذا كان يوم القيامة قلت: هذا لك وهذا لي).

وروى في بصائر الدرجات عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال (إذا كان يوم القيامة وضع منبر واه جميع الخلائق، فيصعد عليه رجل، فيقوم عن يمينه ملك، وعن يسره ملك، ينادي الذي عن يمينه يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب عليه السلام يُدخل الجنة من يشاء، و ينادي الذي عن يسره يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب عليه السلام يُدخل النار من يشاء).

وروي في بصائر الدرجات عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال علي عليه السلام (أنا قسيم الجنة و النار، أدخل أوليائي الجنة، و أدخل أعدائي النار).

وروى في بصائر الدرجات عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (أنا قسيم الله بين الجنة و النار، لا يدخلهما داخل إلا على قسمين و أنا الفاروق الأكبر).

وروى في كشف الغمة أن المأمون قال للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، (يا أبا الحسن أخونني عن جدك علي بن أبي طالب عليه السلام، بأيّ وجهٍ هو قسيم الجنة والنار. فقال: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حُبّ علي إيمان وبغضه كفر. فقال: بلى. قال الرضا عليه السلام: فقسّم الجنة والنار. فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن أشهد أنك ورث علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

وروى في نثر الدرر سئل أحمد بن حنبل عن قول الناس: علي قسيم الجنة والنار فقال (هذا صحيح لأن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، والمؤمن في الجنة والمنافق في النار).

وعلى الأعراف رجال:

ومن أهم مشاهد يوم القيامة التي تبين حقيقة ما ذكرنا، وتبين أهمية تطبيق حديث الثقلين في الدنيا، وأهمية ولاية أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وأن تحقيق إمامة أهل البيت في الدنيا هو النجاة في القيامة، ذلك المشهد الذي تصفه سورة الأعراف بشكل واضح جلي، حيث يصف نور أهل البيت عليهم السلام ومحاورتهم الناس يوم القيامة، ويبين نورهم في الأخذ بأيدي شيعتهم إلى الجنة أمام أعدائهم، بعد تلك المحلورة.

وهذه الآيات هي من الآيات التي حاول دعاة فصل الكتاب عن العروة الطاهرة صرف معناها عن المعنى الحقيقي لها،

بالرغم من أنها واضحة المعنى والدلالة في أنها تشير إلى مقام الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

قال تعالى في سورة الأعراف الآيات: 46 - 49 **لوبيئهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم، وناووا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون، وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون، أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون}.**

وعلى الأعراف رجال أي على أعراف السور؛ وهي شرفه. ومنه عرف الفوس وعرف الديك.

روى عبدالله بن أبي يزيد عن ابن عباس أنه قال: الأعراف الشيء المشرف. وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال:

الأعراف سور له عرف كعرف الديك. والأعراف في اللغة: المكان المشرف؛ جمع عرف.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله **{لوبيئهما حجاب}**

قال: هو السور وهو الأعراف، وإنما سمي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس.

الصفحة 192

روى في المناقب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام (أنت يا علي والأوصياء من ولدك أعراف

الله بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتوه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه).

وسئل الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الآية **{وعلى الأعراف رجال}** فقال هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله.

وذكر الثعلبي بإسناده عن ابن عباس في قول الله عز وجل: **{وعلى الأعراف رجال}**. قال: الأعراف موضع عال على

الصراط، عليه العباس وحزرة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، رضي الله عنهم، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه

ومبغضهم بسواد الوجوه.

وذكر الشوكاني في فتح القدير في قوله تعالى **{وعلى الأعراف رجال}** الأعراف جمع عرف وهي شرفات السور المضروب

بينهم ومنه عرف الفوس وعرف الديك والأعراف لغة المكان المرتفع، وهذا الكلام خرج مخوج المدح كما في قوله تعالى

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وقال الشوكاني: وقد اختلف العلماء في أصحاب الأعراف من هم؟ فقيل هم الشهداء. وقيل هم فضلاء المؤمنين فوغوا من

شغل أنفسهم وتوغوا لمطالعة أحوال الناس. وقيل هم قوم أنبياء. وقيل هم العباس وحزرة وعلي وجعفر الطيار يعرفون

محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضهم بسوادها.

ونعود إلى تفسير الآيات، يقول تعالى **{وعلى الأعراف رجال}** أي على شرفات سور الأعراف وعلى أعلى وأشرف موقع

منه، وهذا يدل على رفعة وعلو مقام من يقف عليه، ويشرف على الناس منه، ولذلك قال في وصفهم أنهم رجال، وكلمة رجال

هنا هي على سبيل التذليل بنوعية من يقف على شرفات الأعراف، وأنهم من نوع خاص من الرجال فهي على سبيل المدح،

ففي القرآن الكريم غالباً ما تأتي كلمة رجال وواد بها معنى شوعياً خاصاً كآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

{يعرفون كلا بسيماهم} أي أنه من أوصاف أولئك الرجال أنهم خواء في أحوال الناس، يعرفون المحب من المبغض، وهذا

والإمام علي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وإلى ذلك أشرت الأحاديث الشريفة عند كل المسلمين، فيعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسوادها، قال تعالى في سورة آل عمران الآيات 106-107 **{يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فأنقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون}**.

ثم يقول تعالى **{واناؤوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون}** أي أن أصحاب الأعراف من الأئمة من آل محمد ينادون على المؤمنين، ويحيونهم في ذلك الموقف العظيم، ويُطمئنون المؤمنين أتباعهم وأشياهم وكذلك المؤمنين الذين استوت سيئاتهم وحسناتهم، بأن شفاعة أهل البيت سوف تتألمهم، ويدخلون الجنة بإذن الله بعد أن يبذل الله سيئاتهم حسنات بسبب حبهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام.

قال تعالى في سورة الفرقان الآية: 70 **{إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما}**.

روى في تفسير الصافي عن الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله، حبنا أهل البيت يكفر الذنوب، ويضاعف الحسنات، وإن الله ليتحمل من محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد، إلا ما كان منهم على إضوار وظلم للمؤمنين، فيقول للسيئات كوني حسنات..

وروى في الأمالي عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل **{فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}**، فقال يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه، لا يطلع على حسابه أحدا من الناس، فيعفه ذنوبه حتى إذا أقر بسيئاته، قال الله عز وجل للكتابة بدلوا حسنات وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذ ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنة، فهذا تأويل الآية وهي في المذنبين من شيعتنا خاصة.



لكن أولئك المذنبين من شيعة أهل البيت، لم يتكلموا على أعمالهم في دخول الجنة، وإنما كانوا يطمعون بشفاة أئمتهم عليهم السلام، التي كانوا يطمعون بها في الدنيا وفي الموقف العظيم، والتي تؤهل الموالين إلى دخول الجنة، ولكنهم كانوا ينتظرون انتهاء الحوار بين أئمتهم وبين أعدائهم الظالمين لهم، وفي هذه الأثناء كانوا ينظرون إلى أصحاب النار أعداء الإرادة الإلهية وأعداء وصي رسول الله الذين ظلموا وآووا الله ورسوله في أهل البيت، **{وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين}** أي ربنا وإن كنا مقصوين في كثير من الأعمال فلقد كنا من المؤمنين الذين أطاعوا رادتك وطبقوا وصية رسولك ووالينا أمير المؤمنين وعادينا أعداءه، ربنا فلا تجعلنا مع أولئك الظالمين الذين ظلموا محمداً وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

{ونادى أصحاب الأعواف} والمنادي هنا هم آل محمد الذين هم أصحاب الأعواف وسادته **{جبالاً يعرفونهم بسيماهم}** لأن أصحاب الأعواف أهل العلم والمعرفة، يعرفون محبيهم من مبغضيهم، فينادون على رجال من عتاة مبغضيهم وعلى ظالميهم وظالمي شيعتهم، يعرفونهم بعلامات معينة منها سواد وجوههم، فيقولون لهم **{ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون}** أي ما الذي استفدتم من جمعكم الذي جمعتموه ضد أمير المؤمنين علي عليه السلام في المعرك التي جمعتم وحشدتم ضده، وما أغنى عنكم جمعكم الذي جمعتم ضد الإمام الحسن وضد الإمام أبي عبد الله الحسين في كربلاء، وما أغنت عنكم جموعكم التي جمعتموها ضد أهل البيت وضد فكرهم وثقافتهم المحمدية البيضاء، وقد كنتم استكبرتم وترفعتم عن طاعة الله في رادته، وتوكلتم وصية نبيكم في إمامة أمير المؤمنين، ونقضتم كل العهود التي قطعتموها لرسول الله، ثم لم تستكفوا بذلك بل إنكم ظلمتم أهل البيت وقتلتموهم، وظلمتم أتباعهم، واستهزأتم بهم، وكفرتوهم وصددتم الناس عنهم وعن سبيلهم. لكنهم صبروا وثبتوا على إيمانهم مقابل ظلمكم وحشودكم وجمعكم، إنهم اليوم هنا بعد رحلة طويلة من الإيمان والإخلاص والولاء والطاعة والإلزام بالثقلين وبحب أصحاب

وسادة الأعواف أهل البيت عليهم السلام، ثم يقول الأئمة عليهم السلام للظالمين والمنافقين، وهم يشيرون إلى المؤمنين أشياعهم **{أهلؤاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته}** أي أيها الظالمون لمحمد وأهل بيته وشيعتهم، أهلؤاء أي شيعة أهل البيت، الذين استهزأتم بهم، وحكمتم عليهم بالكفر، واستبعدتم أن تتألمهم رحمة الله تعالى، هاهم انظروا إليهم، هلؤاء هم شيعة محمد وأهل بيت محمد.

ثم يتوجه أصحاب وسادة الأعواف بالكلام إلى شيعة أهل البيت عليهم الصلاة والرحمة والسلام، قائلين لهم **{ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون}**.

وهنا ينتهي هذا المشهد الرائع من سورة الأعواف الذي يقسم فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام الناس يوم القيامة، فيدخل المحبين إلى الجنة والمبغضين الظالمين إلى النار، فكما وصفت الأحاديث التي ذكرنا جملة منها أنه عليه السلام قسيم الجنة

والنار، وكانت هذه الآيات من سورة الأعراف تؤكد نفس المعنى وبشكل أوسع.

أُمتنا من أهل البيت وفدنا إلى الله:

ثم إن كل الناس يوم القيامة يأتون على الحوض، يتقدمهم أئمتهم الذين كانوا يقتنون بهم في الدنيا، فمن كان إمامه في الدنيا علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه في يوم القيامة أيضا إمامه يرد عليه الحوض ويعرفه، ويقدمه ويسقيه، فإمامه هو صاحب الأمر على الحوض، وهو الساقى بأمر الله عليه، الذي يقوب من تمسك به ووالاه واهتدى بهديه في الدنيا كما أمر الله تعالى ورسوله الكريم. وينود من خالف أمر الله وتوك وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وتوك التمسك ولايته وإمامته عليه السلام في الدنيا أثناء رحلة الثقلين إلى الحوض.

قال تعالى في سورة الإسراء الآية: 71 **{يَوْم نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ}**.

الصفحة 196

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مديني، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: **{يَوْم نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ}** قال: إمام هدى وإمام ضلالة.

وروى السيوطي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال **{اجعلوا أئمتكم خيلكم؛ فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم}**.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **{أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفنون}**.

فالقضية يوم القيامة ليست الإيمان بنو محمد صلى الله عليه وآله، فكل المسلمين يوم القيامة يقبلون على الله تعالى وهم مؤمنون بنو محمد، ولا يختلف في ذلك أحد، وإنما القضية يومئذ في مضمون الرسالة المحمدية وهو الإمامة وما يتعلق بها، وهي القضية التي اختلف المسلمون فيها، وهو ما بينته الآية السابقة والحديث المذكور.

أحوال المخالفين على الحوض:

تلك كانت بعض أحوال من أقبل على الله يوم القيامة مطيعاً لإرادة الله تعالى متمسكا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله ملتوماً بإمامة أمير المؤمنين علياً عليه السلام والأئمة من ولده، راكبا سفينة أهل البيت عليهم السلام مستنواً بمصابيح الهدى مقتدياً بأعلام الورى محبا لهم ولأوليائهم، معاديا لأعدائهم، لا يخشى في الله لومة لائم.

وأما بالنسبة لأحوال المخالفين، الذين لم يطيعوا الله تعالى في رادته، ولم يلتفتوا إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وتوكلوا التمسك بأهل البيت وإمامتهم، ونقضوا عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل بيعة الغدير وبعدها، فإن حالهم مختلف عن حال المؤمنين، وسيكون ورودهم على الحوض وكشف أحوالهم هناك صدمة شديدة لمن والاهم، واقتدى بتوكلهم ورفضهم ولاية أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، كما أمر الله تعالى وأوصى رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الصفحة 197

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله كثوا ما ينبه المسلمين لتلك الحقيقة في كل الأحوال وفي الحل والتحال، وهي

حقيقة الورود على الحوض، وأهمية ذلك اليوم العظيم وعلاقة الورود على الحوض والشرب منه مع أهل البيت والتمسك بهم وولايتهم ومتابعتهم والإقتداء بنورهم وهديتهم.

ومما يدل على أهمية أية موضوع، كثرة التحدث عنه ولفت النظر إليه، وهذا ما أكدت عليه مئات الروايات التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي ربطت موضوع الحوض وعلاقته ولاية أهل البيت عليهم السلام، وأن العنوان الكبير لصحائف الناس يوم القيامة وعلى الحوض هو حب علي وولايته أو بغض علي ومعاداته.

فقد روى في كنز العمال، والسيوطي في الجامع الصغير، والمنلوي وغوهم كثير عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب).

ولذلك فإنني سوف أتعرض لبعض الروايات التي تتعلق بالمعنى الذي ذهبنا إليه.

وتبين كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يربط عشرات الأوامر والنواهي بقضية الحوض والورود عليه أو التحذير من عدم الورود عليه وإليك جملة منها على سبيل المثال وليس الحصر.

روى السيوطي في الجامع الصغير عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله (عفا تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تيؤكم أبناءكم، ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه فلم يقبل عذره لم يرد علي الحوض).

وروى الحاكم وغوه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (إنه سيكون أمراء من بعدي فلا تصدقوهم بكذبهم، ولا تعينوهم على ظلمهم، فإنه من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فلن يرد علي الحوض).

وروى في كنز العمال عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (صنفان من أمتي لا يردان علي الحوض ولا يدخلان الجنة: القدرية والموجئة).

وروى في كنز العمال عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اسموا قلنا سمعنا قال: اسموا ثلاثاً، إنه سيكون عليكم أمراء

الصفحة 198

يكذبون ويظلمون فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولا أنا منه ولن يرد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو ولد علي الحوض).

وروى في كنز العمال عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ليتني رى إخواني وربوا علي الحوض، فأستقبلهم بالآنية فيها الثواب فأسقيهم من حوضي قبل أن يدخلوا الجنة، قيل: يا رسول الله، ألسنا أخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواني من آمن بي ولم يرني).

وروى السيوطي في الجامع الصغير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لتودحن هذه الأمة على الحوض زردحام إبل وردت لخمس).

وروى الحاكم في المستترك عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أولكم ولدا

على الحوض، أولكم إسلاما، علي بن أبي طالب).

وروى البخاري في صحيحه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للأَنْصار (إنكم سترون بعدي أَوْة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على الحوض، قال أنس: فلم نصبر).

كانت تلك بعض الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يحث الناس على أن يهتموا بقضية الورود على الحوض في الآخرة، حيث أظهر صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، ارتباط الحوض ارتباطا وثيقا مع أمير المؤمنين عليه السلام ومع أهل البيت ومع أهم قضية محورية عند المسلمين وهي ولاية أهل البيت وإمامتهم، ولذلك قال في حديث الثقلين عن الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام أنهما لن يفترقا ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، وأن القضية الأساسية في ذلك الموقف العظيم، هي مظلومية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد ورد في صحاح ومسانيد أهل السنة والجماعة وبشكل لا يقبل التأويل ما يبين ذلك المعنى ويؤكد عليه.

الصفحة 199

فقد روى البخاري في صحيحه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة).

وأما لوصف حال من يذاد عن الحوض من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحال من غير وبدل ونقض عهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم يتمسك بإمامته وإمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، بل وعمل على طمس حقوقهم وأحقيتهم، وظلمهم وأذاهم، وعمل على الفصل والتفريق بين الكتاب والعترة الطاهرة، وصد عن سبيل إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فإليك جملة يسوة مما ورد عند أهل السنة والجماعة من أحاديث تبين حقيقة أمر أولئك.

روى الطوي في جامع البيان عن قتاده، في قوله تعالى: **{يوم تبيض وجوه وتسود وجوه}** ... الآية، لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون، ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: والذي نفس محمد بيده، ليردن علي الحوض ممن صحبني أقوام، حتى إذا رفعوا إلي رؤيتهم اختلجوا دوني، فأقولن رب أصحابي أصحابي، فليقالن إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك. وقوله: **{وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله}** هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله، قال الله عز وجل: **{ففي رحمة الله هم فيها خالدون}**.

وروى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يردن علي الحوض رجال من أصحابي، فيحلون عنه، فأقول: يارب أصحابي؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبهم القهوى).

وروى مسلم في صحيحه عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي، اختلجوا دوني، فأقولن أي رب أصحابي أصحابي، فيقالن لي، إنك لا تنوي ما أحدثوا بعدك).

وروى البخاري في صحيحه عن أبي حزم قال: سمعت سهل بن سعد يقول:

سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أنا فوطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظماً بعده

أبدأ، ليردن علي أقوام أعرفهم

الصفحة 200

ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم). قال أبو حزم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت

سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخوري لسمعته يزيد فيه قال: (إنهم مني، فيقال: إنك لا تتوي ما بدلوا

بعدك، فأقول: سحفاً سحفاً لمن بدل بعدي).

وروى أحمد في المسند عن أبي سعيد الخوري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (فأقول أصحابي أصحابي فقيل إنك

لا تتوي ما أحدثوا بعدك قال فأقول بعدا بعدا أو قال سحفاً سحفاً لمن بدل بعدي).

وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنكم محشورون حفاة عواة غولا، ثم وأ **كما**

بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين . وأول من يكسى يوم القيامة إواهيم، وإن إناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات

الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم زالوا مرتدين على أعقابهم منذ فرقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح:

لو كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم - إلى قوله - الحكيم.

لاحظوا الروايات بشكل دقيق ومنصف، إنها تبين نوعية أولئك الذين ينودهم أمير المؤمنين عليه السلام عن الحوض في

القيامة، إنهم كانوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين رأهم في حياته وعاش معهم وصحبهم، وهم الذين

عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الثامن عشر من ذي الحجة يوم خطبة الغدير، عندما نصب رسول الله صلى الله

عليه وآله أمير المؤمنين علياً عليه السلام إماماً لكل المسلمين من بعده، فبايعه المسلمون على ذلك، لكن الكثير من الصحابة

انقلب على تلك البيعة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وغيروا وبدلوا ونقضوا عهودهم، وأنكروا ما عاهدوا الله

ورسوله والمؤمنين عليه، وعملوا على التفرقة بين الكتاب والعتوة، وأعلنوا ذلك عندما رفعوا شعار حسبنا كتاب الله، ونسوا

حظاً مما ذكروا به، ورفضوا إمامة أمير المؤمنين عليه السلام التي كانت عن رادة إلهية صريحة لطالما بينها رسول الله صلى

الله عليه وآله من بداية بعثته وحتى آخر لحظة من حياته.

الصفحة 201

قال تعالى في سورة المائدة الآية 13 **لونسوا حظاً مما ذكروا به** . روى الطوي وغوه في معنى الآية عن الحسن، قال:

تركوا عوى دينهم ووظائف الله جل ثناؤه التي لا تقبل الأعمال إلا بها.

وروى السيوطي والطواني وغوهما كثير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أوثق عوى الإيمان

الموالة في الله، والمعافاة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز وجل).

أما فيما يتعلق بنقض العهود وعوى الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد وردت عشرات الآيات

والأحاديث في ذلك أقدم جملة مختصرة جدا منها.

روى الحاكم في المستدرج عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لتنقضن عوى الإسلام عروة عروة، وليكونن أئمة مضلون، وليخرجن على أثر ذلك الدجالون الثلاثة). (وروى أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرج والسيوطي وصححه عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لتنقضن عوى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، و آخرهن الصلاة).

وقال تعالى في سورة البقرة الآية: 27 **{الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون}.**

ولذلك كانت تلك الأحاديث التي ذكرنا قسما منها، تبين حال أولئك الصحابة المبدلين ومن اقتدى بهم ممن جاء بعدهم، حيث تصف الأحاديث طرد أولئك عن الحوض، لأنهم رفضوا الورد عليه في الدنيا وفرقوا الناس عنه، وصنوا عن سبيله، فهم اليوم يذاون عن الحوض في الآخرة ويحال بينهم وبينه، وتتكشف أحوالهم على حقيقتها في ذلك الموقف العظيم، حيث ينادى على الملاء هناك، أن هؤلاء غيروا وبدلوا بعد رسول الله، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم، سحقا سحقا.

الصفحة 202

والعجيب في الأمر أن كل تلك الأحاديث التي تدعوا للتمسك بأهل البيت عليهم السلام، والتي تربط بين الحوض وأهل البيت، وتلك التي تبين حال المخالفين، قد سمعها ووعاها أولئك الصحابة ومن تبعهم، لكنهم أصروا على محاربة الإرادة الإلهية ووصية رسول الله، وكان مهمهم العمل على فصل وتشنيت أمر الله والصد عنه، ولولا إرادة الله تعالى والتأكيد من رسول الله كما في حديث الثقلين على أن الكتاب والعروة لن يفترقا ولن يتفوقا حتى يردا على رسول الله وهو على الحوض، لنجح أولئك في رادتهم، وانتهى أمر الدين إلى أبد الأبد.

لكن تمسك أهل البيت وشيعتهم بالكتاب والعروة الطاهرة معا والعمل على حمايتهما والدفاع عنهما، هو الذي أظهر حقيقة تلك الإرادة الإلهية وإظهارها في كل زمان ومكان، فإن القوة لله جميعا وهو فوق كل ذي علم عليم، وبقيت الحقيقة واضحة المعالم، بأن كتاب الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام لن يتفوقا حتى يردا على الحوض معا، ولن تغلح شعرات المبغضين، ولا مخططات الحاسدين، ولا كل ما فعلوا للصد عن سبيل أهل البيت عليهم السلام، ولينصون الله من ينصوه، ويقف معه لنصوة رادته، ورفع شأن من رفع الله شأنهم، يوالي من والوا، ويعادي من عادوا، وسوف يكون إن شاء الله تعالى من الولدين على الحوض، الشربيين منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

واني سائلكم كيف تخلفوني فيهما

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا أول وافد على الغريز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي).

بعد أن بين رسول الله صلى الله عليه وآله الإرادة الإلهية، وأوصى المسلمين بالتمسك والعمل بها، وحث على حب ومودة

البيت، أولهم أمير المؤمنين وآخهم الإمام المهدي عليهم جميعا أفضل الصلوات وأتم التسليم، وأمر الناس بمتابعتهم والإقتداء بهديهم، وبين أنهم سبيل النجاة، ومن تمسك بهم وركب سفينتهم فإنه لن يضل أبدا، ثم بين رسول الله صلى الله عليه وآله بعد كل ذلك البيان الواضح أن الإرادة الإلهية في أن الكتاب والعزة الطاهرة لا يمكن لهما أن يتفوقا، ولا يستطيع أحد مهما فعل أن يفوقهما.

ثم يكمل رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك البيان الشافي وصيته من خلال حديث الثقلين، فيبين أنه يوم القيامة وعندما يرد الكتاب والعزة الطاهرة من أهل البيت على رسول الله على الحوض، حيث أنهما أول الوردين، سوف يسأل المسلمين في ذلك الموقف العظيم وبتكليف من الله تعالى عن الكتاب والعزة، حيث يكون السؤال الأساسي والمصوي هناك، كيف أخلفتوني في أهل بيتي؟ وماذا فعلتم بوصيتي؟ هل أطعتم رادة الله تعالى وطبقتموها؟ ماذا فعلتم من بعدي في أهل بيتي؟ من منكم أيها المسلمون والاهم ووالى أولياءهم، وعادى أعداءهم؟ من منكم نصوهم ونصر أولياءهم؟ من منكم عادى أهل البيت وظلمهم وآذاهم، ووالى أعداءهم؟ من منكم خذل أهل البيت ولم ينصوهم، بل وصد عن سبيلهم؟ من منكم حارب رادة الله تعالى ووصية رسوله في ولاية وإمامة أهل البيت؟ من منكم أوفى بعهده مع الله تعالى، ومن منكم نقض عهده وأنكوه؟ إذن علينا أن ننتبه إلى أن السؤال سوف يتركز على حب وولاية وإمامة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وعن الرواة من أعدائهم، لأنه وكما ذكرنا في البحث السابق أن أمير المؤمنين عليه السلام هو قسيم الجنة والنار، وأن عنوان صحيفة المؤمن حب علي عليه السلام، وأن حبه إيمان وبغضه كفر ونفاق، وأنه عليه السلام أول من يجثو للخصومة يوم القيامة، يخصم أعداءه ومبغضيه وظالميه الذين سلوا حقه وأنكروه، ورفضوا الاعتراف بحقوقه وأحقيته، وتكفروا نعمة الله عليهم وقابلوها بالجحود والنكران والكفر.

إنهم سوف يسألون هناك عن وليهم وإمامهم وولي نعمتهم، عن أمير المؤمنين وعن فاطمة الزهراء وعن الحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، وعن الأئمة من أهل البيت التسعة المعصومين من نزية الحسين عليهم السلام، ولن يكون هنالك مجال لنكران الحقيقة وطمسها وإخفاءها عن الناس، بل إن الحقيقة هناك هي التي ستطغى على أجواء ذلك الموقف العظيم، فمن أحسن في الدنيا فقد أحسن لنفسه ومن أساء فعليها، وما الله بغافل عما فعل ويفعل الظالمون.

ولقد بينت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة موضوع السؤال هناك من خلال نصوص متعددة ترتبط كلها ارتباطا وثيقا بعبارة حديث الثقلين، نبين بعضا منها حتى يستطيع القارئ رؤية الارتباط الوثيق بينها، وتعظم القناعة في محورية حديث الثقلين ومركزيته في العقيدة والأحكام الإسلامية.

يقول الله تعالى في سورة الصافات. الآيات 22- 35 {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله

فأهدهم إلى صراط الجحيم، وقفوهم إنهم مسؤولون، ما لكم لا تناصرون، بل هم اليوم مستسلمون، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قالوا بل لم تكونوا مؤمنين، وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين، فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون، فأغويناكم إنا كنا غاوين، فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون، إنا كذلك نفعل بالمجرمين، إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون}.

روى القمي في تفسير قوله تعالى {احشروا الذين ظلموا}.

قال الذين ظلموا آل محمد صلوات الله عليهم حقهم، وأزواجهم أي وأشباههم وروى الديلمي في مسند الفردوس، والحسكاني في شواهد التنزيل، عن أبي سعيد الخوري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (وقفوهم إنهم مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب).

وروى بن حجر في الصواعق المحرقة عن الديلمي، قال: **وقفوهم إنهم مسؤولون**، أي عن ولاية علي وأهل البيت عليهم السلام، لأن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يُعَرفَ الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجزا إلا

الصفحة 205

المودة في القربى، والمعنى انهم يسألون هل والوهم حق الموالاتة كما أوصاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة.

وروى الإمام الواحدي قال (إنهم مسؤولون عن ولاية علي وأهل البيت، فيكون الغرض من قوله، وانكم مسؤولون، تهديد أهل الخلاف لوليه ووصيه).

وقال تعالى في سورة التكاثر الآية 8 **ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم**.

روى القمي عن الإمام الصادق عليه السلام قال (تسأل هذه الامة عما أنعم الله عليهم برسول الله صلى الله عليه وآله ثم بأهل بيته).

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له قال: (أن النعيم الذي يسأل عنه، رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حل محله من أصفياء الله، فإن الله أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم).

وروى العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سأله أبو حنيفة عن هذه الآية فقال له (ما النعيم عندك يا نعمان؟. قال القوت من الطعام والماء البرد. فقال لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه، حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها، ليطولن وقوفك بين يديه. قال فما النعيم جعلت فداك؟. فقال نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله للاسلام وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم وهو النبي صلى الله عليه وآله وعتوته عليهم السلام).

وفي رواية أنه عليه السلام قال له (بلغني أنك تفسر النعيم في هذه الآية بالطعام والطيب والماء البرد في اليوم الصائف، قال نعم، قال لو دعاك رجل وأطعمك طعاما طيبا وسقاك ماءا بردا ثم امتن عليك به، إلى ما كنت تتسبه؟. قال إلى البخل. قال

أفبيخل الله تعالى؟. قال: فما هو؟. قال حبنا أهل البيت).

وفي العيون عن الإمام الرضا عليه السلام قال: ليس في الدنيا نعيم حقيقي. فقال له بعض الفقهاء ممن حضوه فيقول الله

تعالى **{ثم لتسئلن يومئذ عن**

الصفحة 206

{النعيم} . أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد؟. فقال له الإمام الرضا عليه السلام وعلا صوته: كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب، فقالت طائفة هو الماء البارد، وقال غروهم هو الطعام الطيب، وقال آخرون هو طيب النوم، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن أبي عبد الله عليهم السلام (إن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عز وجل **{ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم}** ، فغضب وقال إن الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم بذلك، ولا يمين بذلك عليهم، والإمتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما لا يرضى المخلوق به؟. ولكن النعيم، حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنوة لأن العبد إذا وفى بذلك، أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول).

وروى الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام في هذه الآية قال (إن الله عز وجل أعز وأكرم من أن يطعمكم طعاما فيسوغكموه، ثم يسألكم عنه، ولكن يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد وآل محمد عليهم السلام).

وروى الكليني في الكافي عن أبي خالد الكابلي قال: (دخلت على أبي جعفر عليه السلام فدعا بالغداء فأكلت معه طعاما ما أكلت طعاما قط أنظف منه ولا أطيب، فلما فرغنا من الطعام قال: يا أبا خالد، كيف رأيت طعامك أو قال طعامنا؟. قلت جعلت فداك ما رأيت أطيب منه ولا أنظف قط، و لكنى ذكرت الآية التي في كتاب الله عز وجل لتسئلن يومئذ عن النعيم، قال أبو جعفر عليه السلام لا إنمّا تسألون عما أنتم عليه من الحق).

ومما يدل على أن النعيم هو ما أنعم الله علينا بمحمد وآل محمد، والنعمة هي ولاية أمير المؤمنين وإمامته، وإمامة وولاية الأئمة من ولده عليهم السلام، هو قوله تعالى في سورة المائدة الآية 3 **{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}**.

وقوله تعالى في سورة إراهيم الآية 28 **{ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفوا وأحلوا قومهم دار البوار}**.

الصفحة 207

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطواني في الأوسط، وابن مردويه والحاكم وصححه من طرق، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: **{ألم ترى إلى الذين بدلوا نعمة الله كفوا}** قال: هما الأفحوان من قريش، بنو أمية وبنو المغوة. فأما بنو المغوة، فقطع الله داوهم يوم بدر. وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين. وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام، أنه سئل عن **{الذين بدلوا نعمة الله كفوا}** قال: بنو أمية وبنو مخزوم.

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة الآية 211 **{ومن يبديل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب}**.

وقال تعالى في سورة المائدة الآية 7 **واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله**

إن الله عليم بذات الصدور}.

وقال تعالى في سورة الأعراف الآيتان: 6 - 7 **{فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين، فلنقصن عليهم بعلم وما**

كنا غائبين}.

أي أنه سوف يسألهم عن عهودهم التي قطعوها وعن شهادتهم بما أشهروا أنفسهم عليه، وأنه سوف يسأل الأنبياء والرسول وهو أعلم، هل بلغت رادتي للناس، وينطبق السؤال هنا أيضا على آية التبليغ عندما قال تعالى في سورة المائدة الآية 67 **{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين}.**

ومعلوم أن الآية تلت لإعلان ولاية وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، حيث بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الولاية وأعلنه من خلال حديث الولاية المشهور، ثم تلت بعد ذلك التبليغ آية إكمال الدين وتمام الحجة.

ولا تعنى آية التبليغ كتمان شيء من أمور الدين، وإنما من أجل إقامة الحجة على الناس في ولاية وإمامة علي عليه السلام، فله الحجة البالغة، وسؤال الأنبياء لا يعني التقصير وإنما من أجل الإشهاد وإقامة الحجة على الناس، ومن أجل تبيان عظمة وأهمية ما يريد الله تبليغه على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

الصفحة 208

ولذلك فإن الله تعالى يخاطب أنبياءه ورسوله بما يشاء من أجل تبليغ الرسالة، ويشبه ذلك قوله تعالى في سورة المائدة الآية

116 **{وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب}.**

فلم يكن سؤال عيسى بن مريم عليه السلام توبيخا أو تهمة له، لأن الله تعالى يعلم وهو علام الغيوب أن نبي الله عيسى

عليه السلام لم يقل للناس ذلك ولا يمكن له أن يقول ذلك، وقد أجاب نبي الله عيسى عليه السلام بقوله **{إن كنت قلته فقد**

علمته} فود ذلك إلى علمه تعالى، وقد كان الله عالما به أنه لم يقله ولكنه سأله عنه تقيعا لمن اتخذ عيسى إلهيا، ومن أجل أن تكون الحجة أبلغ وأقوى.

وقد استشهد رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الآيات عندما أراد أن يحذر أصحابه وينبه أسماعهم إلى واقع السؤال

والحال كيف يكون عند الحوض، فأظهر صلى الله عليه وآله أنه سوف يطالب بأصحابه، وكأنه لا يوري حالهم، فبتفاجأ

بانقلابهم من بعده، فيقول سحقا سحقا ويستشهد بما حصل مع نبي الله عيسى، وهذا الإخبار بهذه الطريقة هو من أجل إقامة

الحجة والرواهن.

روى الحاكم والبخاري ومسلم وغيرهم كثير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يؤخذ بناس من

أصحابي ذات الشمال، فأقول: أصحابي، أصحابي. فيقال: إنهم لم زالوا مرتدين على أعقابهم بعدك. فأقول كما قال العبد

الصالح عيسى بن مريم **{لو كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني، كنت أنت الرقيب عليهم}.**

ونعود إلى الموضوع والآية التي تعنى بالسؤال، فقد روى السيوطي قي الدر المنثور قال أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس **{فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين}** قال: نسأل الناس عما أجابوا المرسلين، ونسأل المرسلين عما بلغوا **{فلنقصن عليهم بعلم}** قال: يوضع الكتاب يوم القيامة، فيتكلم بما كانوا يعملون.

الصفحة 209

وقال تعالى في سورة الحجر الآيتان: 92 - 93 **{فوركك لنساءنهم أجمعين، عما كانوا يعملون}**.
روى القوطبي في الجامع قال، قوله تعالى: **{فوركك لنساءنهم أجمعين}** أي لنساءن هؤلاء الذين جرى ذكورهم عما عملوا في الدنيا. وفي صحيح البخاري: وقال عدة من أهل العلم في قوله **{فوركك لنساءنهم أجمعين عما كانوا يعملون}**. عن لا إله إلا الله.

قلت: وهذا قد روي مرفوعاً، روى الترمذي الحكيم قال: حدثنا الجارود بن معاذ قال حدثنا الفضل بن موسى عن شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: **{فوركك لنساءنهم أجمعين عما كانوا يعملون}** قال: عن قول لا إله إلا الله، قال أبو عبدالله: معناه عندنا عن صدق لا إله إلا الله ووفائها، وذلك أن الله تعالى ذكر في تنزيهه العمل فقال: **{عما كانوا يعملون}** ولم يقل عما كانوا يقولون.

ومعلوم أن الله تعالى قد قرن بين كلمة التوحيد وأهل البيت عليهم السلام، وجعل الإيمان ولاية أهل البيت وحققهم وأحققتهم شرطاً أساسياً لقبول كلمة التوحيد، فلا يقبل الإسلام إلا بشهادة التوحيد مقترناً معها الشهادة بالرسالة لمحمد صلى الله عليه وآله، ومعنى الشهادة بالرسالة طاعة رسول الله في كل ما يقول أو يأمر، فما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.
روي في مصادر أهل السنة والشيعة حديث السلسلة الذهبية عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عن أجداده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله عزوجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن (من) عذابي، فلما مرت الواحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها.

وفي رواية أخرى (ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي).

الصفحة 210

ومعنى الحديثين أن التوحيد وولاية أهل البيت عليهم الصلاة والسلام هما حصن الله تعالى، وأن موضوع الولاية يسلي في المستوى متولة التوحيد.

قال تعالى في سورة القصص الآيات: 62 - 67 **{ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم توعمون، قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا توأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون، وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون، ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين، فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون، فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين}**.

ذكر القوطي في الجامع عند قوله تعالى **{ماذا أجبتكم المرسلين}** أي يقول الله لهم ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين لما بلغوكم رسالاتي. **{فعميت عليهم الأنبياء يومئذ}** أي خفيت عليهم الحجج، قاله مجاهد، لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، فلا يكون لهم عذروا ولا حجة يوم القيامة و"الأنبياء" الأخبار؛ سمي حججهم أنبياء لأنها أخبار يخبرونها **{فهم لا يتساءلون}** أي لا يسأل بعضهم بعضا عن الحجج؛ لأن الله تعالى أدهض حججهم؛ قاله الضحاك وقال ابن عباس: "لا يتساءلون" أي لا ينطقون بحجة.

قرن أخي الكريم بين الآيات التي تحمل في موضوعها ومضمونها معنى السؤال وحقيقته وحقيقة المسؤول عنه مع عبارة واني سائلكم كيف تخلفوني فيهما الولدة في حديث الثقلين، تجد ارتباطا واضحا بينا في موضوع السؤال ومضمونه وإن السؤال المحوري هناك عن أهل البيت عليهم السلام، وسيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وآله كيف أخلفتموني فيهما أي بالثقلين كتاب الله تعالى والعزة الطاهرة المطهرة من أهل البيت عليهم السلام.

ثم إليك أخي الكريم آية المودة والتي ترتبط أيضا بموضوع ومضمون السؤال في مواقعته المختلفة. وذلك واضح من قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله، بان قل لهم يا محمد أنني لا أسألكم أجرا على الرسالة، وإنما سوف أسألكم عن مودة أهل بيتي وأسألكم عن حبهم وولايتهم وإمامتهم، وأسألكم كيف أخلفتموني فيهم، فحبهم وولايتهم وإمامتهم هو أجر الرسالة.



وبعد أن بينت الآية أجر الرسالة وأن السؤال هو عن أهل البيت عليهم السلام، حثهم مرة أخرى على اقتفاف الحسنة وهي ولاية أهل البيت كما بينا في أكثر من موضع، وأن من اقترف حب وولاية وإمامة أهل البيت عليهم السلام فسوف يؤيده الله بأن يغفر الله تعالى له ويبدل سيئاته حسنات، ويؤيده من فضله إنه غفور شكور.

قال تعالى في سورة الشورى الآية: 23 **{ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور}**.

روى السيوطي في الدر المنثور وغوه كثير قال أخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **{لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى}** أن تحفظوني في أهل بيتي وتوؤهم بي.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطواني وابن مودويه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما تولت هذه الآية **{قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}** قالوا: يا رسول الله، من قابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداها.

وأخرج سعيد بن منصور، عن سعيد بن جبير **{إلا المودة في القربى}** قال: قوبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأخرج ابن جرير عن أبي الديلم، قال: لما جاء بعلي بن الحسين عليه السلام أسوا، فأقيم على وجع دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أقرأت آل حم؟ قال: لا. قال: أما قرأت **{قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}** قال: فأنكم لأنتم هم؟ قال: نعم. وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس **{ومن يقترف حسنة}** قال: المودة لآل محمد.

وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي والحاكم، عن المطلب بن ربيعة، قال: دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إنا لنخرج فزى قريشا تحدث، فإذا رونا سكوتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرع بين عينيه، ثم قال: والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان، حتى يحبكم الله ولقوابتي. وأخرج مسلم والترمذي والنسائي، عن زيد بن رُقم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أذكركم الله في أهل بيتي.

وأخرج الترمذي وحسنه وابن الأثير في المصاحف، عن زيد بن رُقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني ترك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعتوتي أهل بيتي، ولن يتفقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. وأخرج الترمذي وحسنه والطواني والحاكم والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: أحوا الله لما يغنوكم به من نعمه، وأحوني لحب الله، وأحوا أهل بيتي لحبي.

وأخرج ابن عدي، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أبغضنا أهل البيت فهو منافق.

وأخرج الطواني، عن الحسن بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد، إلا نزيد يوم القيامة بسياط من نار.

وأخرج أحمد وابن حبان والحاكم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل، إلا أدخله الله النار.

وأخرج الطواني والخطيب من طريق أبي الضحى، عن ابن عباس قال: جاء العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم، فقال: إنك قد تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا يبلغوا الخير أو

الإيمان حتى يحبوكم.

الصفحة 213

وأخرج الخطيب من طريق أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: أتى العباس بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إنا لنعرف الضغائن في أناس من قومنا، من وقائع أوقعناها، فقال: أما والله إنهم لن يبلغوا خيرا حتى يحبوكم، لقابتي، تجو سليم شفاعتي، ولا يجرها بنو عبد المطلب.

سؤال القبر:

وإذا ربطنا بين الآيات والأحاديث التي ذكرناها وبين حديث الثقلين المتواتر، في العلاقة بينها وبين السؤال في القبر وما سوف نسأل عنه في القبر، فإننا نجد أيضا أن هناك حقيقة أخرى متعلقة بنفس حقيقة السؤال الذي ورد في الآيات وحديث الثقلين، تلك الحقيقة التي غيبتها الصادق عن سبيل الله وهو سبيل أهل البيت عليهم السلام كما غيروا غيرها من الحقائق، حيث أنهم أخفوا سؤالها وأساسيا من ضمن الأسئلة التي سوف نسأل عنها في القبر، وهو السؤال المتعلق ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته.

فبالرغم من إخفاء وطمس تلك الحقيقة، فقد وردت في أحاديث طوائف المسلمين روايات كثيرة تؤكد السؤال عن الإمامة والولاية في القبر، وحتى أنه ورد أن جواب السؤال هو من أسباب النجاة من عذاب القبر.

روى في ميزان الحكمة عن الإمام الصادق عليه السلام فنقول: (يسأل الميت في قوره عن خمس: عن صلاته، وزكاته، وحجه، وصيامه، وولايته إيانا أهل البيت، فنقول الولاية عن جانب القبر للأربع، ما دخل فيكن من نقص فعلي تمامه).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (أول ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله عز وجل، الصلوات

المفروضة، وعن الزكاة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج، وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقر ولايتنا ثم مات عليها قبلت

منه صلاته وصومه وزكاته وحجه، فإن لم يقر ولايتنا بين يدي الله عز وجل لم يقبل منه شيئا من أعماله).

الصفحة 214

وروي في مسند الإمام علي عليه السلام عن رزين بن حبيش، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: إن العبد إذا دخل حضرته أتاه ملكان اسمهما منكر ونكير، فأول ما يسألانه عن ربه، ثم عن نبيه، ثم عن وليه، فإن أجاب نجا وإن عجز عذابه، فقال له الرجل لمن عرف ربه ونبيه ولم يعرف وليه؟ فقال: مذنب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء **لَوْ مَنْ يَضِلُّ إِلَهُ فَن تَجَدُّ لَهُ سَبِيلًا** ذلك لا سبيل له، وقد قيل للنبي صلى الله عليه وآله: من الولي يانبي الله؟ قال: وليكم في هذا الزمان علي عليه السلام، ومن بعده وصيه، ولكل زمان عالم يحتج الله به لئلا يكون كما قال الضلال قبلهم حين فرقتهم أنبيؤهم **رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَحْوَى** تمام ضلالتهم بالآيات وهم الأوصياء فأجابهم الله **فَقَرَّبْصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصَّوَابِ السَّوِيِّ وَمِنْ اهْتَدَى** فإنما كان تبصهم أن قالوا: نحن في سعة عن معرفة الأوصياء حتى نعوف إماماً، عرفهم الله بذلك، والأوصياء أصحاب الصواب وقوف عليه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم ويعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكروهم وأنكروه، لأنهم عرفاء الله عرفهم عليهم عند أخذ المواثيق عليهم ووصفهم في كتابه فقال جلّ وعزّ: **لِيُعَلَى الْأَعْوَابِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهِمِ** هم الشهداء على أوليائهم والنبي الشهيد عليهم، أخذ لهم مواثيق العباد بالطاعة، وأخذ النبي صلى الله عليه وآله عليهم المواثيق بالطاعة، فحرت نبوته عليهم وذلك قول الله: **فَكَيْفَ إِذَا جَنَّاتٌ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِنَاتٌ بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ، يَوْمَئِذٍ يُؤَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسْوَى بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا**.

الصفحة 215

فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتضلوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم

بعد أن بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله رادة الله تعالى في الكتاب والعترة وأوصى المسلمين بالتمسك بهما معاً، وبين بداية رحلة الثقلين إلى آخر محطة فيها، وأعلم كل من سمعه أن التمسك بهما هو الهداية إلى طريق الحق وإلى الصواب المستقيم، ثم طمئن من سمعه بأن الكتاب والعترة لن يتفترقا ولن يفترقا.

وبعد ذلك حذر صلى الله عليه وآله بأنه سوف يسأل الناس ماذا فعلوا بأهل البيت حتى يتقرر مصير كل واحد منهم عند آخر محطة من رحلة الثقلين، فإن كان ممن وإلى وأحب أهل البيت عليهم السلام كان مؤمناً ومآل المؤمن إلى الجنة، وإن كان مبغضاً معادياً جاحداً حقوق أهل البيت وأحقيتهم كان منافقاً أو كافراً والمصير إلى النار والعياذ بالله.

ثم بعد أن أتم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك الشرح المفصل والبلاغ المبين، وإذا به يوصي المسلمين بوصية أخرى تتعلق بالكتاب والعترة الطاهرة، وكأنه يحذر المسلمين من حال معين قد يقع المسلمون فيه ويطبّقونه، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أعطاه الله تعالى علم الأولين والآخرين ببيان تلك الإشراف المتعلقة بذلك الحال، حتى يتقوا ذلك المحذور ولا يقعوا فيه.

وكان بيان ذلك الحال من خلال عبوة فلا تقدموهما أي الكتاب والعترة فتهلكوا وفي روايات لتهلكوا، ولا تتأخروا عنهما فتهلكوا وفي رواية فتولوا وفي رواية أخرى فتضلوا، ولا تعلموهم أي العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، فإنهم أعلم منكم حيث أن الكتاب هو القوان الصامت وأهل البيت عليهم السلام هم القوان الناطق.

ومعنى لا تقدموهما أنه أثناء رحلة الثقلين إلى الحوض، اجعلوا الكتاب والعزة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام دائماً في المقدمة فلا تتقدموا عليهما ولا تتكبروا عليهما ولا تتفروا عن الإقتداء بهما والإهتداء بهديهما، اجعلوهما أئمتكم حتى يكونا وفدكم إلى الله تعالى حتى يزافعا لكم بين يدي الله تعالى

الصفحة 216

وتناولوا الشفاعة بهما، وإنكم إن لم تفعلوا ذلك وتجعلوهما في المقدمة، فإن الهلاك مصيركم. وكذلك لا تتأخروا عنهما أي لا تتحورهما جانبا أو تتركوا اتباعهما والإقتداء بهديهما الرباني المعصوم فبالتالي تولوا وتضلوا وتهلكوا.

ولا تعلموهم أي لا تتركوا التعلم منهم والأخذ منهم واتباعهم، وتتعلموا من آرائكم وأهوائكم الناقصة والضالة، فلا تعلموهم وتوضوا تأويلاتكم الخاطئة وأهوالكم الموضوعية وأهواكم الفاسدة على ما جاء من عند الله تعالى، لأن ما جاء من عند الله الخالق المدبر هو العلم الحقيقي بما يصلح الإنسان ويرفعه إلى أعلى العوالم السامية، ويجنبه كل ما يضره ويضوه وما ليس له فيه منفعة أو مصلحة.

فمن القضايا الأساسية والبيئية التي بينتها تلك العبارات من الحديث خاصة، ومن حديث الثقلين بشكل عام قضايا محورية ومركبة في العقيدة والأحكام غابت عن عقائد وأحكام الكثير من الطوائف الإسلامية، تتعلق تعلقا مباشرا بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام، غيبها الحاقنون والحاسنون لأهل البيت عليهم السلام، الذين حلوا رادة الله تعالى وحاولوا وأدها في مهدها، ولا زالوا يحلبونها، مما أدى إلى طمس وتغييب حقيقة وأحقية أهل البيت عليهم السلام، فكانت النتيجة أن جهل المسلمون ذلك وغيبت عنهم الحقائق، فصار التقدم على أهل البيت عليهم السلام أمر مشروع مرغوب مموح، وصار الإجتهد بالرأي والهوى والقياس مقدم على ما حمله الأئمة من أهل البيت عليهم السلام والذي يمثل رادة الله تعالى، وصار التأخر عن أهل البيت واتباعهم ظاهرة متفشية لا تقبل الحوار أو النقاش، بل هي خطوط حمراء يضلل من تجوزها أو ربما يفسق أو يكفر، وصار المسلمون من على مقاعد كروياتهم ينظرون إلى أهل البيت واتباعهم وشيعتهم نظرة تونية، فالواجب من وجهة نظرهم على أهل البيت واتباعهم أن يتعلموا من أهواء ورآء أولئك الذين يحاولون تعليم الناس أن التتود والغاء الآخر وطمسه، هو المطلوب وأن الصواب عندهم هو أن يتعلم أهل البيت وشيعتهم منهم، فهم على حد علمهم

الصفحة 217

الأعلم وهم الفرقة الناجية، هكذا ينظرون لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فقد تقدموا عليهم وتأخروا عن فوهم وراثتهم، ثم يفوضون على أهل البيت وشيعتهم أن يتعلموا من أهوائهم ورآئهم وقياساتهم مع أن الحديث واضح في عبرته عندما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فإنهم أعلم منكم.

وتظهر محاولات فرض الرأي وتفسير الآخر وإغائه، من خلال مخالفة النصوص الشرعية الواضحة الدلالة في القوان الكريم والسنة النبوية التي فعلها وأقواها أو قالها رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت وشيعتهم، فهناك

عشرات الأحكام في الكتاب والسنة تمت مخالفتها، وفرضت على الآيات والأحاديث تأويلات خاطئة، أدت إلى مخالفة الكتاب والعزة الطاهرة. خذ مثلا واحدا فقط وهو آية الوضوء والتي تدل على وجوب مسح القدمين دلالة واضحة ومدعمة بأكثر من سبعين حديثا من عند أهل السنة والجماعة تدل على وجوب المسح، فضربوا بالآية عرض الحائط وتركوا أحاديثهم ورفضوا تطبيق الرسول وأئمة الهدى من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، مقابل تأويلات أتبعوا أنفسهم في فرضها، مخالفين بذلك الكتاب والعزة وكأنهم أعلم منهما.

وهناك المئات من التروكات والمخالفات والتجاوزات للكتاب وأهل البيت عليهم السلام ضاعت عندهم أو غيبت، بالرغم من سطوع نور بيانها تقدموا عنها وتخلفوا عن أهل البيت وخالفوهم، وحاولوا أن يعلموهم من آرائهم وأهوائهم، بل وإنهم خطؤوهم وتركوا إصابة أهل البيت ومطابقتهم لوراد الله تعالى، فكانت النتيجة الهلاك والضلال والزلل، وهو الذي لازالت غالبية الأمة عليه.

أما بالنسبة إلى القضايا الهامة والمحورية في العقيدة والأحكام والتي تبيينها عبلة حديث الثقلين الأخرة خاصة وحديث الثقلين بشكل عام فهي متعددة نتطرق إلى بعضها على سبيل الإجمال، وما ألفة علماء الأمة الأجلاء من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فيه الكفاية.

الصفحة 218

عصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام:

من تلك القضايا قضية العصمة للنبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، والتي يوجبها حديث الثقلين ويحملها في طيات عباراته كلها، وتتجلى فيه بأجلى صورها، فمن لا يستتبط عصمة النبي والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام من خلال هذا النص المتواتر وعجز عن استيعابها، فهو عن غوها أعجز.

إذ كيف يمكن أن يأمر الله تعالى باتتباع وطاعة من لم يحز العصمة من أعلى مراتبها، فمن طاعته واجبة والإقتداء به هدى وهداية، والتفوق عنه ضلال وزيف، يجب أن يكون معصوما في أهله وأفعاله، وسلوكه وتصرفاته، وسائر شؤون حياته.

وكذلك لا يمكن أن يوصي رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسك بالعزة الطاهرة ويؤكد بأن التمسك بهم نجاة من الضلال، وهذا معناه أنهم الحق والحق هو من الله تعالى لا يدخله النقص أو الخلل، وهم عليهم السلام حملة الحق والدعاة إليه، فكل ما يقولونه ويفعلونه معصوم قطعاً.

فنحن بأمر الله وإرادته ووصية رسوله، مأمورون باتتباعهم وبدلالة العقل أيضا هم أحق بالإتباع، وهو ما تبينه الآية التالية.

يقول تعالى في سورة يونس الآية 35 **{قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق**

أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون}.

ثم إنهم بالدليل النقلي والعقلي حجج الله تعالى على عباده، ولا يمكن أن تكون حجة الله متناقضة أو يدخلها الزلل، يقول

تعالى في سورة الأنعام **{فقلل الحجة البالغة}**. وهذا يقتضي عصمة النبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام أولي الأمر الذين

تجب علينا طاعتهم بنص القرآن الكريم.

ثم إن اقتران الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم، والأمر الإلهي بوجوب التمسك بهما معا حتى صرا شيئا واحدا، والقرآن كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا يعنى العصمة، ولا يمكن أن يقترن بالمعصوم ويصير معه شيئا واحدا إلا المعصوم.

الصفحة 219

هذا ما يقره حديث الثقلين بخصوص العصمة، وما ذكرت بخصوصها فيه الكفاية السريعة التي توصل إلى القناعة بعصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ويكفيك آية التطهير، التي تدل دلالة قطعية على عصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب، الآية 33 **{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا}**.

مفهوم الإمامة:

ومن القضايا الأساسية المركزية والمحورية في عبارات الحديث، هي موضوع الإمامة ومفهومها، والإعتقاد بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك بإمامة الحسن والحسين والأئمة التسعة من نرية الحسين عليه السلام.

وإمامة ظاهرة من خلال كل العبارات الواردة في حديث الثقلين، فلا يُتَمَسَكُ إلا بالإمام، ولا يجوز التقدم على الإمام ولا يجوز التأخر عنه، فهو جُنة في الدنيا والآخرة.

وجود إمام معصوم في كل زمان:

ومن أساسيات حديث الثقلين التأكيد على ضرورة وجود إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام في كل عصر وزمان إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مستورا، فبناءً على مضمون الحديث وموضوعه، لا يمكن للكتاب والعترة الطاهرة أن يتوقفا أو يفتوقا، والقرآن موجود ومحفوظ منذ أن أتوله الله تعالى على رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا وإلى آخر الزمان، فمن المقطوع إذن بوجود إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام مرتبط مع القرآن، وهذا معناه تأكيد ولادة الإمام المهدي المنتظر وظهوره ثم غيبته ونسأل الله تعالى أن يعجل في ظهوره العلني الشريف.

ولذلك فإن وجود الإمام وبناء على الحديث صار ضرورة شوعية وعقلية، فهو عليه السلام مغيب عنا، ولكنه بيننا ومعنا اللهم عجل فوجه الشريف، وأكرمنا

الصفحة 220

وجميع المؤمنين والمؤمنات برؤية طلعتة البهية، واجعلنا من أنصولة وأشياعه وأتباعه.

قال ابن حجر: اعلم أن لحديث التمسك بالثقلين (الكتاب والعترة)، طرقا كثيرة، وردت عن نيف وعشرين وصحابيا، وفي تلك الطرق أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه صلى الله عليه وآله قاله بالمدينة في

مرضه وقد امتلأت الحوة بأصحابه، وفي أخرى أنه صلى الله عليه وآله قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنه صلى الله عليه وآله قال لما قام خطيباً بعد انصافه من الطائف.

ولا تنافي إذ لا مانع من أنه صلى الله عليه وآله وسلم كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغوها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة.

ثم بعد ذلك يضيف بن حجر قائلاً: سَمِيَ رسول الله صلى الله عليه وآله القَوَانِ وعُتْرَتُهُ ثَقَلَيْنِ، لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن للعلوم الدنية والأسوار والحكم العلية والأحكام الشوعية، ولذا حث صلى الله عليه وآله على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم... ويؤيده الخبر السابق ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. وتميزوا بذلك عن بقية العلماء، لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهراً، وشرفهم بالكلمات الباهرة والغايات المتكاثرة. وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت، إشارة إلى عدم انقطاع العالم عن التمسك بهم إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي... ثم أحق من يتمسك به منهم، إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لما قدمنا من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته الخ.

فكما لا يجوز للمسلمين أن يغيروا شيئاً من كتاب الله العزيز حتى لو أجمعوا على ضرورة التغيير لتغيير الزمان وغير ذلك، وكذلك لا يجوز للمسلمين أن يتركوا أهل البيت ويتمسكوا بغوهم حتى لو أجمعوا على ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله حكم على المسلمين وأمرهم أن يتمسكوا بالقَوَانِ وبعُتْرَتِهِ وأهل بيته معاً فلا يجوز التمسك بواحد دون الآخر.

الصفحة 221

مفهوم الإسلام ومفهوم الإيمان:

ثم إن من القضايا الهامة التي يوجبها حديث الثقلين، التفريق بين مفهوم الإسلام ومفهوم الإيمان، فالإسلام غير الإيمان، فمن حاز الإيمان فهو بالضرورة مسلم، ولكن المسلم ربما يكون مؤمناً أو ليس بمؤمن.

وهذا التفريق بين المفهومين حدده الله تعالى في القَوَانِ الكريم في قوله تعالى في سورة الحوات الآية 14 **{قالت الأعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم}**.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن قانع وابن موديه من طريق الزهوي عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم قسماً فأعطى أناساً ومنع آخرين، فقلت يا رسول الله: أعطيت فلاناً وفلاناً ومنعت فلاناً وهو مؤمن، فقال: لا تقل مؤمن ولكن قل مسلم.

وقال تعالى في سورة الحوات الآية 15 **{إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون}**.

وكما مر معنا من خلال البحث فإن الإيمان مرتبط ولاية أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم، فكما ورد في الأحاديث أن حب

علي وأهل البيت إيمان وبغضهم كفر ونفاق.

مفهوم الهدى والضلال:

ومن القضايا الهامة أيضا والمستنبطة من عبارات حديث الثقلين، مفهوم الهدى والضلال، فالهدى هو ما ترتبط بالكتاب والعتوة الطاهرة معا من عقائد وأحكام وكان عن طريق أهل البيت عليهم السلام ولادة الأمر وسفن النجاة. وأما الضلال فهو ترك التمسك بالكتاب والعتوة الطاهرة معا وترك اتباع أهل البيت عليهم السلام وعدم التمسك بهم وبعقائدهم وأحكامهم.

الصفحة 222

فطاعتهم هدى وعصيان أمرهم ضلال، ومن أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله، ومن أطاع الله فهو على الهدى، ومن عصاه فهو من الضالين.

مفهوم النجاة ومفهوم الهلاك:

ثم من القضايا المحورية والمركزية في الحديث، مفهوم النجاة ومفهوم الهلاك، فالنجاة هي اتباع أهل البيت ومحبتهم وموالاتهم ونصرتهم والإقتداء بهديهم وسلوك صراطهم المستقيم وركوب سفينتهم عليهم السلام. وأما الهلاك فهو ترك اتباع أهل البيت عليهم السلام وترك محبتهم وتولي غيرهم والإقتداء بغيرهم بل ومعاداتهم وبغضهم وخذلانهم.

ومفهوم الهلاك هو أيضا الغرق في بحر الضلال والزلل والظلم، نتيجة لعدم ركوب سفينة النجاة سفينة أهل البيت عليهم السلام.

روى السيوطي في الجامع الصغير والحاكم في المستدرک عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك). ورواه الزوار عن ابن عباس وعن ابن الأثير. ورواه الطواني وأبو نعيم.

وروى المنوي في فيض القدير شوح الجامع الصغير للسيوطي قال في شوحه لحديث السفينة المذكور: (إن مثل أهل بيتي) فاطمة وعلي وابنيهما وبنيهما عليهم السلام أهل العدل والديانة (فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك) وجه التشبيه أن النجاة ثبتت لأهل السفينة من قوم نوح، فأثبت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لأمته بالتمسك بأهل بيته النجاة، وجعلهم وصلة إليها، ومحصوله الحث على التعلق بحبهم وحبلهم وإعظامهم شكر النعمة مشرفهم والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأدى شكر النعمة المتأدفة، ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان، فاستحق النوان لما أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدة أخبار، كيف وهم أبناء أئمة الهدى ومصايح الدجي الذين احتج

الله بهم على

الصفحة 223

عباده، وهم فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفة الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم ورأهم من الآفات، وافترض مودتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى، ومعدن النقى، واعلم أن العواد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم إذ لا يحث على التمسك بغوهم وهم الذين لا يفلقون الكتاب والسنة حتى يروا معه على الحوض.

وجوب التعلم من أهل البيت عليهم السلام:

ومن القضايا الهامة التي يوضحها الحديث، وجوب التعلم من أهل البيت عليهم السلام، وترك كل الآراء والاجتهادات والقياسات والتنزل عن كل ذلك مقابل الإلزام بالأخذ عنهم والتعلم منهم على شرط أن لا نتقدم عليهم، وأن لا نتأخر عنهم. روى الشيخ سليمان الحنفي القندوزي في ينابيع المودة عن ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي أنا مدينة العلم و أنت بابها و لن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب، و كذب من زعم أنه يحييني و يبغضك لأنك مني و أنا منك، لحمك من لحمي، و دمك من دمي، و روحك من روحي، و سورتك من سورتني، و علانيتك من علانيتي، سعد من أطاعك، و شقي من عصاك، و ربح من ولاك، و خسر من عاداك، و فاز من لؤمك، و هلك من فرقك، مثلك و مثل الأئمة من ولدك بعدي، مثل سفينة فوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق، و مثلهم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة.

تطابق أحوال الأنبياء مع أحوال الأئمة من أهل البيت عليهم السلام:

ومن القضايا الهامة في حديث الثقلين، والتي يبينها في مضامينه ومعانيه، خاصة عبارة فلا تقدموها فتهلكوا ولا تتأخروا عنهما فتضلوا ولا تعلموها فإنهما أعلم منكم، موضوع أساسي حذا لو اهتم المسلمون فيه، وهو الآيات القوانية والأحاديث التي تتوخ أحوال الأنبياء والرسول وقصصهم، وتطابقها مع

الصفحة 224

أحوال الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، حيث أن ما حصل مع الأنبياء سلام الله تعالى عليهم من شدة وأذى وكذلك في الأحوال العامة، يربط بشكل وثيق مع الأئمة من أهل البيت في المضمون والموضوع وفي التطبيق. فمثلا عندما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام (أنت مني بموتة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

وعندما يسمي رسول الله صلى الله عليه وآله أبناء أمير المؤمنين عليه السلام الحسن والحسين ومحسن كأسماء أبناء هارون عليه السلام.

فإن ذلك يعني تطابقا معينا رآه الله تعالى لآب من استتباطه وتدوره من خلال متابعة أحوال نبي الله موسى وهارون عليهما السلام. فكما كان هارون خليفة ووزوا لموسى عليه السلام فكذلك أمير المؤمنين.

وعندما تذكر الأحاديث أن أهل البيت في الأمة كسفينة فوح، فإن ذلك يقتضي لؤاسة حال نبي الله فوح عليه السلام مع أمته وقصة سفينته وقصة ابنه الذي لم يركب السفينة فكان مصوره الهلاك. فالسفينة تتطابق مع الأئمة من أهل البيت عليه السلام.

وكذلك طول عمر نبي الله ووح يتطابق مع طول عمر إمامنا المهدي المنتظر، فلا يستغرب طول عمره الشريف مع وجود من هم أطول عمرا.

وكذلك قصة غيبة سيدنا موسى عليه السلام عندما خرج خوفا من جبروت فوعن وغاب عن أمته غيبة طويلة ثم رجع إليهم بعد ذلك، فإن غيبة نبي الله موسى عليه السلام تشبه غيبة الإمام صاحب العصر والزمان. وقصة وحال نبي الله يحيى الذي قام بنو إسرائيل بقتله وقطع رأسه، تتطابق مع قتل الإمام الحسين عليه السلام وقطع رأسه الشريف.

وكذلك أمر الله تعالى لخليله إراهيم عليه الصلاة والسلام بأن يذبح ابنه اسماعيل، فاستسلم نبي الله إسماعيل عليه السلام لإرادة الله تعالى ففداه الله بالحسين عليه السلام. فهذه تشبه علم ومعرفة رسولنا محمد صلى الله عليه وآله بأن أمير المؤمنين عليه السلام مقتول من بعده وأن الحسين مقتول وكذلك حال بقية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

الصفحة 225

وهكذا حال نبي الله يوسف عليه السلام الذي غاب عن أهله وإخوته، بينما كان ملكا في مصر وهم بجوره لكنهم لم يعرفوه حتى عرفهم بنفسه، فكذلك حال إمامنا صاحب العصر والزمان في غيبته.

وكذلك حال إخفاء ولادة نبي الله إراهيم عن النمرود، وإخفاء ولادة موسى عليه السلام عن فوعن، تشبه ولادة الإمام المهدي عليه السلام وإخفائها عن طواغيت ذلك العصر.

وهكذا أحوال كل الأنبياء يجب مراجعتها بدقة والبحث عن أوجه التطابق والتشابه والإرتباط بينهم عليهم الصلاة والسلام وبين أهل البيت النووي الشريف، لأن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يمثلون واقع وأحوال الأنبياء، وما حصل مع الأنبياء يتطابق مع ما حصل معهم، وهنا تدخل محورية حديث الثقلين ليس فقط في العقيدة والأحكام وإنما في القصص القواني أيضا. وهذا البحث بحاجة إلى دراسة منفصلة ومفصلة، ولكنني ذكرت شيئا من معالمه، لإرتباطه بموضوع ومضمون حديث الثقلين، وحتى ألفت النظر إلى محورية حديث الثقلين في العقيدة والأحكام، وأن هناك عشرات القضايا والمفاهيم من الممكن استنباطها من هذا الحديث الشريف. كمفهوم الشفاعة، وواقع الحياة في نولة الإمام المهدي عليه السلام، وغيرها من المفاهيم الإسلامية والإيمانية، كلها مرتبطة لرتباطا وثيقا بحديث الثقلين وتتبع عنه.

وبناء على ذلك فإنني لأرت اعتبر أن هذا الحديث بحاجة إلى رعاية أكبر وأكثر من قبل المسلمين وعلمائهم على وجه الخصوص، فكلام رسول الله صلى الله عليه وآله، وحي من الله تعالى يجب أن يحمل نوما على محمل الإحترام والتبجيل والتقدير، حتى يوفق الله تعالى لتطبيقه في كل شؤون الحياة.

الصفحة 226

خاتمة:

في نهاية البحث أقول لعلمي أكون قد وفقت في تبيان محورية حديث الثقلين في الإسلام، في عقائده وأحكامه، حيث أنني قد

بينت أن هذا الحديث الشريف محور إسلامي أساسي، تنور حوله وتربط به مئات الآيات والأحاديث، وكذلك يستنبط منه عشرات القضايا الإسلامية والإيمانية المتعلقة بكثير من العقائد والأحكام، والتي بينت بعضها منها، وبشكل متوابع مع الأدلة والنصوص من القرآن والحديث الشريف. وقد تعدت إكثار الاستدلال بالحديث الشريف من عند أهل السنة والجماعة، حتى تكون الحجة أبلغ، وحتى لا نتهم بتفسير حديث الثقلين بناءً على مؤثر خولج عن ما عندهم.

والله ولي التوفيق

الدكتور صلاح الدين الحسيني